VISION
FOR POLITICAL DEVELOPMENT

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيوني ضمن منظومة صراع الحضارات

مهند مصطفى

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيوني
ضمن منظومة صراع الحضـــارات

تأليف:

مهنّد مصطفى

مركز رؤية للتنمية السياسيّة

إسطنبول – 2026

الطبعة الثانيـــــة

بنيامين نتنياهو

إعادة إنتاج المشروع الصهيوني

ضمن منظومة صراع الحضـــارات

Benjamin Netanyahu

Reproducing the Zionist Project within

the Framework of the Clash of Civilizations

جميع الحقوق محـــــفوظة©

الطبعـــــــــة الثانية 2026م

إسطنبول – تركيا

ISBN: 978-605-70525-8-2

لا يُسـمح بإعـادة إصـدار هـذا الكتـاب أو أيّ جـزء منـه، أو تخزينـه في نطـاق اسـتعادة المعلومـات، أو نقلـه بـأيّ شـكل مـن الأشـكال، دون إذن خطّـيّ مـن المركـز.

مركز رؤية للتنمية السياسيّة

إسطنبول – تركيا

الطبعة الثانية

الفهرس

مقدّمة الطبعة الأولى..... 6

مقدمة الطبعة الثانية..... 14

الفصـــــل الأول 17

قراءة سياسيّة في سيرة نتنياهو الشخصيّة 17

التحريض على رابين وفوزه برئاسة الحكومة 31

زرْع بذور جمهوريّة اليمين الجديدة في دورة نتنياهو الأولى 35

الفصـــــل الثاني 46

تشكُّل أيديولوجيّة نتنياهو بأبعادها: الشخصيّ والفكريّ والسياسيّ..... 46

فكر بِنْتْسِيُون (نتنياهو الأب): الكارثة تتربّص في الأفق باليهود 46

مقتل شقيقه يوناتان وإنتاج سرديّة البطولة والتضحية 58

سلطويّة نتنياهو والهيمنة الشخصيّة والفكريّة 63

الفصـــــل الثالث 69

أيديولوجيّة وفكر نتنياهو تأطير المشروع الصهيونيّ ضمن صراع الحضارات..... 69

مقاربة شخصيّة نتنياهو في بعض الأدبيّات الإسرائيليّة 69

نتنياهو ونموذج صراع الحضارات 74

الفلسطينيّون و«الإرهاب» ونموذج صراع الحضارات 83

الفصـــــل الرابع 97

نتنياهو والفلسطينيّون: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة 97
تصوُّر نتنياهو: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة 102
نتنياهو والفلسطينيّون في مناطق عام 1948 109

الفصـــــل الخامس 115

نتنياهو وطوفان الأقصى و"الانتصار المطلق" 115
غزّة في تصوُّرات نتنياهو 117
طوفان الأقصى: لحظة وجوديّة لإسرائيل ونتنياهو 121
نتنياهو والقضية الفلسطينية: من إدارة الصراع إلى حسمه 130

خاتمة 140

من صراع قوميّ إلى صراع حضاريّ 140

المراجع 144

الإنجليزية 144
العبرية 146
العربية 153

مقدّمة الطبعة الأولى

تُعتبر دراسة الشخصيّات السياسيّة من الدراسات المركّبة، ولا سّيما إذا كانت هذه الشخصيّة لا تزال تقوم بدَور سياسيّ، ولم يُسدَل الستار بعد على دَورها الأخير في المشهد السياسيّ والفكريّ. والفرق بين دَوْر الشخصيّات المركزيّة في المشهد السياسيّ ودَوْرها في المشهد المسرحيّ أنّه في الأخير ينتهي دَوْرها بعد إسدال الستارة، وتترك في نفوس المشاهدين مشاعر الاستحسان أو الغضب من الدَّوْر، بينما في المشهد السياسيّ الواقعيّ تستمرّ الشخصيّات المركزيّة في التأثير على المشهد السياسيّ خلال أدائها دَوْرها (لا مجرّد وظيفتها) وبعد انتهاء وظيفتها (مع بقاء دَوْرها)، فضلًا عن الجهد المعرفيّ المضاعف الذي قد يبذله الباحث في دراسة شخصيّة سياسيّة لا تزال حاضرة ومؤثّرة في الحقل السياسيّ، بخلاف دراسة شخصيّة سياسيّة انتهت وظيفتها ودَوْرها.

ونتنياهو هو من الشخصيّات المركزيّة التي أدّت دَوْرًا كبيرًا من خلال المنصب الوظيفيّ الذي حصل عليه في ثلاث دورات متتالية ودورة أخرى سبقت هذه الثلاث. والعلاقة بين الدَّوْر والوظيفة في حالة نتنياهو مهمّة جدًّا لفهم التأثير الذي أحدثه على الحقل السياسيّ والفكريّ والاجتماعيّ في «إسرائيل». فدَوْرُه المؤثّر نبع من قدرته على الحكم في ثلاث دورات متتالية مكّنته من إحداث تغييرات بالغة في «إسرائيل» تفوق قدراته القياديّة والفكريّة؛ فالهيمنة تحتاج إلى سيطرة، والأخيرة لا تتأتّى دون حكم متواصل. فعلى سبيل المثال، مقارنة بأريئيل شارون الذي مكّنته قدراته القياديّة من إحداث تحوّلات كبرى في إسرائيل، وذلك على الرغم من قِصَر مدّة حكمه مقارنة بنتنياهو، ولا سيّما في التعامل مع الموضوع الفلسطينيّ، اجتمعت لدى نتنياهو فرص سياسيّة فرضت لحظة تاريخيّة استغلّها هذا أفضل استغلال، إذ يتميّز عن شارون وعن سائر القيادات الإسرائيليّة بقدرته على اقتناص الفرص واستغلالها حتّى النهاية. وإذا جازفنا وقارنّا بين نتنياهو وشارون مثلًا، الشخصيّتين المركزيّتين في إسرائيل في القرن الجديد، يمكن القول إنّ شارون رمى إلى تغيير الواقع، بينما يقتنص نتنياهو التغيُّرات التي حدثت وتَحْدث في الواقع السياسيّ والإستراتيجيّ ويُلقي بنفسه عليها، عبْر استغلالها وأدلجتها. وتوخّيًا للدقّة، يمكن القول إنّ شارون يغيّر الواقع رغم ثقله، ونتنياهو يقتنص فرصًا يفرضها الواقع ولا يصنعها هو.

يدور نقاش في إسرائيل وخارجها، ولا سيّما في الكتابات العربيّة، بشأن دوافع سياسات نتنياهو، وبخاصّة تلك المتعلّقة بالقضيّة الفلسطينيّة، وكذلك في عموم القضايا السياسيّة والإستراتيجيّة؛ فثمّة من يَعزوها إلى دوافع أيديولوجيّة خالصة، وثمّة من يَعزوها إلى اعتبارات پرچماتيّة سياسيّة تتغيّر بتغيُّر المعطيات والوقائع السياسيّة الإقليميّة والدوليّة والفلسطينيّة، وسياساته وتصوُّراته، فحصريّة دراسة الرجل أيديولوجيًّا تُدخل البحث إلى حقل دراسة تاريخ الأفكار بصورة مجرّدة، وكأنّ السياسة هي خلاصة الأيديولوجيا، أيِّ أيديولوجيا -وهي ليست كذلك-، في حين أنّ التمترس في دراسة پرچماتيّة نتنياهو تزجّ بالباحث في حقل دراسة السلوك السياسيّ لدى الرجل، دونما اعتبار للمنظومة والترسانة الأيديولوجيّة والترسّبات الشخصيّة والنفسيّة التي تلقي بظلالها على السلوك السياسيّ، من حيث ضبطه وتحديد إيقاعه، ولا سيّما أنّ السلوك السياسيّ ينطلق ويأخذ في الحسبان أيضًا قواعد اجتماعيّة ذات طابع أيديولوجيّ، لا تقبل بسهولة التسويات الأيديولوجيّة كما عند السياسيّين، ولذلك فالسلوك السياسيّ لا يمكن أن يكون متحرّرًا كلّيًّا من الأيديولوجيا حتّى لدوافع پرچماتيّة. وفي حالة نتنياهو، حافظ هذا على توجّهات ثابتة في مواقفه الأيديولوجيّة، ولا يدلّ ذلك بالضرورة على مثابرة في المواقف، وإنّما على عدم قدرة على تطوير أفكار ومقولات ومقاربات جديدة؛ فعلى نحوٍ ما سنبيّن في مناقشة فكره ليس الرجل مفكّرًا ولكنّه يتميّز بدهاء سياسيّ كبير، وبقدرة على استغلال الظرف السياسيّ[1].

بناء على ذلك، نتنياهو -باعتبار أنّه أبرز السياسيّين قدرةً على اقتناص الفرص- التعامل معه من خلال هذه الدوچمائيّة لا يفيدنا في شيء؛ فنتنياهو هو أيديولوجيّ، وينطلق من أرضيّة أيديولوجيّة مُحْكمة، ولكنّه پرچماتيّ سياسيّ من حيث قدرته على اقتناص فرص سياسيّة، واستغلال لحظات تاريخيّة للتمترس أكثر في مواقعه الأيديولوجيّة. بدون هذه الفرص السياسيّة، تتراجع قدرته على التمترس أيديولوجيًّا. فعلى العكس من شارون -على سبيل المثال- الذي حاول إعادة إنتاج واقع سياسيّ وإستراتيجيّ لإسرائيل، يعود نتنياهو إلى منظومته الأيديولوجيّة كلّما سنحت له الظروف التاريخيّة لتحقيق ذلك؛ فهو لا يُنتِج الظرف التاريخيّ بل يستغلّه. فقد استغلّ نتنياهو الظرف التاريخيّ الإقليميّ، ولم ينتجه، واستغلّ الأداء السياسيّ الفلسطينيّ الضعيف وتآكل المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ، ويستغلّ البيئة

(1) باروخ لشم، نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسي (تل أبيب: دار نشر مطر، 2017). (بالعبرية)

الدوليّة المتغيّرة ولم يشارك في إنتاجها، ولكنّه يستغلّها جميعها للعودة إلى مواقعه الأيديولوجيّة إذا سمحت له بذلك الظروف السياسيّة والتاريخيّة. لذا، تجب إعادة فهم فكره الأيديولوجيّ والسياسيّ؛ فالأيديولوجيّ يبقى في مواقعه الأيديولوجيّة في كلّ الظروف واللحظات ولا يغيّرها حتّى على مستوى المفردات والمفاهيم، بينما يتحرّك السياسيّ الوظيفيّ حسب اعتبارات يفرضها الواقع تتحوّل بدون مرجعيّة أيديولوجيّة إلى انتهازيّة سياسيّة. ونتنياهو في هذه الحالة هو سياسيّ برچماتيّ له مرجعيّة أيديولوجيّة. على سبيل المثال، عندما فرضت الظروف الدوليّة والإقليميّة والفلسطينيّة فكرة حلّ الدولتين، تبنّى نتنياهو هذه الفكرة تصريحيًّا في خطاب بار إيلان عام 2009، وخضع للضغوط الأمريكيّة في لجم الاستيطان (وتجميده في مناطق معيّنة). وعندما أتاحت هذه الظروف نفسها عودة نتنياهو إلى مواقعه الأيديولوجيّة، أسقط هذا في دورة حكمه الثالثة حلّ الدولتين، وأعلن أكثر من مرّة، على نحوٍ مثابر، أنّ زمن إخلاء المستوطنين وتفكيك المستوطنات قد ولّى من قاموسه السياسيّ. من قَبيل المقارنة مرّة أخرى، نشير إلى ما يلي: ذهب شارون في سنوات حكمه الأخيرة إلى منظومة تعامُل مع القضيّة الفلسطينيّة وحاول فرضها على الواقع، كتنفيذ خطّة الانفصال عن قِطاع غزّة، وبناء الجدار الفاصل، وبسبب تنحّيه عن المشهد السياسيّ، النابع من مرضه، لم نشهد تنفيذ سائر مركّبات تصوُّره للقضيّة الفلسطينيّة على أرض الواقع، التي كانت ستؤدّي إلى إنتاج خيار أردنيّ معدَّل.

في مُجْمَل تصوّراته الأيديولوجيّة والسياسيّة فيما يتعلّق بالفلسطينيّين، لا يختلف نتنياهو عن الفكر الصهيونيّ وفكر الرعيل الأوّل من مؤسّسي الحركة الصهيونيّة ودولة إسرائيل، ولكن هنالك طبقة فكريّة يتميّز بها نتنياهو عن سائر القيادات الصهيونيّة. ولتبيان ذلك، لا بدّ من فهم أعمق لشخصيّة نتنياهو والوصول إلى هذه الطبقة في تصوُّره. وللصعود إلى هذه الطبقة، لا بدّ من إدخال تصوُّر نتنياهو لذاته ودَوْره، إلى جانب تصوُّراته الأيديولوجيّة، والفرص التاريخيّة والسياسيّة المتاحة له. في مزيج لهذه المتغيّرات (الشخصيّة والأيديولوجيّة والسياسيّة)، يرمي نتنياهو في النهاية إلى مَوْضَعة نفسه زعيمًا للشعب اليهوديّ، لا رئيسًا لحكومة إسرائيل فحسب، على نحو زعيم الأمّة اليهوديّة، وستكون هذه الخطوة مركّبًا أساسيًّا في تأطيره للصراع على أنّه صراع حضاريّ بين الحضارةِ الغربيّة (التي ترتكز على الموروث المسيحيّ – اليهوديّ) والحضارةِ الإسلاميّة.

في هذا التأطير للصراع، يتحوّل نتنياهو إلى ممثّل ومنظّر ورأس الحربة، وربّما إلى زعيم لهذه الحضارة في مواجهتها للحضارة الإسلاميّة. في هذا الصدد، يختلف نتنياهو عن مُنظّر الصهيونيّة التنقيحيّة أو التصحيحيّة، زئيف جابوتنسكي. صحيح أنّ كليهما لا يعتقدان أنّ هنالك أفقًا مستقبليًّا حقيقيًّا لسلام مع العرب والفلسطينيّين، غير أنّ جابوتنسكي يعزو ذلك إلى حقيقة أنّ الشعب الأصلانيّ (الفلسطينيّين) لم يقبل بشرعيّة المستوطنين الوافدين إلى بلادهم، في حين أنّ نتنياهو يعزو ذلك إلى أنّ الصراع بين اليهود والفلسطينيّين هو جزء من صراع أكبر بين حضارتين، فضلًا عن أنّ نتنياهو لا يعترف بأصلانيّة الفلسطينيّين، ويرى فيهم «خديعة عالميّة» ضدّ الشعب اليهوديّ، بالضبط كما اعتقد بن چوريون. يتعامل نتنياهو بأستاذيّة مع نظرائه من الغرب الذين يَحملون هذا التصوُّر نفسه، ويقارع ويُسفّه أولئك الذين يخالفونه في الغرب بشأن هذا التأطير للصراع. يحمل هذا التأطير جوانب سياسيّة، لكنّه لا يخلو كذلك من قناعات أيديولوجيّة نظّر لها نتنياهو في بداية التسعينيّات في كتابه «مكان تحت الشمس»، بموازاة التنظير الذي قام به صامويل هنتنچتون (Samuel Hantington) عن صدام الحضارات. جوانبُ هذا الصراع الأيديولوجيّةُ لا تخلو من جذور فكريّة حملتْها الحركة الصهيونيّة أيضًا؛ فنتنياهو في هذا الشأن ليس مقطوعًا عن الصهيونيّة وتصوُّرها لذاتها كحركة تحديث وممثّلة للحضارة الغربيّة في الشرق، ويحاول المضيّ بذلك بخطوات أخرى إلى الأمام باعتبار المشروع الصهيونيّ جزءًا من صراع حضاريّ أكبر لا وكيلَ تحديث فحسب. وتتمثّل الجوانب السياسيّة في هذا التأطير في تهميش القضيّة الفلسطينيّة؛ فصراع إسرائيل مع الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة ابتغاء القضاء عليها، كما يحلم نتنياهو[2]، هو أحد مركّبات الصراع الحضاريّ ضدّ الحضارة العربيّة – الإسلاميّة؛ حيث إنّ النضال الفلسطينيّ هو جزء من إرهاب الحضارة الإسلاميّة ضدّ ممثّل الحضارة الغربيّة (ذات الجذور المسيحيّة – اليهوديّة) في الشرق، وهي إسرائيل ومشروعها الصهيونيّ.

إذن، يتعامل نتنياهو مع ذاته على أنّه شخصيّة تاريخيّة في صيرورة الشعب اليهوديّ، وُجِدت لحماية الشعب اليهوديّ من الإبادة أوّلًا، وأنّه ليست هنالك شخصيّة يهوديّة قادرة على تحقيق ذلك سواه، وذاك نابع من فهمه الصحيح لطبيعة

(2) ألوف بن، «ترامب منح نتنياهو انتصاراً في معركته لسحق الوطنية الفلسطينية،» هآرتس (بالعبرية)، 7/12/2017: https://shorturl.at/lzRUf

الصراع، ولاحقًا برز تعامله مع ذاته كشخصيّة تاريخيّة في الحضارة الغربيّة هدفها قيادة وتوجيه هذه الحضارة نحو مسار الصراع الحقيقيّ، صراع الحضارات. وتلخّص مقولته بشأن أنّ المفتي الحاجّ أمين الحسيني هو مَن أقنع أدولف هتلر بتبنّي الحلّ النهائيّ لمسألة اليهود في أوروبا، أي إبادتهم، تلخّص جزءًا من هذا التأطير. ومن المستغرَب أنّ من انتقدوه على هذا التصريح من الإسرائيليّين لم ينتبهوا ولا قرأوا أنّ نتنياهو ذكر هذا الأمر في كتابه «مكان تحت الشمس» الذي أصدره في بداية التسعينيّات، وتُرجِم إلى العربيّة في نهاية ذاك العَقد [3]. يحمل هذا التصريح مقولتين تنسجمان مع تصوّر نتنياهو: أنّ إسرائيل (بوصفها ممثّلًا عن الحضارة الغربيّة ذات الجذور المسيحيّة – اليهوديّة) في صراع مع الفلسطينيّين (بوصفهم ممثّلين عن الحضارة الإسلاميّة) في معركة وجود من جهة، وأنّ مشروع الإبادة هو مشروع شرقيّ – إسلاميّ من جهة أخرى لليهود ولقيم العالم الغربيّ.

يجد نتنياهو أنّ اللحظة التاريخيّة مواتية لاستحضار منظومته الأيديولوجيّة في العمل السياسيّ محلّيًّا ودوليًّا. وتلك لحظة تاريخيّة لم يصنعها نتنياهو، ولكنّه يجني منها الفائدة سياسيًّا وأيديولوجيًّا، ولذا فإنّ الاختراقات الدوليّة التي تقوم بها إسرائيل، كمثل تعزيز العلاقات الإسرائيليّة مع دول أفريقيّة وأوروبيّة، وفي أمريكا اللاتينيّة وفي آسيا، على سبيل المثال، لا تنبع من قدرات الرجل المتميّزة فحسب، بل من اللحظة التاريخيّة والتحوّلات السياسيّة والإستراتيجيّة التي يتميّز نتنياهو بالقدرة على استغلالها. ولا يمكن إنكار أنّ تلك صفة قياديّة، تتمثّل في قدرة الفرد على استغلال فرص سياسيّة ولحظات تاريخيّة لتحقيق مصالح سياسيّة وتمرير منظومة أيديولوجيّة يؤمن بها. صحيح أنّ هنالك فَرقًا بين قائد يستغلّ اللحظة التاريخيّة وقائد يصنع هذه اللحظة. ونتنياهو ينتمي إلى النمط الأوّل من القيادات، ولكنّه يعطي هو ومؤيّدوه لشخصه دَوْرًا يتجاوز حصره في استغلال الفرص إلى صنع واقع يوهم الجميع أنّه هو مَن صَنَعه. في هذا الصدد، يعتقد نتنياهو، زعيم الشعب اليهوديّ في العالم، أنّ إسقاطه عن الحكم من خلال تهم فساد يتناقض مع الدور التاريخيّ الذي يعدّه هو والتاريخ لذاته، فمؤسّساتُ فرض القانون والشعبُ عليهم أن يتغاضوا عن توجيه تهم له أو إدانته، لأنّ اللحظة التاريخيّة التي يمرّ بها الشعب اليهوديّ والعالم تحتاج إلى رجل

(3) بنيامين نتنياهو، مكان تحت الشمس، ط 4، ترجمة محمد الدويري (عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1999).

مثل نتنياهو، وإنزاله عن خشبة المشهد السياسيّ المحلّيّ والدوليّ ستكون خسارة للشعب اليهوديّ، ولا سيّما لدولة إسرائيل، وخسارة مؤكّدة للحضارة الغربيّة في مواجهتها مع الحضارة الإسلاميّة. فكيف يمكن التفكير في إسقاط رجل سيكون قائدَ هذه الحضارة في مواجهة حضارة «الإبادة والظلاميّة والإرهاب» القائمة في الشرق والتي تتمدّد إلى الغرب، بسبب تلقّيه هدايا (رِشًى) هي عبارة عن زجاجات شمبانيا وسجائر فاخرة؟! هذا مخالِف لمنطق التاريخ وللدور التاريخيّ الذي يُعِدّه نتنياهو لنفسه. لذا، يجب تجاوز أخطاء نتنياهو الصغيرة في سبيل تحقيق الهدف التاريخيّ الكبير.

إلى جانب الإطار الذي يدمج بين الشخصيّ والأيديولوجيّ والسياسيّ، ويؤسّس لطبقة التحليل ذات البعد الحضاريّ في تصوُّرات نتنياهو، كلّ متغيّر منها أثّر عليه بصورة خاصّة. وفي هذه الفقْرة، أودّ التركيز على العامل الشخصيّ؛ فعلى الرغم من تراجع وحدة التحليل الشخصيّة في العلوم الاجتماعيّة لمصلحة وحدات تحليل اجتماعيّة أو مؤسّساتيّة، لا تزال هذه الوحدة من التحليل ذات صلة بفهم المنظومة الفكريّة والسلوكيّة للفرد كما أشار إلى ذلك ماكس فيبر[4]. حمل نتنياهو ثأرَيْن عائليَّيْن: ثأرَ أبيه من النخَب اليساريّة العمّاليّة الصهيونيّة، وثأرَ أخيه من الفلسطينيّين والعرب. في الثأر الأوّل، حمَلَ نتنياهو كراهيَة أبيه من النخَب العمّاليّة اليساريّة الصهيونيّة التي قامت بإقصائه من المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة، وجرى تجاهل إنتاجه المعرفيّ، وذلك بسبب انتماء أبيه إلى التيّار الصهيونيّ التنقيحيّ. حمل هذا الثأر بطبيعة الحال طابعًا شخصيًّا (إقصاء والده وتجاهله) وأيديولوجيًّا (إقصاؤه بسبب توجّهاته)، ولذا جاء نتنياهو منذ دورة حكمه الأولى في أواسط التسعينيّات مشروعًا يهدف إلى إضعاف النخَب القديمة، وكان فشله مدوّيًا في هذا في تلك الفترة، وهو المشروع الذي يعمل عليه في فترات حكمه الأخيرة، ويحقّق نجاحات كبيرة. في الثأر الثاني، حمل نتنياهو ثأرًا شخصيًّا في أعقاب مقتل أخيه في عمليّة تحرير الرهائن الإسرائيليّين الذين احتُجزوا في مطار عنتيبي في أوغندا عام 1976، العمليّة التي كانت ترمي إلى تحرير أسرى فلسطينيّين من السجون الإسرائيليّة مقابل إطلاق سراح الرهائن الإسرائيليّين. وعلى غرار ثأره الأوّل، حمل هذا الثأر بُعدًا شخصيًّا (مقتل أخيه) وبُعدًا أيديولوجيًّا (قُتِل في إطار صراع بين اليهود والعرب). في دورة حكمه الأولى في التسعينيّات،

(4) Max Weber, Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology (Berkeley: University of California Press, 1978), 13.

خضع نتنياهو للضغوط الأمريكيّة، وقام بإعادة الانتشار في الخليل. والحقيقة أنّه كانت هذه الخطوةَ الأخيرة التي نفّذتها إسرائيل في إطار اتّفاقيّات أوسلو، وفعليًّا فرّغ نتنياهو اتّفاقيّات أوسلو من جوهرها منذ دورته الأولى.

يدمج نتنياهو بين توجّهات قوميّة متطرّفة وتوجّهات اقتصاديّة نيوليبراليّة، وفي هذا الدمج لا يختلف نتنياهو عن الموروث الأيديولوجيّ والفكريّ للحركة الصهيونيّة التنقيحيّة، وحركات اليمين عمومًا. بَيْدَ أنّه في دورات حكمه الأخيرة ظَهَر يمينيًّا غير ليبراليّ في قضايا الدين والدولة والديمقراطيّة، متماهيًا في ذلك مع فكر اليمين المتطرّف الصاعد في أوروبا. ففي التسعينيّات كان يمينيًّا محافظًا، واليوم هو يمينيّ متطرّف.

يُعتبر بنيامين نتنياهو من القيادات الإسرائيليّة التي خلّفت بصمات كبيرة على منظومة الفكر السياسيّ الإسرائيليّ، وعلى السياسة الإسرائيليّة وبنْية مشروع إسرائيل الاستيطانيّ الكولونياليّ. فهو يتميّز بكونه رجلًا أيديولوجيًّا، وفي نفس الوقت هو أحد السياسيّين الإسرائيليّين المحنّكين في المشهد السياسيّ الإسرائيليّ، ويمكن القول إنّ نتنياهو بوصفه ظاهرة سياسيّة وفكريّة سبق نشوءَ ظاهرة اليمين الجديد والمتطرّف في أوروبا.

مع انتهاء ولاية نتنياهو الحاليّة رئيسًا للوزراء، سواء من خلال الإطاحة به بسبب قضايا الفساد الماليّ والسياسيّ، أم بسبب انتهاء مدّته القانونيّة رئيسًا للحكومة (والدراسة تستبعد ذلك)، يكون نتنياهو قد تجاوز عدد سنوات حكم بِنْچوريون مؤسّس دولة إسرائيل، ويتحوّل إلى صاحب أطول فترة حكم في إسرائيل من بين الشخصيّات السياسيّة. وإذا كان بِنْچوريون قد أسّس إسرائيل الأولى، بينما أسّس فوز الليكود في انتخابات عام 1977، وتشكيله للحكومة لأوّل مرّة في تاريخ إسرائيل، لإسرائيل الثانية، فإنّ فترة حكم نتنياهو الأخيرة قد أسّست لإسرائيل الثالثة. وتستدعي الحاجة فحص وبحث مدى تأثير شخصيّة نتنياهو الفكريّة والسياسيّة على ملامح ووُجهة إسرائيل الثالثة، وتعاطيها مع القضيّة الفلسطينيّة ومستقبلها.

وعلى الرغم من كون نتنياهو صاحب أطول فترة حكم في إسرائيل من بين السياسيّين الإسرائيليّين، وأسّس ما تُمكِنُ تسميته إسرائيل الثالثة، فإنّ الأبحاث والدراسات الجادّة عن شخصيّته وفكره وتوجُّهاته السياسيّة كانت قليلة، حتّى تلك الصادرة باللغة العبريّة. وإن وُجدت، فكلّها تركّز على مسيرته السياسيّة الضيّقة. وربّما يعود السبب الأساسيّ لذلك إلى أنّه لم يُسدَل الستار بعد عن دَوْره في تشكُّل مستقبل إسرائيل من جهة، وإلى عدم القدرة على سَبْر غَوْر فكره وسياساته على نحوٍ معمّق من جهة ثانية. فهو شخصيّة محنّكة؛ إذ حينًا يظهر كشخصيّة أيديولوجيّة، وحينًا آخَر يظهر كشخصيّة پرچماتيّة، والحقيقة أنّ البُعدَيْن في شخصيّته لهما طابع ديناميكيّ وليسا في حالة تضادّ بالضرورة. وعلى الرغم من القراءات الإسرائيليّة لشخصيّة نتنياهو، ولا سيّما في الصحف والحِوارات الإعلاميّة والسياسيّة، فإنّ قراءةً منهجيّة علميّة لشخصه وفكره من جهة، وقراءةً فلسطينيّة (مقطوعة عن القراءة الإسرائيليّة) من جهة ثانية، باتتا حاجة ملحّة أكاديميًّا ووطنيًّا نظرًا للدوْر التاريخيّ الذي قام به الرجل في الفكر السياسيّ الإسرائيليّ والصهيونيّ ولا يزال يقوم به، وسيستمرّ في القيام به حتّى بعد إنهاء دَوْره السياسيّ الرسميّ (سواء أكان ذلك بسبب قضايا فساد أم بفعل خسارة في الانتخابات).

سيركّز البحث الحاليّ على الصيرورة السياسيّة التي وضعت نتنياهو في مركز الحقل السياسيّ الإسرائيليّ، كما سيناقش البحثُ فكْرَ نتنياهو وأيدولوجيّته ذات الصلة برؤيته للصراع. بناء على ذلك، لن تتطرّق الدراسة إلى كلّ المراحل والتفصيلات السياسيّة في مسيرة نتنياهو، بل إلى تلك التي أسهمت في بناء شخصيّته وقيادته وموقعه في الحقل السياسيّ والفكريّ اليهوديّ والإسرائيليّ. ولا شكّ أنّ دراسة شخصيّته تحتاج إلى فصول وحيثيّات إضافيّة، وقد يكون لها مكان في دراسة مستقبليّة تنطلق من هذه الدراسة عبْر توسيعها، بحيث تأخذ بعين الاعتبار كلّ هذه الحيثيّات والمراحل.

مقدمة الطبعة الثانية

منذ صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب، نشرت الكثير من الأدبيات من كتب ومقالات ودراسات عن بنيامين نتنياهو، عن تاريخ الرجل[5]، وأفكاره، وحياته السياسية[6]، ومميزات شخصيته، ودوره في السيرورة التاريخية لدولة إسرائيل[7]. وكان هذا الإنتاج الكبير عن الرجل بسبب التأثير الكبير الذي أحدثه على المشهد السياسي، والاجتماعي والثقافي في إسرائيل، وبقائه في حكمه الذي طال من حيث عدد السنوات واستمرارية الحكم. ويضاف لكل ذلك تسارع الأحداث والتحولات خلال فترة حكمه وكان آخرها هجوم السابع من أكتوبر 2023، التي غيّرت إسرائيل ونتنياهو معًا.

تأتي هذه النسخة بعد أحداث طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر/ تشرين الأول 2023، واستمرار الحرب الإسرائيلية على الجبهات المختلفة، وبالأساس حرب الإبادة في قطاع غزة التي استمرت حتى بعد اتفاق وقف إطلاق النار بناء على خطة الرئيس الأمريكي دونالد ترامب في أكتوبر 2025. تعتبر مسيرة نتنياهو حتى طوفان الأقصى في كفة، وبعد الطوفان في كفة أخرى. علق به الفشل في طوفان الأقصى وسيرافقه حتى مماته كقائد حدث في فترته ما تعتبره الأدبيات الإسرائيلية أكبر كارثة على اليهود منذ المحرقة، وهو تعبير دعائي بلا شك. ولكن لن يفلت نتنياهو من التاريخ الإسرائيلي واليهودي الذي سيعتبره المسؤول عن هذه «الكارثة».

عاش نتنياهو حياته وهو ينظر ويُنظّر لنفسه بأنه المنقذ لليهود من كارثة محتملة قادمة، وهو الرجل الذي حدثت الكارثة في فترته بشكل يتناقض مع كل ما بناه حول ذاته خلال العقود السياسية في حياته، وهو التفسير المركزي لاستمراره حالة الحرب وتوسيعها عله يُنسي الذاكرة اليهودية والإسرائيلية هذه الكارثة بإنجازات عسكرية وإستراتيجية، ولكنها إنجازات وإن حدثت فإنها طارئة

(5) Anshel Pfeffer, Bibi: The Turbulent Life and Times of Benjamin Netanyahu (London: Hurst & Company, 2018)

(6) Robert O. Freedman, ed., Israel Under Netanyahu: Domestic Politics and Foreign Policy, 1st ed. (Abingdon, Oxon; New York, NY: Routledge, 2020).

(7) Eran Kaplan, "Benjamin Netanyahu: Israel's Populist Tribune" Political Insight 16, no. 1 (2025): 26-28.

ومتغيرة وقابلة للنسيان، في حين أن كارثة طوفان الأقصى ستبقى عالقة في ذاكرة إسرائيل واليهود للأبد.

كانت واحدة من تداعيات طوفان الأقصى هو تسريع مسار السيطرة على مؤسسات الدولة وبناء ما نسميه «السلطوية الشعبوية» بحيث يسعى نتنياهو واليمين الحاكم ببناء جمهورية سلطوية شعبوية تتلحف بغطاء ديمقراطي متمثل في الانتخابات، لا تهدف السلطوية الشعبوية إلى هدم كُلي للنظام السياسي، ولكنها ترمي إلى تفريغه من محتواه السياسي أو الليبرالي بحيث يتم تشييد جمهورية سلطوية سياسية وشعبية بأدوات وخطاب شعبويَّيْن، وإعادة إنتاج الوطنية وحتى الصهيونية بخطاب عسكرياتيّ من جهة وكهانيّ[8] من جهة أخرى. لم تعد الكهانيَّة حزبًا بل خطابًا يتغلغل إلى حزب الليكود بإرادة وموافقة نتنياهو، وخطابًا وفكرًا وسلوكًا يسود شرائح واسعة من المجتمع الإسرائيلي.

أتفق مع المواقف التي تزعم أن القضائية الجنائية التي يواجهها نتنياهو منذ العام 2015م غيّرت في أفكاره اليمينية المحافظة والقومية، فالمزيج بين شخصية نتنياهو المحب للسلطة والناظر لنفسه بأنه المنقذ للشعب اليهودي، وخلفيته الأيديولوجية مع القضايا الجنائية تلاحقه منذ العام 2015 كان لا بد لها أن تنتج شخصية جديدة تبحث عن البقاء في التاريخ، ولا تخرج منه بسبب قضايا فساد وخيانة الأمانة. دفع هذا المزيج نتنياهو إلى فتح الطريق لتحولين مركزيين، الأول تغلغل أفكار اليمين المتطرف لليكود ومنح الشرعية لحركات وشخصيات يمينية متطرفة مقتها الليكود سابقًا للدخول للحيز السياسي والعام. والثاني تبني خطاب شعبويّ تنفيذيّ نحو تغيير مؤسسات الدولة، فالشعبويّة لديه تحولت بسبب الملفاتً الجنائية من خطاب للتجنيد السياسي لخطة عمل سياسية على الأرض. انتقل نتنياهو من صراعه الشعبوي ضد النخب إلى صراع ضد النظام نفسه، فعملية تغيير النخب نجحت في مفاصل مهمة في الدولة بفضل استمرارية الحكم لليمين عمومًا، وحكم نتنياهو خصوصًا، ولكن ذلك لم يحدث تغييرًا جوهريًا عند اليمين، وعند نتنياهو بعد مرحلة لوائح الاتهام والمحاكمات. وجاءت عملية طوفان الأقصى لتكون الحدث المفصلي في تاريخ نتنياهو السياسي على المستوى الفكري والإستراتيجيّ.

(8) نسبة إلى مائير كهانا مؤسس حركة «كاخ» اليمينية المتطرفة التي يكمل طريقها السياسي حزب عظمة يهودية برئاسة ايتمار بن غفير.

ضربت عملية طوفان الأقصى نتنياهو على المستوى الشخصيّ والفكريّ، وكشفت لأول مرة منذ عام 2000 هشاشة مقولات اليمين الإسرائيليّ السياسيّة والأيديولوجيّة، التي حظيت بمصداقيّة في صفوف الإسرائيليين مكّنت اليمين من الاستمرار بالحكم، والسيّطرة عليه والهيمنة على مفاصل الدولة والمجتمع. حوّل طوفان الأقصى سياسات نتنياهو العسكريّة المحافظة إلى حالة توحش، مكنته من نقل المشروع الاستعماريّ إلى صورته النهائية كمشروع إبادة بطبقاتها المختلفة، من القتل الجماعيّ، لتدمير البنية التحتيّة الفلسطينيّة، وهدم المشهد الحضاريّ والثقافيّ في قطاع غزة.

لو كان المجتمع الإسرائيلي مجتمعًا طبيعيًا، والمعارضة اليهوديّة الإسرائيليّة (اليمينيّة بمعظمها) قويّة، لسقط نتنياهو في اليوم التالي لطوفان الأقصى، ولكن المجتمع الإسرائيليّ تحوّل لقبيلة تطالب بالانتقام من سكان غزة، والانتقام اختزل مراحل تاريخيّة ليتحول لمجتمع فاشيّ، والمعارضة إلى بوق لحرب الانتقام، وتنحصر مساءلة نتنياهو عن مسؤوليته الإداريّة عن طوفان الأقصى، وأقل حول منظومته الفكريّة، والتي عمت الجميع، على الرغم من نُكران أطراف من المعارضة لذلك، وتحديه بأنه لم يدرِ القضية الفلسطينية تكتيكيًا بشكل صحيح، وأنهم كانوا سيديرون طمس حقوق الفلسطينيين بشكل أفضل منه.

في النهاية، أود أن أشكر جميع العاملين في مركز رؤية للتنميّة السياسيّة، لا سيّما مدير المركز الدكتور أحمد العطاونة على حرصه على طباعة الكتاب مرة أخرى، كما أود أن أشكر الزميلة ديانا جرار، التي كانت مساعدة بحثيّة جادة في ترتيب بعض الفقرات وتجميع المواد في الفصل الإضافيّ من الكتاب، ولكل من قدم ملاحظة على الطبعة الأولى من الكتاب التي أخذتها بعين الاعتبار، وأتمنى أن يُساهم الكتاب في تعميق فهم السياسات الإسرائيليّة تجاه المنطقة وفلسطين في عهد نتنياهو.

الفصـــــل الأول
قراءة سياسيّة في سيرة نتنياهو الشخصيّة

لا يبتغي هذا الفصل تقديم عرض تفصيليّ لسيرة نتنياهو الشخصيّة بالمفهوم التقليديّ، ولا الوقوف على كلّ تفاصيل حياته، وإنّما تقديم قراءة سياسيّة لتاريخه تفيدنا في فهم المؤثّرات الشخصيّة والسياسيّة والتاريخيّة التي بلورت شخصيّته السياسيّة والفكريّة. يشير الصحفيّان بِنْ كسبيت وإيلان كفير، في كتابهما «نتنياهو: الطريق نحو السلطة»، أنّ ثلاث شخصيّات رافقت نتنياهو منذ ولادته، فتأثّر بها، واستمدّ رؤيته منها؛ شقيقه يوني، ووالده بِنْتْسِيُون نتنياهو، وجدّه الحاخام ناتان ميلوكوفسكي: «كلّ واحد من الثلاثة وثلاثتهم معًا يمثّلون في نظره تاريخ الصهيونيّة[9].

وُلِد جَدّه نتان في عام 1880 في قرية «كاريبو» في دولة ليتوانيا. تعلّم في مدرسة دينيّة في پولندا وعمره عشر سنوات، وتأهّل لدرجة حاخام وهو في الثامنة عشرة من عمره، وتأثّر في فترة شبابه بصهيونيّة هرتسل، وتنقّل بين المجموعات اليهوديّة في أوروپا وروسيا والصين مبشّرًا بالصهيونيّة، ولكنّه انقلب لاحقًا على هرتسل بسبب طرحه مشروع أوچندا وضرورة إيجاد حلّ مرحليّ لليهود. إذ ذاك تأثّر ميلوكوفسكي بشخصيّة زئيف جابوتنسكي منظّر وقائد التيّار الصهيونيّ التنقيحيّ الذي خرج ضدّ طرح هرتسل، وقد توطّدت علاقات صداقة شخصيّة ورابطة أيديولوجيّة بين الرجلين. ففي المؤتمر الصهيونيّ السابع عام 1907، قال ميلوكوفسكي إنّ مشروع «أوچندا هو خيانة لكلّ الأجيال، وسقوط أخلاقيّ ونفسيّ»[10]. يصف نتنياهو جَدّه، في كتابه «مكان تحت الشمس»، على النحو التالي:

«كان جَدّي الحاخام نتان ميلايكوفسكي، الذي تجنّد للحركة الصهيونيّة في شبابه، في عقد التسعينيّات من القرن الماضي، واحدًا من عدد لا يُعَدّ ولا يُحصى من المتحمّسين لهذه البشرى، وأصبح أحدَ مبشّري هذه الحركة الرئيسيّين، ونشر

(9) بِنْ كَسْبيت، وإيلان كفير، نتنياهو: الطريق إلى السلطة، (تل أبيب: ألفا تِكْشُورِتْ، 1997)، 21. (بالعبرية)

(10) رونيت فيردي، بيبي- من أنت، سيّدي رئيس الحكومة؟، (تل أبيب: منشورات كِيتِر، 1997)، 21 (بالعبرية)

مبادئها بين اليهود في شرق سيبيريا حتّى مينوسوتا في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وبعد فترة من الوقت، في عام 1920، أثبت أنّه ليس من الذين يقولون ولا يفعلون، وإنّما يقول ويفعل: حمل عائلته الكبيرة، وأبحر من ترايست [مدينة ساحليّة في شمال شرق إيطاليا] إلى حيفا، واستوطن في أرض إسرائيل»[11].

اعتقد ميلوكوفسكي أنّ أيّ طرح غير إقامة وطن قوميّ لليهود في فلسطين يُعتبر خيانة لملايين اليهود الذي ضحّوا بحياتهم على مدار مئات السنين في سبيل بلوغ هذا الهدف[12]. في عام 1910 وُلِد نجله البكر، بِنْتْسِيُون نتنياهو، الأوّل من عائلة مكوّنة من ثمانية إخوة وأخت واحدة. وعلى الرغم من أنّهم عاشوا في پولندا، كانت اللغة العبريّة لغة البيت الوحيدة. هاجرت العائلة إلى فلسطين عام 1920. عمل ميلوكوفسكي في الصندوق القوميّ اليهوديّ، وبسبب قربه من جابوتنسكي، بدأ نجله بِنْتْسِيُون نشاطه الصهيونيّ مبكرًا إلى جانب جابوتنسكي. انضمّ بِنْتْسِيُون إلى الحركة التنقيحيّة برئاسة جابوتنسكي عام 1928، وأصبح لاحقًا مساعِدَهُ الشخصيّ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة.

وكان الحاخام ميلوكوفسكي قد وقف إلى جانب اليهود الذين اتُّهِموا بقتل حاييم أرلزوروف رئيس الشعبة السياسيّة في الوكالة اليهوديّة، عام 1933، والذي كان من القيادات السياسيّة المهمّة في الحركة الصهيونيّة. وقد وقف ميلوكوفسكي مع المتّهَمين اليهود، الذين بُرِّئوا، وخاصّة المتّهَم الرئيسيّ بالقتل بسبب وجود شهادة إدانة واحدة (شهادة زوجة أرلزوروف)، وللإدانة بالقتل كان هنالك حاجة إلى أكثر من شهادة. بعد وفاة الحاخام ميلوكوفسكي عام 1935 (وهو في الخامسة والخمسين من العمر)، خصّصت مجلّة «هَيَرْدِين» (الأردن) التي كان يحرّرها نجله بِنْتْسِيُون عددًا خاصًّا عنه، وقد كتب عنه يوسف كلوزنر الكلمات التالية: «لم يكن الحاخام ميلوكوفسكي حزبيًّا تنقيحيًّا. كان صهيونيًّا، صهيونيًّا بدون إضافة، ويكفيه ذلك، ولكنّه كان معجبًا بجابوتنسكي. لقد رأى فيه مقاتلًا شجاعًا من أجل الفكرة المسيانيّة (خلاص اليهود)، وداعمًا لتحقيق الهدف القوميّ كاملًا، ومع الخلاص الكامل كما أوحى الأنبياء ومَن بعدهم»[13].

(11) نتنياهو، مكان تحت الشمس،71.

(12) كَسْپيت، كفير، نتنياهو: الطريق إلى السلطة.

(13) عدي عرمون، عهد نتنياهو-بن تسيون نتنياهو، مركز التجدُّد الديمقراطيّ، (بالعبرية) 17/8/2016: https://shorturl.at/ywD7H

في مقال كتبه بِنْتْسِيُون عام 1931، إبّان المؤتمر الصهيونيّ السابع عشر، هاجم فيه معارضي جابوتنسكي بشدّة، ووصفهم بضيق الأفق المستقبليّ، واعتبر أنّ الحركة الصهيونيّة بدون التنقيحيّين هي حركة بلا روح، ولا تحمل القيم المثاليّة، فضلًا عن أنّ تأثيرها سيكون معدومًا[14].

في فترة الانتداب البريطانيّ على فلسطين، نشط بِنْتْسِيُون في الكتابة والعمل الصحفيّ. كان يمينيًّا راديكاليًّا؛ فقد آمن بفكرة أرض إسرائيل الكبرى (ضفّتَي الأردن)، وبالكفاح العسكريّ ضدّ العرب والانتداب البريطانيّ. في تلك السنوات، تخصّص بِنْتْسِيُون في الدراسات التاريخيّة، وخاصّة تاريخ اليهود في إسبانيا، وحاول الانضمام إلى الطاقم الأكاديميّ في الجامعة العبريّة، إلّا أنّ المؤسّسة الأكاديميّة رفضت طلبه، وهو ما ترك أثرًا سلبيًّا لديه ومرارة شديدة ممزوجة بكراهيَة للتيّار الآخَر في الصهيونيّة، حيث زعم أنّ سبب رفضه يعود إلى مواقفه السياسيّة والأيديولوجيّة[15].

بعد إخفاقه في الحصول على وظيفة في الجامعة العبريّة، هاجر بِنْتْسِيُون إلى الولايات المتّحدة عام 1939 ليكون مساعدًا شخصيًّا وسكرتيرًا لجابوتنسكي حتّى وفاة الأخير عام 1940. بعد وفاة جابوتنسكي، بقي بِنْتْسِيُون في الولايات المتّحدة ناشطًا سياسيًّا في الحركة التنقيحيّة وباحثًا أكاديميًّا، وعمل هنالك مسؤولًا عن مكتب الحركة التنقيحيّة في نيويورك. هنالك وُلِد نجل بِنْتْسِيُون البكر يوني في عام 1946. هاجرت العائلة مرّة أخرى إلى فلسطين في تشرين الثاني عام 1948، بعد الإعلان عن تأسيس دولة إسرائيل، وسكنت في القدس[16]. في ذلك العام، أسّس مناحيم بيچن، تلميذ ووريث جابوتنسكي، حركةَ «حيروت»، كحركة سياسيّة تمثّل التيّار التنقيحيّ في الدولة الجديدة، إلّا أنّ الحركة الجديدة وبيچن تحديدًا تعاملوا مع بِنْتْسِيُون كمهاجر جديد، وذلك أنّه لم يكن له دَوْر في الحرب ضدّ العرب والفلسطينيّين، فلم يقترح بيچن عليه تولّي أيّ منصب في الحركة الجديدة، حتّى إنّه لم يعرض عليه أن يكون له دور في المجلّة الناطقة بلسان الحركة، وذلك على الرغم من قدرات بِنْتْسِيُون الفكريّة والأكاديميّة، وهو الرجل الذي كان رائدًا في

(14) عدي عرمون، سيّدي كان بالنسبة إليّ والدي الثاني، هآرتس، (بالعبرية) 25/09/2017، https://shorturl.at/nbdW7

(15) كَسْپيت، كفير، نتنياهو: الطريق إلى السلطة، 26.

(16) Ben Caspit, The Netanyahu Years (New York: St. Martin's Press, 2017), pp. 21–22.

النشاط الفكريّ والصحفيّ في فترة الانتداب، والمقرّب من جابوتنسكي، وقد ولّد ذلك شرخًا بين الرجلين، وهو الشرخ الذي سيعود على نفسه بين أبناء الرجلين (بنيامين نتنياهو وبيني بيجن) في تسعينيّات القرن الماضي، والصراع بين نُخَب الليكود القديمة والشابّ الجديد في الحزب الذي يريد السيطرة عليه. في تشرين الأوّل عام 1949، وُلِد ابن بِنْتْسِيُون الثاني، بنيامين نتنياهو. يقول كسبيت وكفير في كتابهما إنّ بنيامين وُلِد في واقع كان فيه بِنْجوريون «عدوًّا» وبيجن ليس صديقًا [17]. تعمّق إحساس بِنْتْسِيُون بالإحباط خلال وجوده في إسرائيل؛ فكلّ محاولاته للعثور على فرصة عمل في المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة باءت بالفشل، وعاد إلى توجيه الاتّهام إلى حزب «مپاي» الحاكم بملاحقته سياسيًّا ومنعه من الحصول على عمل في الجامعات والمؤسّسات الأخرى.

وجد بِنْتْسِيُون ضالّته في اقتراح قدّمه له أستاذ التاريخ يوسف كلوزنر، الذي كان قد عُيِّن محرّرًا للموسوعة العبريّة، حيث نصّبه كلوزنر نائبًا له. وبعد سنوات، أصبح بِنْتْسِيُون محرّر الموسوعة. كان بِنْتْسِيُون من أشدّ المعجَبين بكلوزنر، فقد عرفه خلال نشاطه في الحركة التنقيحيّة خلال فترة الانتداب البريطانيّ، وكان يعتبره معلّمه وأستاذه، وكتب الكثير من المقالات مدحًا له؛ فقد كان كلوزنر من مفكّري الصهيونيّة التنقيحيّة، وهو كذلك عانى من إقصاء من طرف النخبة الأكاديميّة في الجامعة العبريّة آنذاك، وشارك بِنْتْسِيُون في الكثير من مبادراته الصحفيّة والثقافيّة خلال هذه الفترة [18]. في كانون الأوّل عام 1957، توجّهت نقابة العمال (الهستدروت) التابعة لحزب «مپاي» إلى داعمي الموسوعة العبريّة (وهي عائلة بلاي برئاسة مدير الموسوعة ألكسندر بلاي (1915–2007)، بشكوى مُفادُها أنّ بِنْتْسِيُون نتنياهو يقلّل من أهمّيّة دَوْر حركة العمل الصهيونيّة في تأسيس الدولة ومحاربة الإنچليز، ويَعزو للحركة التنقيحيّة بقيادة جابوتنسكي دَوْرًا أكبر. وبعد خمس سنوات من هذه الشكوى، وبعد إصدار عشرة مجلّدات من الموسوعة العبريّة، استقال بِنْتْسِيُون من عمله في الموسوعة العبريّة، وكانت استقالته قد جاءت بعد حصوله على منصب في إحدى جامعات الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وانتقلت العائلة للإقامة في الولايات المتّحدة، وبعد صعود الليكود إلى الحكم عام 1977، هاجرت العائلة عام 1978 إلى إسرائيل واستقرّت فيها. خلال مكوث العائلة في

(17) كَسْپيت، كفير، نتنياهو: الطريق إلى السلطة، 27.

(18) عرمون، سيّدي كان بالنسبة إليّ والدي الثاني.

الولايات المتّحدة، تجنّد يوني للجيش، وتبعه بنيامين نتنياهو فالتحق بالخدمة العسكريّة عام 1967.

يشير الصحفيّ آري شفيط إلى الأثر الذي تركه «نَفْي» بِنْتْسِيُون على العائلة: «على الرغم من أنّه [بِنْتْسِيُون] نال الشهرة بوصفه خبيرًا في مجاله في نهاية المطاف، فإنّ المؤسّسة الأكاديميّة الإسرائيليّة لم تعترف بقدراته على الإطلاق. وقد اضطُرّ، نتيجةً لذلك، إلى العمل في سلك التعليم والأبحاث في الولايات المتّحدة وتربية أولاده في الخارج. وقد ترك هذا الرفض – هذه التجربة القاسية التي اقترنت بالعظمة التي لم تحظَ بالاعتراف– أثرَهُ على عائلة نتنياهو، وبات يفرز تأثيرًا لا يُسْبَر غَوْره على رئيس الحكومة حتّى هذا اليوم. وهذا هو مصدر السلوك الثأريّ المستمرّ الذي ينتهجه نتنياهو الابن ضدّ النخبة اليساريّة في إسرائيل. إنّ بِنْتْسِيُون نتنياهو لم يورث العقلانيّة لابنه بنيامين فحسب، بل ترك له أيضًا الشعور بأنّه ينتمي إلى أخويّة حصريّة تلقى معاملة يصبغها الازدراء من نفس الإسرائيليّين الذين رفضوا والده».[19]

كان نتنياهو، خلال خدمته العسكريّة، ضابطًا في وحدة «مطكال» للعمليّات الخاصّة، وذلك حتّى العام 1972. بعد إنهاء خدمته في الجيش عام 1972، سافر إلى الولايات المتّحدة الأمريكيّة للدراسة، لكنّه عاد وشارك في حرب أكتوبر عام 1973، وبعدها عاد إلى الولايات المتّحدة حيث درس حتّى العام 1976 في المعهد التكنولوجيّ في ماساتشوستس (MIT)، وهي إحدى الجامعات المرموقة أكاديميًّا في الولايات المتّحدة والعالم، وقد حصل من المعهد على البكالوريوس في العمارة، والماجستير في إدارة الأعمال. بعد تخرُّجه استمرّ نتنياهو بالعيش في الولايات المتّحدة مستشارًا لشركة أمريكيّة، حتّى العام 1978. ثمّ تسلّم منصب مدير معهد يونتان لدراسة الإرهاب عام 1978، وهو المعهد الذي أقامته العائلة في الولايات المتّحدة على اسم شقيقه يوني بعد مقتله في عمليّة عنتيبي التي سنتحدّث عنها لاحقًا. كان لموت يوني، الذي أحبّه بنيامين نتنياهو حبًّا جمًّا، أثرٌ على قرار هذا الأخير خوض الحقل السياسيّ الإسرائيليّ؛ فالعائلة كانت تنظر إلى يوني باعتباره لاعبًا مستقبليًّا في الحقل السياسيّ، وإلى بنيامين باعتباره فاعلًا في الحقل الاقتصاديّ، وإلى عيدو

(19) أنطوان شلحت، بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل (رام الله: مركز مدار – المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014)، 83.

–شقيقهما الثالث– باعتباره عاملًا في المجال المهنيّ الأكاديميّ. بعد مصرع يوني، نفى بنيامين نتنياهو شخصيّة «بن نتاي» [اسمه في الولايات المتّحدة] عن ذاته، وبدأ بنيامين نتنياهو أو بيبي مرحلة جديدة في حياته [20].

في هذا المعهد سوف يخرج نتنياهو بتصوّراته عن «الإرهاب» ليزعم لاحقًا أنّه هو الذي أسهم في تغيير الرؤية الأمريكيّة في ما يتعلّق بهذا الموضوع[21]. في العام 1980، عاد نتنياهو إلى إسرائيل وعمل في شركة اقتصاديّة في القدس لمدّة عامين، قبل تعيينه ملحقًا سياسيًّا للسفارة الإسرائيليّة في واشنطن عام 1982، وهو ما سيكون نقطة التحوّل الأولى في طموحه السياسيّ نحو قمّة الهرم في إسرائيل. فقد دخل نتنياهو الحقل السياسيّ في ظلّ ظروف وتحوّلات ثقافيّة وتكنولوجيّة أنتجت مركزيّة الإعلام في السياسة، وهو كان الشخصَ الأكثر ملاءَمةً لتغيُّرات الحقل السياسيّ، وقد وصفه الباحث الإعلاميّ باروخ لشيم في كتاب عنه بأنّه «مدرسة في التسويق السياسيّ» [22].

دخول نتنياهو الحقل السياسيّ كخبير الإرهاب والإعلام

دخل نتنياهو الحقل السياسيّ الإسرائيليّ في العام 1982، بعد أن توجّه سفير إسرائيل في الولايات المتّحدة، آنذاك، موشيه أرنس، باقتراح له أن يشغل منصب الملحق السياسيّ للسفارة الإسرائيليّة في واشنطن. استرجع أرنس هذه اللحظة بقوله: «في بداية عام 1982، توجّهت إلى تسيبي رافِيَّح واقترحت عليه تولّي منصب الملحق السياسيّ في سفارة إسرائيل في واشنطن. رافيّح رفض ذلك. توجّهت إلى بيبي [اسم التحبّب لبنيامين نتنياهو] الذي وافق بعد عشرين دقيقة. عندما يقولون لي اليوم: انظر ما فعلتَ، لديّ جواب: ماذا تريدون منّي؟! هذا ذنْب تسيبي رافِيَّح» [23].

(20) أُورْلِي أَزُولاي–كَاتْس، الرجل الذي انتصر على ذاته: انتخابات 1999 (تل ابيب: يَدِيعُوت أَحَرُونُوت، 1999)، 75–77. (بالعبرية)

(21) . بنتسيو ننتياهو،»الإرهابي ومحاربو الحرية»، في: بنيامين نتنياهو (تحرير)، الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟ (تل أبيب: سفريات معاريف، 1987)، 58–53. (بالعبرية)

(22) ليشم، نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسيّ.

(23) كَسْبِيت، كفير، نتنياهو: الطريق إلى السلطة، 5.

التقى أرنس بنتنياهو أوّل مرّة خلال محاضرة كانت لنتنياهو في بوسطن، وقد أُعجِب أرنس بقدرته الخطابيّة وبعرضه للأمور، فضلًا عن لغته الإنجليزيّة الممتازة، حيث وصفه بأنّه رجل دعاية طبيعيّ[24]. عُيِّن نتنياهو ملحَقًا سياسيًّا في خضمّ الحرب على لبنان. وفي سبيل تسنُّم هذا المنصب تنازل، كما هو متّبَع، عن جنسيّته الأمريكيّة. في هذه الأثناء، كان لنتنياهو بنت وزوجة أمريكيّة جديدة. في واشنطن، شَرَعَ نتنياهو في بناء قيادته السياسيّة، فقد كان لمكانة أبيه ومعارفه في واشنطن، ومن خلال العلاقات التي عزّزها خلال عمله في معهد يونتان، دَوْرٌ في تعزيز مكانته الدبلوماسيّة في الولايات المتّحدة. استطاع نتنياهو أن يثبت جدارته بوصفه دبلوماسيًّا ناجحًا في وزارة الخارجيّة. ونجح، بدعم مباشر من أرنس، في أن يتفوّق على زملائه في السفارة على الرغم من أقدميّتهم وتجربتهم الأطول. كان نتنياهو يعتبر نفسه ابنًا لأرنس، والأخير كان يدفع صوب دمجه وتقديم المساعدة له، وقد كان نتنياهو يشغل منصب السفير بالوكالة، خلال مكوث أرنس في إسرائيل[25].

خلال الحرب على لبنان، جاءت مبادرة الرئيس الأمريكيّ رونالد ريجن لوقف الحرب، والعمل على مبادرة سلام أردنيّة – فلسطينيّة – إسرائيليّة. اقترح نتنياهو على أرنس فكرة أن تقوم إسرائيل بالترحيب بالمبادرة على أن تترك للآخرين رفضها. رفض بيجن هذا العرض، وشكّل هذا الأمر بالنسبة لنتنياهو درسًا سياسيًّا. وكما تشير الصحفيّة ڤيردي، اعتبر نتنياهو كلّ مبادرة أمريكيّة «مأساة»، واتّخذ موقفًا مغايرًا لموقفه الأوّل محاوِلًا تفسير وتسويق الموقف الإسرائيليّ الرسميّ في العالم[26].

في هذه الفترة، بدأ نتنياهو التقرّب من الحزب الجمهوريّ، ومن المجموعات المحافظة المقرّبة للحزب التي اعتبرت أنّ الاتّحاد السوفييتي يمثّل «مملكة الشرّ»، على حَدّ تعبير رونالد ريجن؛ حيث سيتبنّى نتنياهو هذا الموقف خلال الثمانينيّات معتبرًا أنّ الإرهاب العالميّ يعتمد على دعم الاتّحاد السوفييتيّ، وبعد الحرب الباردة سيَعتبر إيران الدولة الداعمة له، وذلك انسجامًا مع رؤيته أنّ الإرهاب

(24) رونيت ڤيردي، بيبي– من أنت، سيّدي رئيس الحكومة؟، (تل أبيب: منشورات كِيتِر، 1997)، 172. (بالعبرية)

(25) المصدر السابق، 175.

(26) المصدر السابق، 176.

يحتاج دائمًا إلى دولة لدعمه [27]. في مقابل تقرُّبه من مجموعات يمينيّة جمهوريّة محافظة، اعتَبَرَ الحزبَ الديمقراطيّ مماثلًا لحزب «ميّاي» في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ الذي يبغضه نتنياهو وعائلته تاريخيًّا.

استمرّ نتنياهو في عمله في الولايات المتّحدة، وهذه المرّة عمل مندوبًا لإسرائيل في الأمم المتّحدة (1984–1988). ركّز نتنياهو خلال عمله على المسألتين اللتين يحبّ التحدّث بشأنهما: الكارثة اليهوديّة والإرهاب. فمن خلالهما استطاع نتنياهو الظهور بصورة مكثّفة في الإعلام الأمريكيّ. نجح نتنياهو في إقناع الأمم المتّحدة بفتح أرشيف المؤسّسة حول الكارثة. وعلى الرغم من أنّ الأرشيف لم يحمل ما هو جديد بهذا الخصوص، نجح نتنياهو في الحصول على كلّ الفوائد الدعائيّة من هذا الحدث على المستوى السياسيّ الإسرائيليّ والشخصيّ. في ما يتعلّق بمسألة الإرهاب، سوّق نتنياهو نفسه خبيرًا للإرهاب، معتمدًا على نشاطه في معهد يونتان لدراسة الإرهاب، وعلى كونه شقيق يوني الذي لقي مصرعه خلال عمله ضدّ «الإرهاب». في هذه الأثناء، يُصدِر نتنياهو كتابه الأوّل (من تحريره) حول الإرهاب بعنوان «كيف تستطيع النظم الديمقراطيّة الانتصار على الإرهاب»، وهو كتاب تجميع لمحاضرات المؤتمر الذي نظّمه المعهد في هذا الشأن وحرّره نتنياهو[28].

في لقاء أجراه معه الصحفيّ اليمينيّ يعقوف أحيمئير في العام 1985، لم تكن إجابات نتنياهو تختلف عمّا يجيب به اليوم. في اللقاء سأله الصحفيّ: «هل هنالك حاجة إلى التفاوض مع «العدوّ»؟ فأجابه نتنياهو: «دعني أسألك: هل كانت هنالك حاجة إلى الحديث مع هتلر»؟ وفي أعقاب ذلك سأله الصحفيّ: «هل سنبقى نقاتل طَوال الوقت»؟ أجابه نتنياهو: «هنالك توقُّع أن تتحوّل إسرائيل إلى ديزني–لاند. لن يكون ذلك! أليس ثمّة في تاريخ الشعوب والدول من عاشوا كلّ الوقت بالحروب؟! سيبقى هنالك دائمًا قَتَلة ومجرمون، وسنبقى دائمًا نحتاج إلى الشرطة. لا يمكن البحث عن نهاية ذلك»[29]. تلك مقولات سيبقى نتنياهو يردّدها حتّى يومنا، في اعتبار أنّ أعداء إسرائيل هم هتلر، وأنّ على إسرائيل الاستعداد الدائم للحرب في كلّ لحظة. وَجَد نتنياهو في تسويق نفسه إسرائيليًّا ودوليًّا على أنّه خبير في الإرهاب،

(27) Benjamin Netanyahu, ed., Terrorism: How the West Can Win (New York: Farrar, Straus and Giroux, 1986) 53-58

(28)Ibid.

(29) فيردي، بيبي– من أنت، 206.

وَجَد تعويضًا عن الخلفيّة العسكريّة التي ميّزت معظم القيادات السياسيّة ذات الخلفيّة العسكريّة؛ فإسرائيل عرفت العسكر الذين يخوضون في الشأن السياسيّ والإستراتيجيّ، ويحظَوْن بشرعيّة جماهيريّة كبيرة، وما كان نتنياهو يستطيع أن يجد له مكانًا بينهم على الرغم من خدمته في وحدة «مطكال»، فهي وحدة تقوم بتنفيذ أعمال تكتيكيّة عينيّة، وليس لها تداخل كبير في الشأن العسكريّ الشامل، وهو ما ميّز جنرالات دخلوا السياسة كيتسحاق رابين وأريئيل شارون وموشيه ديان وغيرهم، كما أنّ قائد وحدته، إيهود براك، أكمل خدمته العسكريّة وحفر لنفسه مكانة مرموقة في الذاكرة والتاريخ العسكريّ الإسرائيليَّيْن. لذا ركّز نتنياهو خلال حياته على موضوع الإرهاب، حتّى الآن، معتبرًا أنّه هو الخبير الأوّل عالميًّا في هذا الشأن، وسوّق نفسه بذكاء في هذا المجال.

منذ تأسيس دولة إسرائيل، رأَسَ حزبَ الليكود (حركة حيروت – تاريخيًّا) أربعُ شخصيّات، شكّلوا كلّهم حكومات في إسرائيل: مناحيم بيچن؛ يتسحاق شامير؛ أريئيل شارون؛ نتنياهو. يختلف نتنياهو عن الثلاثة الأوائل. فكلّهم من رعيل المؤسّسين، وهو من مواليد إسرائيل (عام 1949). اثنان منهم (شامير وشارون) جاءا على شرعيّة ارتكزت أيضًا على خلفيّتهم العسكريّة[30]؛ شامير بدوره في عصابة الليحي التي حاربت في عام 1948، وانخراطه في الجهاز الأمني الإسرائيليّ لاحقًا، والثاني الذي لُقّب «ملك إسرائيل»، شارك تقريبًا في كلّ حروب إسرائيل، وكان جنرالًا ترك بصمة في العسكريّة الإسرائيليّة. أمّا مصدر شرعيّة بيچن، فكان يعود إلى كونه الأبَ المؤسّس لليكود وقائدَه التاريخيّ، والمُعارضَ الشرس لداڤيد بِنْچوريون. في المقابل، لأنّ نتنياهو يفتقر إلى كلّ هذه المصادر من الشرعيّة، طوّر منظومة «خبير الإرهاب» كمصدر شرعيّة جديد، فضلًا عن تأجيج الكراهيَة وإشاعة الخوف في صفوف الإسرائيليّين؛ فإذا كان بيچن يتميّز بخطاب شعبويّ احتوائيّ، فإنّ نتنياهو تميّز بخطاب شعبويّ إقصائيّ.

(30) Thomas Mitchell, Likud Leaders: The Lives and Careers of Menahem Begin, Yitzhak Shamir, Benjamin Netanyahu and Ariel Sharon (North Carolina: McFarland & Company, 2015)

ونعود إلى مسيرته السياسيّة... عزّز نتنياهو علاقاته مع الإدارة الأمريكيّة الجمهوريّة، ومع وسائل الإعلام الأمريكيّة، وكان يشدّد على علاقته الشخصيّة مع رئيس الحكومة شامير ووزير الدفاع أرنس (كانت تحكم إسرائيلَ آنذاك حكومةُ وَحدة وطنيّة- 1988-1984)، وكان يَعتبر نفسَه أهمّ من السفير الإسرائيليّ في واشنطن. كان ظهور نتنياهو الإعلاميّ في الولايات المتّحدة، ومنصبه كمندوب إسرائيل في الأمم المتّحدة، مرحلة مهمّة في انطلاقته الشخصيّة القويّة في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ بعد ذلك. وفعلًا، بعد انتهاء مدّة عمله في الأمم المتّحدة، انتُخِب نتنياهو في المكان الخامس في قائمة الليكود لانتخابات عام 1988، وكان ذاكَ نجاحًا باهرًا بالنسبة له؛ فقد برز كشخصيّة سياسيّة حزبيّة لامعة، واستطاع أن يحصل على ثقة أعضاء الليكود، والتواصل مع فروع الحزب. كان الليكود في ذاك الوقت يبحث عن شخصيّات جديدة شابّة وكارزماتيّة، ووجد ذلك في شخصيّة نتنياهو، إلّا أنّ شامير رفض لاحقًا تعيينه وزيرًا في الحكومة على الرغم من نجاحه البالغ في الانتخابات الداخليّة، وعُيّن نائبًا لوزير الخارجيّة آنذاك، دافيد ليفي. وعيّنه لاحقًا نائبَ وزير في مكتب رئيس الحكومة. خاضت هذه الحكومة تحدّيَ حرب الخليج الأولى، وكان نتنياهو أحد أبرز المتحدّثين عن الحكومة في وسائل الإعلام العالميّة خلال الحرب، فقد كان راعيه السياسيُّ، موشيه أرنس، وزيرًا للدفاع. وبعد الحرب، جاءت المبادرة الأمريكيّة لعقد مؤتمر مدريد للسلام، وسيكون لنتنياهو دَور مركزيّ فيه.

يشير الكاتبان چادي بلوم ونير حيفتس، في كتابهما «الراعي» حول سيرة شارون الذاتيّة، أنّ شارون عارض أن يشارك يتسحاق شامير في مؤتمر مدريد للسلام، ويؤكّدان أنّ شامير قام خلال هذه الفترة بإقصاء شارون الذي كثّف من البناء في المستوطنات بوصفه وزيرًا للإسكان، وقرّب إليه بنيامين نتنياهو الذي شغل في تلك الأثناء منصب نائب وزير الخارجيّة. حاول شارون إفشال مؤتمر مدريد؛ ففي كلّ زيارة كان يقوم بها وزير الخارجيّة الأمريكيّ جيمس بيكر لإسرائيل والمنطقة للتحضير لمؤتمر مدريد، كان يستقبله شارون ببناء المزيد من الوحدات السكنيّة في المستوطنات، وإقامة مستوطنات جديدة نحو: بات عين؛ كَتْيحيفتس؛ طلمون؛ عوفريم [31]. عشيّة انعقاد مؤتمر مدريد، أعلن شارون عن عزمه منافسة شامير

(31) چادي بلوم، وَنير حيفتس، الراعي: قصّة حياة أريئيل شارون، (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2005)، 453. (بالعبرية)

على قيادة حزب الليكود، وكان هذا الإعلان دراماتيكيًا؛ إذ لم ينافس أحدٌ شامير على قيادة الليكود، ولا سّيما قادته التاريخيّين (شارون؛ موشيه أَرِنْس- وزير الدفاع؛ داڤيد ليڤي- وزير الخارجيّة). في هذه الفترة، تدهورت كذلك علاقة داڤيد ليڤي بشامير، حيث فضّل الأخيرُ نائبَ وزير الخارجيّة (بنيامين نتنياهو) عليه في إشراكه في التحضيرات لمؤتمر مدريد، وهمّش ليڤي كوزير للخارجيّة. وعلى الرغم من أنّ الدول العربيّة المشاركة في المؤتمر أعلنت أنّها ستبعث بوزراء خارجيّتها ممثّلين لها في المؤتمر، اختار شامير السفر برفقة نتنياهو للمشاركة في المؤتمر تاركًا ليڤي في إسرائيل. تحوّل نتنياهو الذي رافق شامير إلى الناطق المركزيّ في وسائل الإعلام العالميّة لشرح موقف إسرائيل، مستغلًا مهارته في اللغة الإنجليزيّة وقدرته الخطابيّة والدعائيّة.

في هذه الفترة، تنبّه شارون أنّ عليه خوض الانتخابات بجِدّيّة على منصب رئيس حزب الليكود، وهذه المرّة خوفًا من النجم الصاعد الجديد في الحياة السياسيّة، بنيامين نتنياهو، الذي قد يشكّل بديلًا محتمَلًا لشامير بعد أن تعزّزت شعبيّته في السنوات الأخيرة، وحصل على شرعيّة شامير بوصفه متحدّثًا أوّل باسْم دولة إسرائيل، على حساب القيادات القديمة في الليكود. وقبل أيّام من افتتاح المؤتمر في تشرين الأوّل عام 1991، طالب شارون شامير بالاستقالة بسبب مشاركته في المؤتمر، وذلك تعزيزًا لمكانته في حزب الليكود[32]. إلى جانب بداية صعود نتنياهو كبديل للقيادة في الليكود كما توقّع شارون، وهو ما حصل لاحقًا، كشف يسرائيل هرئيل أحد قيادات المستوطنين، ورئيس مجلس المستوطنات سابقًا، في مقالة له، أنّ بيني كتسوفير، وهو أحد قيادات حزب «هتحيا» اليمينيّ المتطرّف، والذي كان شريكًا في الائتلاف الحكوميّ في حكومة شامير، كشف أنّ نتنياهو عمل على إقناعهم لإسقاط حكومة شامير بسبب مشاركته في مؤتمر مدريد، وهو الذي شارك في المؤتمر نفسه، حيث هاتف نتنياهو رئيس الحزب، يوڤال نئمان، وطلب منه تهديد شامير بالانسحاب من الحكومة، لأنّه (أي شامير) على وشك الانهيار في المحادثات، وطالبه «بإيقاف شامير عند حدّه»[33]. وجاء مقال هرئيل في أعقاب

(32) المصدر السابق، 455.

(33) يِسْرَائِيل هَرْئِيل، بيني كَتْسُوبير من قيادات هَتْحِيَّاه: نتنياهو طالب حزب هتحيا بالانسحاب من حكومة شامير عام 1992، هآرتس، بالعبرية) 29 /12/2017: https://www.haaretz.co.il/news/politi/2017-12-29/ty-article/.premium/0000017f-db73-d3a5-af7f-fbffdc3a0000

الضغط الذي يمارسه نتنياهو على اليمين الإسرائيليّ بعدم الانجرار وراء مطالبته بالاستقالة بسبب قضايا الفساد، لأنّ ذلك سيعيد سيناريو إسقاط حكومة شامير التي أدّت إلى توقيع اتّفاق أوسلو لاحقًا، باعثًا برسالة إلى اليمين أنّ إسقاطه سيؤدّي إلى أوسلو جديد. وهو ما دفع قيادة حزب هتحيا إلى الخروج ضدّ نتنياهو بهذا الخصوص، لتفنيد ادّعائه بشأن دَورهم في إسقاط حكومة شامير.

على أيّة حال، حدّد حزب الليكود شهر شباط من العام 1992 موعدًا لانتخابات رئيس الحزب، وفي هذه الدورة تنافس نتنياهو على العضويّة في قائمة الليكود فقط. بينما شارون الذي كان يأمل في الفوز في هذه الانتخابات برئاسة الحزب حصل على المركز الثالث بنسبة 22%، بينما حصل شامير على 46% وداڤيد ليڤي على 31%. في هذه الانتخابات، حصل نتنياهو على الموقع الخامس في قائمة الليكود للانتخابات كما ذكرنا سالفًا. في الانتخابات العامّة في إسرائيل في العام نفسه، خسر الليكود الحكم، وصعد حزب العمل إلى الحكم من جديد بقيادة يتسحاق رابين. في أعقاب الخسارة، اندلعت في الليكود حروب داخليّة بين القيادات القديمة، وهو ما أفاد منه النجم الصاعد نتنياهو الذي عرض نفسه كقيادة جديدة في الحزب، ولا سيّما في أعقاب قضايا الفساد التي بدأت تتكشف في فترة سنوات حكم الليكود الأخيرة، والتي أخرجت مئات الآلاف من المتظاهرين إلى الشوارع رافعين شعار «سئمنا من الفاسدين»، وهي الاحتجاجات التي استغلّها حزب العمل جيّدًا في حملته الانتخابيّة التي حملت شعار «إسرائيل تنتظر رابين».

قبل خسارة الليكود الحكم، أقرّ الحزب قانون الانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة، على أن يجري ذلك لأوّل مرّة في الانتخابات التي تعقب انتخابات عام 1992، وكان نتنياهو من المؤيّدين البارزين لهذا التغيير، وربّما كان هذا أحد الأسباب التي تفسّر تأنّيه في المنافسة على رئاسة الليكود عام 1992، فضلًا عن تمرُّغ حزب الليكود في قضايا فساد أراد نتنياهو الابتعاد عنها، وتحضير نفسه لانتخابات رئاسة الليكود القادمة.

في أعقاب هزيمة الليكود في الانتخابات، أعلن شامير عن استقالته من رئاسة حزب الليكود، الأمر الذي فتح المنافسة على رئاسة الحزب، بين الجيل القديم (شارون؛ أرنس؛ ليڤي) والجيل الجديد (موشيه كتساڤ؛ مئير شطريت؛ بيني بيچن)، إلّا أنّ شخصيّة نتنياهو كانت الأبرز، وقام بتعزيز مواقعه في الحزب

وداخل فروعه. وبعد إعلان أرنس عن عدم رغبته في الترشّح لرئاسة الحزب، أعلن نتنياهو على نحوٍ رسميّ عن ترشّحه لهذا المنصب. في شهر تشرين الثاني عام 1992، انعقد مركز الليكود لمناقشة مسألة إعادة ترميم الحزب. في هذا الاجتماع، اقترح نتنياهو تبنّي طريقة الانتخابات التمهيديّة (البرايمريز) لاختيار رئيس الحزب وقائمة مرشّحيه للكنيست. وفيه كذلك ظهر نتنياهو قائدًا حقيقيًّا للحزب؛ فقد استقبله أعضاء الحزب بالترحيب الشديد. أدرك شارون، الذي توقّع صعود نتنياهو في فترة شامير، أنّ آماله في الفوز برئاسة الحزب أمام نتنياهو ليست كبيرة، فأعلن عدم خوضه المنافسة على المنصب. أمّا نتنياهو الذي كان يحتاج إلى تأييد 75% من أعضاء مركز الليكود لتمرير فكرة الانتخابات التمهيديّة (وهي نسبة كبيرة كانت تحتاج إلى جهود فائقة لإقناع الحزب بها)، فقد حصل بشأن تبنّي فكرة الانتخابات التمهيديّة على تأييد 80%. بذا كانت هذه الخطوةَ الأولى التي يقوم بها نتنياهو وتُظهر على نحوٍ غير قابل للشكّ أنّ الليكود يمرّ بمرحلة جديدة، بقيادة شابّ جديد احتلّ مواقع الحزب وهزم القيادةَ القديمة والقيادةَ الجديدة الصاعدة من الحكم المحلّيّ (شِطْريت وكَتْساف)، وهزم طبقة «الأمراء» في الحزب -وهو اللقب الذي أُطلق على أبناء قيادات الليكود من الرعيل الأوّل (من بين هؤلاء: بيني بيچن ودان مريدور).

في الانتخابات التمهيديّة التي جرت لأوّل مرّة في الليكود في الرابع والعشرين من آذار عام 1993، فاز نتنياهو برئاسة حزب الليكود بأغلبيّة الأصوات (52%)، بينما حصل داڤيد ليڤي على 26% من الأصوات، وحصل بيني بيچن (نجل مناحيم بيچن) على 15%، ولم يحصل موشيه كتساف على أكثر من نسبة 7% من الأصوات. كان فوز نتنياهو كبيرًا، إذ أحدثَ زلزالًا في حزب الليكود وفي الحياة السياسيّة في إسرائيل عمومًا؛ فلأوّل مرّة يرأس حزبَ الليكود سياسيٌّ من الرعيل الثاني (بعد مناحيم بيچن ويتسحاق شامير)، وسيكون فيما بعد أوّلَ رئيس حكومة وُلِد بعد قيام دولة إسرائيل.

جاء فوز نتنياهو على الرغم من تكشُّف أوّل مشكلة شخصيّة لاحقته؛ فقبل الانتخابات التمهيديّة في الحزب، وتحديدًا في الرابع عشر من شهر كانون الثاني عام 1993، ظهر نتنياهو على التلفزيون الإسرائيليّ كاشفًا عن أنّ هنالك أشخاصًا هدّدوه بنشر تسجيل له يؤكّد وجود علاقة غراميّة له مع امرأة أخرى (اتّضح

لاحقًا أنّ اسمها روت بار، وهي امرأة متزوّجة عملت في مجال العلاقات العامّة في مكتب نتنياهو)، وذلك إذا لم يسحب ترشيحه من رئاسة حزب الليكود، وقد اعترف نتنياهو خلال اللقاء التلفزيونيّ أنّه كانت له علاقة مع امرأة أخرى خارج حياته الزوجيّة، وأنّ هذه العلاقة استمرّت لفترة وجيزة وانتهت، مشدِّدًا أنّ هذا الأمر يخصّه شخصيًّا طالِبًا العفو من زوجته سارة. وقال نتنياهو في اللقاء نفسه إنّه يعرف مَن يقف وراء هذا التهديد، مشيرًا أنّه لا يستحقّ أن يكون من قيادات الدولة. وتلك مقولة وجّهت الأنظار صوب داڤيد ليڤي الذي أنكر صلته بالموضوع. الغريب في هذه القصّة أنّ نتنياهو قدّم شكوى للشرطة بهذا الخصوص، إلّا أنّه لم يتوصّل إلى معرفة هُويّة من يقف وراء التهديد، ولم يثبت وجود تسجيل، أو وجودًا لتهديد وُجِّه لنتنياهو أصلًا. طالب داڤيد ليڤي من نتنياهو بالاعتذار له، وهو ما فعله نتنياهو بعد عامين من تفجُّر القضيّة. هذه القضيّة ستلاحق نتنياهو إلى ما قبل انتخابات عام 1996 بأسبوع، حيث وصل إلى مسامعه أنّ وسيلة إعلام مركزيّة سوف تنشر تقريرًا عن هذه القضيّة. حاول نتنياهو، بكلّ ما أُوتِيَ من قوّة وبشبكة علاقاته، إحباطَ أو تجميد نشر التقرير، من خلال الاتّصال بشخصيّات مقرَّبة من رئيس تحرير هذه الصحيفة، وفي النهاية توجّه إلى أريئيل شارون الذي كانت لديه علاقة مقرّبة من رئيس التحرير، ونجح في وقف نشر التقرير، ومنذ ذلك الوقت يحمل نتنياهو موقفًا معاديًا للإعلام معتبِرًا أنّ وسائل الإعلام تحاول الإطاحة به وإفشاله [34].

بعد انتخاب نتنياهو لرئاسة حزب الليكود، بدأت فترة «الدكتاتور»، وهو لقب أطلقه مكسيم ليڤي (رئيس بلديّة الدّ، وشقيق داڤيد ليڤي) على نتنياهو[35]. فقد قام نتنياهو، بمساعدة المدير العامّ لحزب الليكود الجديد، أفيچدور ليبرمان، الذي عيّنه بُعَيْد انتخابه، قام بتغيير دستور الحزب، بحيث منح الدستورُ الجديد رئيسَ الحزب صلاحيات غير مسبوقة. في ما بعد، سيطر نتنياهو بمساعدة ليبرمان على كلّ فروع الليكود في إسرائيل، حيث دعم مؤيّدوه مَن هُم في صفّ نتنياهو وأضعفوا مَن هُم في صفّ الآخرين من قيادات الليكود القديمة. في هذه الأجواء، تعزّزت سيطرة نتنياهو على حزب الليكود، ولا سيّما عندما قاد الليكودَ نحو فوز كبير في الانتخابات المحلّيّة في نهاية عام 1993، حيث فاز مرشّحو الليكود

(34) ڤيردي، بيبي- من أنت.

(35) حيفتس، الراعي: قصّة حياة أريئيل شارون، 465.

برئاسة المدن الكبيرة؛ فلأوّل مرّة يتقلّد مرشّح الليكود منصب رئاسة بلديّة القدس (إيهود أولمرت)، وفاز مرشّحو الليكود برئاسة مدن كبيرة ومهمّة، نحو: تل أبيب؛ بئر السبع؛ رمات چان... عزّز فوز الحزب في الانتخابات المحلّيّة قيادة نتنياهو، وأعطت التغييرات التي أحدثها في الحزب مصداقيّة، وقرّبته بخطوة كبيرة نحو رئاسة الحكومة.

التحريض على رابين وفوزه برئاسة الحكومة

«قتلتَ وأيضًا ورثتَ» -انتشرت هذه المقولة التوراتيّة بعد فوز نتنياهو برئاسة الحكومة عام 1996، للدلالة على الدور التحريضيّ الذي قام به نتنياهو قُبَيْل اغتيال رابين. قاد نتنياهو حملة التحريض على حكومة يتسحاق رابين في أعقاب توقيع اتّفاق أوسلو في أيلول عام 1993. في آذار عام 1994، شارك نتنياهو في مظاهرة كبيرة في الخليل، وذلك قبل وصول الشرطة الفلسطينيّة إلى المدينة. في هذه المظاهرة رُفعت رسومات لرابين بصورة فرعون مصر، كُتِب عليها «تجاوزنا فرعون وسنتجاوز هذا أيضًا». استمرّت مظاهرات اليمين بالتصاعد والشراسة، ولا سيّما بعد عمليّات التفجير في عام 1994 إثر توقيع اتّفاق أوسلو، العمليّات التي نفّذتها حركة حماس انتقامًا لشهداء مجزرة الحرم الإبراهيميّ الشريف في الخليل من العام نفسه، والتي قتلت عشرات الإسرائيليّين. وعشيّة وصول عرفات إلى غزّة، نظّم اليمين مظاهرة كبيرة في القدس، شارك فيها نتنياهو الذي هاجم الحكومة لأنّها سمحت لعرفات بدخول قِطاع غزّة. في هذه المظاهرة صرخ الحضور بأنّ رابين خائن. بينما كانت المظاهرة الأكثر تحريضًا على رابين وشارك فيها نتنياهو تلك التي نُظّمت في القدس في تشرين الأوّل عام 1995، في أعقاب التوقيع على اتّفاق أوسلو «ب» (اتّفاق طابا)، حيث وقف نتنياهو على شرفة في «كيكار تْسيُون» (ساحة صهيون)، نازعًا شرعيّة حكومة رابين التي تعتمد على العرب (يقصد الأحزاب العربيّة التي دعمت الحكومة من خارج الائتلاف الحكوميّ والتي سُمِّيت الكتلة المانعة، وبفضلها أُقِرّ اتّفاق أوسلو في الكنيست). في هذه المظاهرة، رُفِعت صور رابين وهو في زيّ الشرطة النازيّة (إس إس) ولافتات كُتب عليها «رابين خائن» وَ«رابين قاتل»، وصورة رابين مع كوفيّة بجسم كلب (دلالة على الشريك الفلسطينيّ)، وأُحرقت صور رابين، وهي المظاهرة التي عَلِقت في الذاكرة الإسرائيليّة (اليساريّة طبعًا) كمظاهرة أسهمت في التحريض المباشر على قتل

رابين، وبخاصّة أنّ نتنياهو لم يعترض أو يحتجّ خلال المظاهرة على هذه الصور والأصوات، وهو ما نفاه نتنياهو لاحقًا. في مظاهرة أخرى ضدّ حكومة رابين في الشهر نفسه نُظّمت في مستوطنة «إفرات» في الضفّة الغربيّة، أعلن الحاخام الرئيسيّ للمستوطنة أنّ نتنياهو هو رئيس الحكومة القادم لدولة إسرائيل. وفي الرابع من تشرين الثاني عام 1995، اغتيل رابين خلال مشاركته في مظاهرة في تل أبيب دعمًا لحكومته. في جنازة رابين رفضت عقيلته، ليئا رابين، مصافحة نتنياهو، وهكذا تحوّل نتنياهو من نجم صاعد وقائد منتظر (عطفًا على المسيح المنتظر) لرئاسة الحكومة إلى شخصيّة غير مرغوب بها في صفوف شرائح كبيرة في المجتمع الإسرائيليّ.

في كتاب «الراعي»[36]، يشير مؤلِّفا الكتاب أنّه في الوقت الذي حملت عائلة رابين موقفًا مناهضًا لنتنياهو بُعَيْد مقتل رابين، استُقبل شارون بحميميّة في بيت عزاء العائلة، على الرغم من أنّ الاثنين شاركا وخَطَبا في تلك المظاهرات نفسها التي اتّسمت بتحريض ضدّ رابين[37]. وفي الإمكان أن يُعزى هذا التباين في موقف عائلة رابين إلى عاملَيْن: الأوّل أنّ الجذور الأيديولوجيّة لشارون تعود إلى تلك المنظومة الفكريّة والأمنيّة والسياسيّة التي آمن بها رابين، أي حركة «مپاي» كما صاغها بِنْچوريون؛ والثاني أنّه ربّما ترسّخت لدى عائلة رابين (ومُجْمَل اليسار الصهيونيّ في ذلك الوقت) أنّ معارضة شارون لرابين كانت أيديولوجيّة ولم تكن شخصيّة، بينما مزج نتنياهو بين الأيديولوجيّ والعداء الشخصيّ لرابين، فضلًا عن أنّ نتنياهو كان منافس رابين على قيادة الدولة، وتأثيره على الجمهور كان أكبر من تأثير شارون. ففي مقابلة مع عقيلة رابين، ليئا (تُوفّيت عام 2000)، قالت إنّها لن تسامح نتنياهو أبدًا، فهو كان «مهندس التحريض» على زوجها[38].

أدّى مقتل رابين إلى تراجع في شعبيّة نتنياهو؛ فبعد أن منحته استطلاعات الرأي تفوّقًا على رابين بنسبة 10% في نهاية عام 1994، منحت پيرس تفوّقًا كبيرًا على نتنياهو بفارق 30% بعد مقتل رابين والصدمة التي أصابت المجتمع الإسرائيليّ

(36) المصدر السابق.

(37) المصدر السابق، 479.

(38) سمدار شمولي، ليئا رابين توفّيت في مستشفى بيلنسون، موقع ynet (بالعبرية) https://shorturl.at/PxNT1:12/11/2000

في أعقاب الاغتيال[39]. كانت مَهمّة نتنياهو صعبة في إعادة إنتاج قيادته لليكود من جديد بعد الجوّ العامّ الذي ساد المجتمع الإسرائيليّ في أعقاب الاغتيال، حيث وُجّهت إليه مسؤوليّة مباشرة على التحريض ضدّ رابين. فبعد أن عزّز سيطرته على الحزب ومؤسّساته، بمساعدة ليبرمان، صدرت مبادرة من داخل الحزب تهدف إلى تغيير نتنياهو واستبداله بأحد أمراء الليكود، دان مريدور، وهو يمينيّ ليبراليّ وشغل منصب وزير القضاء في حكومة شامير، وفي عهده شُرّعت قوانين أساس ذات طابع ليبراليّ، مثل قانون أساس حرّيّة الإنسان وكرامته.

وفي هذه الظروف، ظهرت مرّة أخرى عوامل أسهمت في فوز نتنياهو لاحقًا في انتخابات رئاسة الحكومة، علمًا أنّ انتخابات عام 1996 كانت أوّل انتخابات تجري حسب طريقة الانتخابات المباشرة لرئاسة الحكومة، بحيث يصوّت الناخب ببطاقتين، واحدة للحزب والأخرى لرئاسة الحكومة. على المستوى الداخليّ وقف شارون، خصم نتنياهو، هذه المرّة إلى جانبه وعارض تغييره بمرشّح جديد، وأيّد الإبقاء على نتائج الانتخابات التمهيديّة التي جرت عام 1993، وهي التي انتُخب فيها نتنياهو رئيسًا للحزب ومرشّحًا لرئاسة الحكومة. كذلك قام نتنياهو بصياغة خطاب جديد معتبرًا أنّ مَهمّة حكومته لن تكون إلغاء اتّفاقيّات أوسلو، بل الحفاظ على ما تبقّى من «أرض إسرائيل»، مؤكّدًا أنّ إسرائيل لن تحتلّ من جديد قِطاع غزّة، ولن تفكّك السلطة الفلسطينيّة، ولكنّه أكّد أنّه «ليس هنالك سبب لتوسيع مساحة الحكم الذاتيّ»[40].

وعلى الرغم من أنّ الانتخابات كانت ببطاقتين، فإنّ تجنيد أحزاب لدعم مرشّح معيّن والإعلان عن ذلك كانت تُعتبر هامّة لفوزه. وفعلًا، بمساعدة شارون استطاع نتنياهو تشكيل قائمة تحالف لانتخابات الكنيست تكوّنت من الليكود، وحزب «تسومت» برئاسة رفائيل إيتان، وحزب «چيشر» برئاسة داڤيد ليڤي (الذي انسحب من الليكود على خلفيّة صراعه من نتنياهو). وقد منح نتنياهو كِلا الحزبين تمثيلًا متساويًا في قائمة الليكود: سبعة أعضاء لكلّ حزب في المقاعد الأربعين الأولى. في هذه الأثناء، انضمّ الجنرال يتسحاق مردخاي إلى الليكود (وهو الذي سيعيّنه

(39) يوناتان مندلوف، الصراع المزدوج لدى الليكود: بين المطرقة والسندان، (القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 1999)، 243. (بالعبرية)

(40)المصدر السابق، 244.

نتنياهو لاحقًا وزيرًا للدفاع) وفاز بالمكان الأوّل في الانتخابات التمهيديّة للحزب، وجاء شارون في المركز الثاني. وهكذا استطاع نتنياهو أن يعيد ترميم الحزب، والأهمّ أنّه تمكّن من ترميم مكانته فيه وتعزيز آماله في الفوز.

بَيْدَ أنّ أحداثًا أخرى أدّت دَورًا لا يقلّ أهمّيّة في فوز نتنياهو برئاسة الحكومة. فبعد اغتيال رابين، انتُخب شمعون بيرس لرئاسة الحكومة من قِبل الائتلاف الحكوميّ القائم، ولم يستغلّ تفوُّقه الكبير على نتنياهو بعد الاغتيال معلنًا عن انتخابات مباشرة وسريعة، حيث أراد بيرس أن يحكم فترة معيّنة قبل الانتخابات، حتّى يفوز بجهوده، وإثبات جدارته بالمنصب، لا بفضل الظروف التي وفّرتها له عمليّة الاغتيال. وهكذا جرى تعيين موعد الانتخابات في أيّار عام 1996، أي بعد اغتيال رابين بنصف عام. استغلّ نتنياهو هذه الفسحة الزمنيّة أفضل استغلال، وبدأ ببناء إستراتيجيّة انتخابيّة مستعينًا بخبراء في الحملات الانتخابيّة، وعلى رأسهم شخصان: أرثور فنكلشطاين وإيال أراد، وهما خبيران في الحملات الانتخابيّة وكان لهما دَوْر، ولا سيّما فنكلشطاين، في فوز مرشّحين من الحزب الجمهوريّ برئاسة الولايات المتّحدة الأمريكيّة. وهكذا أدخَلَ نتنياهو الثقافة الأمريكيّة إلى الحملة الانتخابيّة الإسرائيليّة.

أظهرت استطلاعات للرأي آنذاك أنّ 85% من الجمهور اليهوديّ يعارضون بشدّة أيّ تنازل في القدس، وأنّ 56% منه يعارضون الانسحاب من هضبة الجولان، وأنّ نسبة 50% من هذا الجمهور تعارض إقامة دولة فلسطينيّة [41]. أدرك نتنياهو أنّ قضيّة القدس تُعتبر قضيّة مركزيّة لدى الجمهور اليهوديّ، وهو ما أوحى له ولمستشاريه الانتخابيّين فكرة إطلاق شعار حملتهم الانتخابيّة الذي تمثّل في أنّه «بيرس سوف يُقسّم القدس». لم تنحصر أخطاء بيرس في عدم إجراء الانتخابات مباشرة بعد الاغتيال، بل لقد أصدر هو نفسه أمرًا باغتيال يحيى عيّاش (أحد أهمّ قياديّي الجناح العسكريّ في حركة حماس، والذي كان «مهندس» العمليّات التفجيريّة في إسرائيل)، وأعلن عن حملة عسكريّة على لبنان، سُمّيت «عناقيد الغضب»، وذلك قبل أسابيع قليلة من الانتخابات. كان بيرس يبتغي من خلال هاتين العمليّتين بناءَ شخصيّته كزعيم أمنيّ قادر على اتّخاذ قرارات عسكريّة، لا «رجل سلام» يقدّم تنازلات، ولا سيّما أنّه كان يشغل منصب وزير الدفاع إلى جانب

(41) كيرن نويبخ، انتخابات 1996 (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1996)، 36. (بالعبرية)

كونه رئيس الحكومة (وهما منصبان ورثهما عن رابين بعد اغتيال الأخير). فشل بيرس في تحقيق أهدافه من هاتين العمليّتين، وأسهمتا في تعزيز آمال نتنياهو بالفوز؛ فبعد اغتيال يحيى عيّاش انتقمت له حركة حماس بسلسلة من العمليّات التفجيريّة داخل إسرائيل، ممّا أعاد إلى الصدارة قضيّة الأمن الشخصيّ لتَكُون قضيّة مركزيّة في المجتمع الإسرائيليّ، وهكذا عاد نتنياهو مع هذه التفجيرات إلى مرحلة شعبيّته التي سبقت اغتيال رابين، والتي رافقت كونه «خبيرًا في الإرهاب»؛ فقد غيّبت هذه التفجيرات الصدمةَ التي خلّفها اغتيال رابين على وعي المجتمع الإسرائيليّ، وأعادت إلى الأذهان الفترة الأمنيّة الصعبة التي سبقت الاغتيال. إلى جانب ذلك، فشلت عمليّة «عناقيد الغضب» في تحقيق أهدافها السياسيّة، وجلبت على إسرائيل نقدًا دوليًّا واسعًا، وبخاصّة بعد المجزرة التي ارتكبها الجيش الإسرائيليّ في بلدة قانا اللبنانيّة، تلك المجزرة التي أدّت إلى مقتل نحو مئة مدنيّ، من بينهم أطفال. وبمهارة نتنياهو الانتخابيّة والسياسيّة البارعة، تمكّن من استغلال كلّ الظروف في طموحه نحو رئاسة الحكومة؛ فمن جهة سوّق للجمهور اليهوديّ أنّ بيرس سيُقسّم القدس، ومن جهة ثانية أدرك أنّ المجتمع اليهوديّ لم يقتنع تمامًا بفكرة أيديولوجيّة الليكود المتمثّلة في فكرة «أرض إسرائيل الكاملة»، فأعلن عن تأييده الانفصال عن الفلسطينيّين، ولكن مع الحفاظ على الأمن الشخصيّ، وهكذا جاء الشعار الثاني لليكود في الانتخابات «نتنياهو: نصنع سلامًا آمنًا». وهكذا انتصر نتنياهو الشابّ الطمّاح على شيخ السياسة الإسرائيليّة، بيرس، فقد حصل نتنياهو على 50.5% من الأصوات، وحصل بيرس على 49.5%. حصل نتنياهو على 55.5% في صفوف اليهود، مقابل 44.5% لشمعون بيرس. هذا الانتصار أعلن عن بداية حقبة جديدة في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ.

زرْع بذور جمهوريّة اليمين الجديدة في دورة نتنياهو الأولى

تشير الأدبيّات السياسيّة الإسرائيليّة أنّ فترة نتنياهو الأولى في الحكم (1996–1999) كانت فاشلة [42]. فقد تميّزت بضعف قدرة الحكومة على تنفيذ قراراتها، وعانت إسرائيل في فترة حكمه من كساد اقتصاديّ وارتفاع في معدّلات البطالة، وخضع نتنياهو للضغوط الأمريكيّة لإكمال المفاوضات مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة، ممّا جعل اليمين الأيديولوجيّ الذي عارض اتّفاق أوسلو يرى فيه

(42) مندلوف، الصراع المزدوج لدى الليكود، 314–283.

قائدًا ضعيفًا لليمين. علاوة على ذلك، فشلَ نتنياهو في مشروعه في تغيير أو إضعاف النخَب القديمة، تلك التي تجنّدت ضدّه للحفاظ على امتيازاتها، ومن هذه الفترة يمكن تأريخ الصراع بينه وبين هذه النخَب، كما ظهرت قضايا فساد سياسيّ تورّط فيها نتنياهو، وخاصة قضيّة محاولة تعيين المحامي روني بارؤون مستشارًا قضائيًّا للحكومة، التي كانت جزءًا من صفقة عقدها نتنياهو مع حركة «شاس» الدينيّة، بغية الحصول على دعمها في تنفيذ إعادة انتشار الجيش الإسرائيليّ في الخليل حسب تفاهمات «وايْ پْلانتيشن» في تشرين الأوّل عام 1998، وبالمقابل يوافق نتنياهو على تعيين بارؤون مستشارًا للحكومة، وهو الذي تعهّد بأن يوقّع، في حالة تعيينه، صفقة مخفَّفة في قضايا فساد كان رئيس حزب «شاس»، أرييه درعي، متورّطًا فيها. في وقت لاحق، أغلق المستشار القضائيّ الجديد، إلياكيم روبنشتاين، ملفّ نتنياهو وأبقى على ملفّ درعي في هذه القضيّة، وذلك لأنّه لم تتوافر أدلّة قاطعة تُدين نتنياهو في هذا الملفّ. علاوة على هذا، تميّزت فترة نتنياهو الأولى باحتدام النقاش بين المتديّنين والعلمانيّين على نحوٍ لم يسبق له مثيل؛ وذلك لاعتماده الشديد على الأحزاب الدينيّة في تشكيل وبقاءً حكومته [43]. على الرغم من كلّ ما قيل بشأن هذه الفترة، ثمّة شواهد كثيرة تدلّل على أنّ هذه الدورة لم تكن فاشلة، ولذا ترمي الفقرات التالية إلى تفنيد المقولة التي تزعم أنّ نتنياهو فشل في هذه الدورة، وأنّ هذه الفترة على وجه التحديد أسّست لهيمنة اليمين الشعبويّ والمتديّن لاحقًا.

كان نتنياهو أوّلَ رئيس حكومة من خارج رعيل المؤسّسين في إسرائيل، أي الرعيل الذي كان شريكًا بصورة أو بأخرى في قيام دولة إسرائيل، وكان أوّلَ رئيس حكومة يولد بعد قيام إسرائيل، وأوّل رئيس حكومة يُنتخب حسب طريقة الانتخابات المباشرة، كما كان نتنياهو السياسيَّ الذي أدخل إلى ثقافة الحقل السياسيّ الإسرائيليّ النمطَ الأمريكيَّ في الحملات الانتخابيّة في إسرائيل، على نحو: تنظيم الحملة الانتخابيّة بالطريقة الأمريكيّة عبْر الاستعانة بمستشارين مهنيّين؛ التركيز على صفات وقدرات الفرد الشخصيّة ومَلَكَته الخطابيّة؛ استخدام وسائل الإعلام بكثافة؛ التسويق السياسيّ...[44]. في هذه الحملة، أظهر نتنياهو

(43) عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية (القاهرة: دار الشروق، 2005)، 237.

(44) لِيشِم، نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسيّ.

كراهيَته لليسار عندما همس في أذن الحاخام كدوري جملته المشهورة التي التقطتها وسائل الإعلام: «اليسار نسيَ ما يعنيه أن تكون يهوديًا».

تنسجم هذه المقولة مع مشاركة نتنياهو كرئيس للمعارضة في حملة التحريض ضدّ حكومة يتسحاق رابين بسبب توقيعها اتّفاق أوسلو، وتركّز الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة على مشهد مشاركة نتنياهو في مظاهرة في القدس في الخامس من تشرين الأوّل عام 1995، عندما خطب نتنياهو في الحضور، الذي رفع صور رابين بلباس الشرطة النازيّة السرّيّة (إس إس)، وهتفوا قائلين إنّ رابين هو خائن، وغيرها من الهتافات التي تهدر دمه، إلّا أنّ الذاكرة التاريخيّة لا تذكر أهمّ جملة قالها نتنياهو في خطابه المذكور، تلك التي اعتبر فيها حكومة رابين غير شرعيّة لأنّها اعتمدت على دعم الأحزاب العربيّة في إقرار اتّفاق أوسلو (الكتلة المانعة)، حيث قال نتنياهو في هذه المظاهرة إنّ اتّفاق أوسلو أُقِرّ بدعم «أغلبيّة غير صهيونيّة تشمل خمسة ممثّلين للأحزاب العربيّة المتضامنة مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة»[45].

تميّزت قرارات نتنياهو في فترته الأولى بالتسرّع وعدم إدراكه لانعكاسات قراراته. حاول نتنياهو في بداية حكمه التنّصل من اتّفاق أوسلو، عبْر تجاهل التعهّدات التي أبرمتها الحكومة السابقة في إطار الاتّفاق، وكان القرار الأساسيّ الأوّل الذي اتّخذه في هذا السياق، هو فتح نفق تحت الجدار الجنوبيّ من المسجد الأقصى المبارك في أيلول عام 1996، وذاك أدّى إلى مقاومة الفلسطينيّين لهذا القرار واندلاع مواجهات بينهم وبين قوّات الجيش الإسرائيليّ، أسفرت عن مقتل سبعة عشر جنديًا إسرائيليًا واستشهاد مئة فلسطينيّ. وفي الشهر نفسه من العام الذي تلاه، حاولت إسرائيل اغتيال رئيس المكتب السياسيّ لحركة حماس، خالد مشعل، في عمّان عن طريق تسميمه. أخفقت تلك المحاولة، وأفضت في نهاية المطاف إلى خضوع إسرائيل لطلب أردنيّ بإرسال الترياق الذي يُبْطِل مفعول السمّ في جسد مشعل، والإفراج عن زعيم حركة حماس في السجون الإسرائيليّة، الشيخ أحمد ياسين.

(45) يتسحاق غل-نور ودانا بلاندر، الجهاز السياسي في إسرائيل، الجزء الثاني (تل أبيب: عام عوفيد، 2013)، 938. (بالعبرية)

في هذه الفترة، كان رئيس الموساد داني ياتوم. وفي العام الذي تلاه (1998) عيّن نتنياهو إفرايم هليفي رئيسًا جديدًا للموساد، وتحدّث هليفي في مقابلة معه عن ميزة نتنياهو في هذه الفترة، حيث يشير:

«نتنياهو إنسان ذكيّ جدًا. خلال دقائق معدودة يستطيع أن يدرك كلّ الاعتبارات التي تتعلّق بقضيّة معيّنة، على كلّ اتّجاهاتها: في السياسة الداخليّة، وفي السياسة الخارجيّة، وفي انعكاسات أخرى. لديه قدرة إدراك لكلّ الأمور والتوصّل إلى قرار سريع جدًا. في بعض الأحيان، الأمر يثير الإعجاب، وفي أحيان أخرى هذا متهوّر جدًا، ويجب إخباره. عذرًا، لا يمكن التسرّع. عندما عُيّنتُ لمنصب رئيس الموساد، دعاني شارون، وزير الخارجيّة آنذاك، وقال لي بطريقته الوقحة: 'إذا فاجأك رئيس الحكومة نتنياهو باقتراح معيّن، فلا تقبله أبدًا. قل له إنّك بحاجة إلى التفكير في الأمر. إذا نسي الأمر في اللقاء القادم، فانسَ الموضوع أنت أيضًا، وإذا ذكّرك للمرّة الثانية بالاقتراح، فقل له إنّك تفحص ذلك'. نتنياهو سريع في اقتراح إجابات وحلول، والكلّ عنده يجب أن يكون دراماتيكيًّا. هو رجل إنتاج الدراما، لهذا الأمر إيجابيّات [...]، ولكن ليس دائمًا»[46].

مرّة أخرى يَعتبر الكثير من الباحثين والإعلاميّين الإسرائيليّين أنّ فترة نتنياهو السياسيّة الأولى كانت فاشلة، فقد ظهر كقائد سياسيّ متردّد في اتّخاذ القرارات، غير قادر على الوقوف أمام الضغوط الداخليّة والخارجيّة، محتال ولا يوثَق بكلامه، وينشر وعودًا للجميع بعضُها يناقض بعضَها الآخر، فضلًا عن شعور الضحويّة (الادّعاء الدائم أنّه ضحيّة ومطارَد) الذي يميّز خطابه، سواء أكان ذاك شعورًا حقيقيًّا أَم مفتعَلًا. تشير الصحفيّة أورلي أزولاي – كاتس في كتابها حول شخصيّة نتنياهو وانتخابات عام 1999 (وهو بعنوان: الشخص الذي انتصر على ذاته) أنّ معارضيه، ولا سيّما داخل حزب الليكود، بدأوا بالتعرّف على شخصيّته؛ وتتمثّل هذه الشخصيّة في كونه رجلًا مناورًا مخادعًا كاذبًا، يستغلّ مَن حوله لأهدافه الشخصيّة وإنْ أدّى ذلك إلى الإزراء بهم. تفكيره عميق وذكيّ جدًا، ساحر، ولكنّ رؤيته قصيرة المدى تحرّكها أطماعه الشخصيّة في الحفاظ على كرسيّه. واقعه

(46) داليا كاربل، ظلام على وجه الهاوية، هآرتس، (بالعبرية)، 30 /09/ 2016. https://shorturl.at/bTPHY

الأساسيّ هو الإعلام وصورته، أي العالم الافتراضيّ[47]. وتَستحضر الصحفيّة تصريحات أدلى بها دان مريدور، الذي شغل منصب وزير الماليّة في حكومة نتنياهو في دورته الأولى، واستقال بسبب نكث نتنياهو لوعوده له، فضلًا عن تراكم أسباب أخرى يتعلّق بعضها بفساد سياسيّ تورّط فيه نتنياهو، فحمَلَتْ مريدور على اتّخاذ قرار الاستقالة، كمثل آخرَيْن في حكومته الأولى (استقالة مردخاي من وزارة الدفاع، واستقالة داڤيد ليڤي من وزارة الخارجيّة). يصف مريدور شخصيّة نتنياهو على النحو التالي:

«كانت لبيبي مشكلة في سياسته. من جهة، صرّح أنّه سينفّذ اتّفاق أوسلو، ومن جهة أخرى شكّل ائتلافًا حكوميًّا ضيّقًا يعتمد على قواعد يمينيّة – دينيّة. شكّل حكومة تنطوي على تناقضات سياسيّة داخليّة، لكن ليست هذه هي الفظاعة عنده، وإنّما شخصيّته؛ إذ كان يتصرّف وكأنّه يستطيع أن يخدع من جديد. بيبي هو امرؤٌ كلّما عرفتَه أكثر، أحببتَ ألّا تعرفه. من يعرفه لا يستطيع تحمُّله. كلّ قدراته هي قدرات ممثّل. منصّته هي التلفزيون. هناك يبدأ كلّ شيء وينتهي. بيبي فهم أحد الأمور المركزيّة في العالم الحديث، وهو الإعلام الجماهيريّ، وخاصة التلفزيون... لدى بيبي، الأمر المهمّ هو الانطباعُ لا الواقعُ. بالنسبة له، كلّ العالم عبارة عن شاشة، وليس هنالك أهمّيّة للواقع، بل الأهمّيّة هي للواقع الذي يجري إنتاجه من خلال الشاشة... هو رجل تسويق رائع، ولكن ليس لديه منتَج للتسويق. كان لبيچن وشامير منتَج، ولبيرس كان منتَج. لبيبي هنالك تسويق واحد [ربما يقصد: «منتَج»]: شخصيّة الزعيم. هو لا يعتمد على أحد، ولا يثق بأحد. عنده جوهر سياساته الجلوس صباحًا مع بعض المساعدين وصياغة «جملة اليوم». جملة يمكن تكرارها في كلّ نشرة راديو وتلفزيون. هذه هي فعليًّا كلّ سياساته. مأساة هذا الرجل في كونه رجلًا ذكيًّا، صاحب قدرة تفكير وتحليل، يفهم في الاقتصاد والسياسة الخارجيّة، لكنّه لا يفعل شيئًا مع هذا الفهم؛ لا يهمّه ذلك، بل يريد الحصول على نتيجة، نتيجة واحدة وسريعة، ولا يهمّه أنّه يقول اليوم شيئًا وغدًا يقول شيئًا آخر، بل المهمّ أنّه على النتيجة أن تخدم ماكينة بقائه» [48] .

(47) أورلي أزولاي-كاتس، الرجل الذي انتصر على ذاته: انتخابات 1999 (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1999 (بالعبرية)

(48) المصدر السابق، 114–113.

يعتقد عالم الاجتماع الإسرائيليّ المعروف، باروخ كيمرلينج، أنّ فشل نتنياهو (ولاحقًا إيهود براك) يعود إلى كون دولة إسرائيل لم تكن جاهزة بعد لقيادات الرعيل الثاني [49]. ويذهب كيمرلينج إلى القول إنّ نتنياهو خرج من اللعبة السياسيّة في أواخر التسعينيّات لعدم إدراكه التحوّلات الاجتماعيّة الجارية في المجتمع الإسرائيليّ، والتي تتّجه صوب انتهاء حكم النخبة الإشكنازيّة العلمانيّة اليساريّة، وصعود نُخَب جديدة تبغي في نهاية المطاف تغيير الدولة والمجتمع، وحتّى إعادة تعريف العلاقة مع اليهود في العالم[50]. يمكن القول إنّ مقولة كيمرلينج الأولى صحيحة، بينما جانبت المقولة الثانية الصواب. ونقدنا للمقولة الثانية لا ينبع من المساحة التاريخيّة التي تفصلنا عن نهاية التسعينيّات، حيث كتب كيمرلينج بحثه عام 2001، وإنّما من قراءة تحليليّة لخطاب نتنياهو السياسيّ في تلك المرحلة، وكذلك من قراءة للتحوُّلات التي حدثت لاحقًا في العَقد الأوّل من القرن الـ 21. كان نتنياهو يدرك التحوّلات الجارية في المجتمع الإسرائيليّ، وكان يدرك، أكثر، الكراهيَةَ التي تكنّها الشرائح الاجتماعيّة الصاعدة للنخَب القديمة، وحاول بنفسه التصادم معها ابتغاءَ تغييرها، ولكن يتّفق كاتب هذه السطور مع ما قاله كيمرلينج بشأن أنّ هذه الفترة كانت فترة تحوُّل، استمرّت حتّى نهاية حكم شارون، وربّما فشل نتنياهو لأنّه أراد تسريع هذا التحوّل التدريجيّ الذي يحدث، بتغيير جذريّ لم تسمح به «الدولة العميقة» والنخب القديمة، لا اليساريّة فقط؛ إذ هنالك نُخَب يمينيّة تنتمي أيضًا إلى النخَب القديمة، وشارون كان آخر الممثّلين لها.

وفي هذا الصدد يشير عزمي بشارة قائلًا: «نتنياهو دخل في صراع مع المؤسّسة الإسرائيليّة التي ترى نفسها استمرارًا للنخبة التي أقامت الدولة. وساعد شعور عامّ لدى نصف المجتمع الإسرائيليّ أنّ هنالك محاولة لاستثنائه وإخراجه من السلطة في عمليّة تتجاوز تداول الحكم بين أحزاب في عمليّة انتخابات. فشل نتنياهو. ولو تجاوز المحتفلون بفشله دوافع الاحتفال باتّجاه تغيير حقيقيّ في سلّم الأولويّات الاجتماعيّ واستنتاج النتائج الصحيحة سياسيًّا، لكان من المتوقّع أن تنجم تطوّرات إيجابيّة من فشل نتنياهو»[51].

(49) باروخ كيمرلينج، نهاية حكم الهيمنة الإشكنازيّة (القدس: كِيتِرْ، 2001)، 18.

(50) المصدر السابق، 12.

(51) عزمي بشارة، من يهودية الدولة حتى شارون، 203.

يقترح البحث الحاليّ قراءة أخرى لهذه الفترة تختلف عن القراءات الإسرائيليّة الدارجة، منطلقًا من مقولةٍ مفادُها أنّ هذه الفترة أسهمت في تأسيس مرحلة جديدة في السياسة الإسرائيليّة، ظهرت نتائجها في العَقد الأخير تحديدًا. غالبيّة القراءات التي تنطلق من فشل فترة نتنياهو تنطلق من قراءة ضيّقة تنحصر في غياب قدرته على إدارة حكومته، التي عانت من صراعات داخليّة أفْضَتْ في النهاية إلى تقديم موعد الانتخابات، فضلًا عن تراجعه عن وعوده بعدم الانسحاب من مناطق من الضفّة الغربيّة أو إعادة الانتشار، أو عدم إعادة الانتشار في هذه المناطق. ولكن هذا كان شأن حكومات إسرائيليّة منذ الثمانينيّات، ويعود جزء كبير منه إلى بنْية النظام السياسيّ والانتخابيّ الإسرائيليّ. ودونما تقليل من فشل نتنياهو في إدارة حكومته لقلّة خبرته في العمل السياسيّ الحزبيّ، وصعوده السريع إلى قمّة رأس الدولة، نشير أنّ هذه الفترة حملت معها تحوُّلات كبيرة ستظهر لاحقًا في إسرائيل. وفي الإمكان الإشارة فيما يلي إلى أهمّ هذه التحوّلات:

1. شكّلت هذه المرحلة بداية أفول الجيل القديم في السياسة الإسرائيليّة، وبداية صعود جيل جديد، أو إنّها مهّدت الطريق لصعود جيل جديد داخل اليمين، سينقلب على الجيل القديم. ففي هذه الفترة، انتصر نتنياهو على أربع قوى مركزيّة: انتصر على الجيل القديم في الليكود وأنهى على نحوٍ شبه نهائيّ دَوْر هذا الجيل في السياسة الحزبيّة، وبقي من هذا الجيل في صفوف الليكود أريئيل شارون، الذي سيقود دولة إسرائيل بعد اندلاع الانتفاضة، لفترة قصيرة، ولكنّها حاسمة في هيمنة اليمين على إسرائيل. كذلك انتصر نتنياهو على شمعون بيرس في الانتخابات، وهكذا أنهى حكم هذا الجيل في حزب العمل أيضًا. وليس من قَبيل المصادفة أن يدعم بيرس لاحقًا انضمامَ حزب العمل إلى حكومة شارون عام 2001، وينضمّ هو بنفسه إلى حزب «كاديما» الذي أسّسه شارون بعد ذلك؛ فقد كان يعتقد أنّهما الوحيدان المتبقّيان من جيل المؤسّسين، وعليهم القيام بخطوات تاريخيّة قبل مغادرتهما النهائية للحقل السياسيّ الإسرائيليّ، فضلًا عن تشارُكهما العداء لنتنياهو. في هذه الفترة، انتصر نتنياهو أيضًا على جيل أمراء حزب الليكود، وقطع الطريق أمام طموحهم في التقدّم في الحياة السياسيّة. تميّز هذا الجيل بإخلاصه لتوجّهات اليمين الليبراليّة في ما يتعلّق بقضايا المجتمع والدين والقضاء والإعلام وغيرها؛ فبعد انتهاء هذه الفترة تقلّصت آمال هذا الجيل في العودة إلى الحياة السياسيّة

والتأثير الفاعل عليها (لذلك انضمّ أغلبهم إلى حزب كاديما لاحقًا)، وحتّى تسيبي ليفني التي كانت من رعيل الأمراء وحاولت الصعود إلى قمة الهرم السياسيّ بعد إيهود أولمرت، فعلت ذلك في إطار حزب كاديما، وانهار حلمهما بعد انتخابات عام 2009. وبقي من رعيل الأمراء في الليكود حتّى اليوم بيني بيچن، ودخل قائمةَ الليكود في انتخابات عام 2015 ضمن المقاعد المحصَّنة التي يختارها نتنياهو بدون انتخاب، وكان بيني بيچن ممّن استدعاهم نتنياهو لتزيين قائمته بقيادات قديمة، وهكذا أطلق ميتشل على نتنياهو في كتابه حول قادة الليكود «ملك الأمراء» [52].

كذلك أسهم نتنياهو في أفول نجم زعيم الشرقيّين في حزب الليكود، داڤيد ليڤي؛ فبعد انتصاره عليه في الانتخابات التمهيديّة، أشركه في حكومته عام 1996، ولكن سرعان ما ترك ليڤي الحكومة بسبب نكث نتنياهو بوعوده له، وهكذا لم يبقَ داڤيد ليڤي عضوًا في الليكود وأنهى دَوْرَهُ السياسيّ بعد مشاركته حكومة براك لاحقًا وانهيارها. لذلك كانت هذه الفترة تمهيدًا لظهور جيلٍ جديد في السياسة الإسرائيليّة عمومًا، وداخل الليكود خصوصًا، جيلٍ لا يعترضٍ على زعامة نتنياهو، بل يراه قائدًا أَوْحَد للّيكود، وغير قابل للهزيمة، وهو ما يشهده الليكود اليوم من سيطرة وهَيْمنة نتنياهو على الحزب وخوف أعضائه منه، وخشيتهم من الاستئناف على قيادته، ومن يفعل ذلك يجد نفسه خارج صفوف الحزب.

2. شكّلت هذه الفترة بداية تأسيس المرجعيّة الدينيّة في حزب الليكود وتسييس الجمعيّات اليمينيّة، وربطهما بمشروع هيمنة اليمين على الحقل السياسيّ والاجتماعيّ في إسرائيل. فلأوّل مرّة تتجنّد حركة «حباد» الدينيّة لمصلحة مرشّح في الانتخابات الإسرائيليّة؛ فهي من رفعت شعار «نتنياهو جيّد لليهود» خلال الحملة الانتخابيّة عام 1996، وهكذا ربطت هذا الحركةُ ذاتُ النفوذ المحلّيّ والعالميّ نفسَها باليمين عمومًا وبالليكود خصوصًا. وترتبط هذه النقطة بهمس نتنياهو للحاخام كَدُوري «اليسار نسيَ معنى أن تكون يهوديًّا»، وهكذا أعطى نتنياهو الهُويّة الدينيّة موقعًا هامًّا في معركته السياسيّة ضدّ خصومه، هذه الهُويّة التي ستتعزّز في أيديولوجيّة الليكود لاحقًا، وتصبح مكوِّنًا مركزيًّا

(52) Thomas G. Mitchell, Likud Leaders: The Lives and Careers of Menahem Begin, Yitzhak Shamir, Benjamin Netanyahu and Ariel Sharon (Jefferson, NC: McFarland & Company, 2015).

من اليمين الجديد عمومًا. وفي هذه المرحلة، أخذَ في التكوُّن مجتمعٌ مدنيّ يمينيّ يرى في التأثير على توجّهات الحكومة وعلى الإسهام في بقاء اليمين في الحكم وظيفةً مركزيّة له. وسيقوم المجتمع المدنيّ اليمينيّ بدور حاسم في هيمنة اليمين على الحقل الاجتماعيّ الإسرائيليّ بعد صعود نتنياهو إلى الحكم مرّة أخرى عام 2009.

3. شكّلت هذه المرحلة نهاية اتّفاق أوسلو؛ فعلى الرغم من قيام نتنياهو بتنفيذ إعادة الانتشار في الخليل، لم يلتزم بسائر التعهُّدات الإسرائيليّة في الاتّفاق، ويمكن القول إنّ إعادة الانتشار في الخليل كانت آخر التزام تنفّذه إسرائيل في إطار اتّفاقيّات أوسلو حتّى اليوم، ومع انتهاء تاريخ الاتّفاق (خمس سنوات) انتهى معه اتّفاق أوسلو عمليًّا، وبقي منه ما جرى تنفيذه: سلطة فلسطينيّة، وتقسيم الضفّة الغربيّة إلى ثلاث مناطق؛ حيث سيتحوّل هذا الواقع إلى أساس مشروع اليمين الجديد في العَقد الأخير، المتمثّل في بقاء سلطة فلسطينيّة كتجسيد لحقّ تقرير المصير للفلسطينيّين، وفي الضمّ الزاحف والتدريجيّ لسائر الأرض[53].

4. شكّلت هذه المرحلة بداية مشروع تغيير النخَب القديمة في إسرائيل. صحيح أنّ نتنياهو فشل في هذا المشروع، لأنّه اتّخذ له إستراتيجيّة صدام ومواجهة مباشرة مع هذه النخَب، إلّا أنّ مجرّد طرح هذا المشروع أو الخطاب شكّل رافعة ولافتة لليمين الجديد لاحقًا، الذي اعتبر أنّ حكمه لم يترجَم إلى تأثير على الحقل الاجتماعيّ والسياسيّ بسبب بقاء النخَب القديمة، وهي المقولة التي ستدفع اليمين في العَقْد الأخير إلى تغيير النخَب أو تحجيم تأثيرها، عَبْر تشريعات قانونيّة وتعيينات جديدة ومراسيم إداريّة وتغييرات بنيويّة في الجهاز البيروقراطيّ الإسرائيليّ. كان نتنياهو أوّلَ قياديّ في الليكود يَعتبر تغيير النخَب مشروعًا يُكمل وصول الليكود إلى الحكم. في هذا يقول بشارة: «اكتفى شامير بالحكم وبتغيير السياسة لصالح اليمين وتجميد العمليّة السلميّة، وذلك دون أن يمسّ المؤسّسة الإسرائيليّة الحاكمة، بدءًا بحزبه هو، وانتهاءً بالنخَب السياسيّة والقضائيّة والاقتصاديّة، ولكن نتنياهو جاء ببرنامج طموح لتغيير

(53) مهنّد مصطفى، المسجد الأقصى «ميدان تحرير» في القدس، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 112 (خريف 2017): 163–158.

النخَب القائمة، بدءًا من الصراع داخل الليكود نفسه [...] وانتهاء بالصدام مع النخَب الأكاديميّة والثقافية والقضائية [...] كلّ ذلك بالتحالف مع عناصر هامشيّة في المؤسّسة الإسرائيليّة مثل الأحزاب الدينيّة... ومع عناصر من الأثرياء السماسرة غير المنتجين... ولم يكن لديه مانع من استخدام وسيلة مخاطبة الانتماءات الطائفيّة ونقمة العناصر الاجتماعيّة المهمَّشة ضدّ المؤسّسة القائمة»...[54]. وقد نجح نتنياهو في بلورة وعي اليمين وتوجيه اهتمامه إلى هذه المسألة في هذه الفترة. وإذا كان نتنياهو قد فشل عمليًّا في هذا المشروع، فإنّه نجح في وضعه في وعي اليمين كمشروع مستقبليّ له بُعدٌ أيديولوجيّ، لا بُعْدٌ يتعلّق بالحَوْكمة والإدارة، فتَماهي النخَب مع اليمين سوف يُمكّنه من تمرير مشروعه الأيديولوجيّ دون وجود عقبات أمام تنفيذ هذا المشروع.

5. شكّلت هذه الفترة بداية تغلغل المستوطنين إلى صفوف حزب الليكود [55]. كان الليكود حزبَ «أرض إسرائيل»، ولكنّه لم يكن حزبَ المستوطنين، وقد عمل نتنياهو على تغيير هذا الواقع، عبْر التقرّب إلى المستوطنين وفتح أبواب الحزب لهم. أراد نتنياهو من هذه الخطوة تقليص قوّة الجناح الليبراليّ في الحزب، ولا سيّما بعد محاولة هذا الجناح الإطاحة به بُعَيْد اغتيال رابين، وتعزيز دعم المستوطنين للّيكود على حساب الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة التي مثّلتهم انتخابيًّا وأيديولوجيًّا، إذ اعتقد نتنياهو أنّ الليكود يمثّلهم أيديولوجيًّا في إطار مشروع «أرض إسرائيل» (وليس في توجّهه الليبراليّ في مواضيع محدّدة)، ولكنّه لا يترجم ذلك انتخابيًّا في صفوفهم، فضلًا عن محاولته تجنُّب انتقاد الأحزاب اليمينيّة المتطرّفة له من خلال تقريب الليكود لهم، وهكذا شكّلت هذه المرحلة بداية تغلغل المستوطنين في حزب الليكود، الأمر الذي سيتعزّز بقوّة في العَقد الأخير، ليحوّلهم إلى قوّة مركزيّة ومؤثّرة في صفوف الحزب.

6. وهو التحوّل الذي يشير إليه بشارة في كتابه «من يهوديّة الدولة حتّى شارون»، فنتيجة تحوّلات تاريخيّة وسياسيّة، تحوَّلَ مصوّتو الأحزاب الدينيّة إلى مصوّتين لليمين، بحيث لم تعد الأحزاب الدينية تكتفي «بالتعبير عن مصالح قِطاع معيَّن

(54) بشارة، من يهوديّة الدولة حتّى شارون، 202.

(55) سيجل چلنطي، "نُخَب سياسيّة على يمين الخارطة – الليكود"، في: إليعيزر بن-رفائيل وآخرين (تحرير)، نُخَب جديدة في إسرائيل (القدس: مؤسسة بيالك، 2007)، 62.

من السكّان، وإنّما رغبتها بالتأثير على طابع الحياة في الدولة وتطوير مصالح جديدة تشمل ازديادًا في قوّة المجالس الدينيّة وموظّفيها وبيروقراطيّتها»[56]. واليوم، تشهد إسرائيل تغلغلًا للخطاب الدينيّ في المجال العموميّ، ومحاولةَ تقليص مساحة المواقع التي لا يؤثّر فيها الدين، بتشريعاته وأوامره، ويظهر ذلك في مَناحي الدولة والمجتمع كافّة، نحو: أدينة الجيش، وسيطرة وهيمنة المؤسّسة الدينيّة الأرثوذكسيّة على التهويد الشخصيّ (چيُّور)، في إسرائيل والعالم، ومنع إصلاح خطّ سكك الحديد، وفتح المحلّات التجَاريّة أيّام السبت، وغيرها.

(56) بشارة، من يهوديّة الدولة حتّى شارون، 233.

الفصـــــــل الثاني
تشكُّل أيديولوجيّة نتنياهو بأبعادها: الشخصيّ والفكريّ والسياسيّ

يرمي هذا الفصل إلى تحليل الدور الذي قام به الأب بِنْتْسِيُون نتنياهو والشقيق يوني نتنياهو في بلورة فكر نتنياهو وتوجّهاته السياسيّة (أو التأثير على بلورة فكره)، مع التأكيد أنّ مؤثّرات فكريّة وسياسيّة أخرى قامت بهذا الدور، وجعلت نتنياهو يُبلور منظومة فكريّة مختلفة في بعض مركّباتها عن أبيه ولكنّها غير منفصلة عنه. كذلك يتطرّق الفصل إلى سلطويّة شخصيّة نتنياهو، ليجتمع لنا جزء من الخلفيّات الفكريّة والشخصيّة لهذا الرجل، قبل تحليل فكره وأيديولوجيّته.

فكر بِنْتْسِيُون (نتنياهو الأب): الكارثة تتربّص في الأفق باليهود

كان بِنْتْسِيُون نتنياهو من أهمّ الشخصيّات التي تأثّر بها نتنياهو الابن[57]. نشأ بِنْتْسِيُون نتنياهو في حضن المنظومة الأيديولوجيّة للحركة الصهيونيّة التنقيحيّة. كانت الأيديولوجيا التي آمن بها بِنْتْسِيُون نتنياهو هي أيديولوجيّة الحركة التنقيحيّة التقليديّة، التي تدعو إلى إقامة «إسرائيل الكبرى»، التي لم تكن تمتدّ على أراضي الضفّة الغربيّة وحدها، بل على أراضي ما يُعرف اليوم بالأردن، حيث كانت تُعتبر أرضًا موعودًا بها لليهود في نظر الصهيونيّة التنقيحيّة أو التصحيحيّة، حسب التسمية التي كانت هذه الحركة تُعرف بها. وكانت هذه الحركة قويّة، بل كانت تختطّ نهجًا عسكريًا وتدعو إلى تشييد «جدار حديديّ» بين الدولة الوليدة والعرب الذين يحيطون بها.

وقد تطرّق بِنْتْسِيُون نتنياهو إلى العرب في مقابلة أجرتها معه صحيفة معاريف عام 2009، أكّد فيها أنّه لا يؤمن بوجود شعب فلسطينيّ. وفي هذا الصدد قال: «لا يجد الكتاب المقدّس [التناخ] أيّ صورة أسوأ من هذه الصورة للرجل القادم من الصحراء. لماذا؟ لأنّه لا يحترم أيّ قانون، ولأنّه يستطيع أن يفعل ما يحلو له في الصحراء... إنّ النزعة التي تميل إلى الصراع هي في جوهرها نزعة العربيّ. فهو

(57) Yael S. Aronoff, The Political Psychology of Israeli Prime Ministers: When Hard-Liners Opt for Peace (New York: Cambridge University Press, 2014) ,45.

عدوّ في جوهره. وشخصيّته لن تسمح له بالتوصّل إلى أيّ تسوية أو اتّفاق. وهو لا يلقي بالًا لنوع المقاومة التي سيواجهها، أو الثمن الذي يتحتّم عليه أن يدفعه. إنّ وجوده مرتبط بحرب أبديّة» [58].

كذلك أشار إلى أنّه ينبغي لإسرائيل أن تكون على هذا الموقف. وقال إنّ "حلّ الدولتين لا وجود له... فليس هناك من شعبين هنا، بل هناك شعب يهوديّ وسكّان عرب... وليس هناك من شعب فلسطينيّ. لذلك، فأنت لن تقيم دولة لأمّة متخيَّلة... إنهم لا يزيدون على أن يسمّوا أنفسهم أمّة من أجل محاربة اليهود». هنا سألته المراسلة "ما الحلّ إذن؟" أجاب والد رئيس الحكومة بأنّه "ليس هناك من حلّ سوى القوّة، والحكم العسكريّ القويّ. وأيّ انفجار سوف يجلب معاناة هائلة على العرب. لا ينبغي لنا أن ننتظر نشوب تمرّد كبير كي نباشر العمل، بل علينا أن نتصرّف على الفور وبقوّة كبيرة كي نمنعهم من الاستمرار». وقال إنّ الأمر ذاته ينطبق على المواطنين العرب في إسرائيل الذين تبلغ نسبتهم عشرين بالمئة من سكّان إسرائيل:

«أعتقد أنّه يجب علينا أن نتحدّث إلى العرب الإسرائيليّين بلغة يفهمونها ويُعجبون بها -لغة القوّة. فإذا تصرّفنا بقوّة تجاه أيّ جريمة يرتكبونها، فسوف يفهمون أنّنا لا نُظهر أيّ تسامح. ولو كنّا استعملنا هذه اللغة منذ البداية، لكانوا يتوخَّوْن الآن قَدْرًا أكبر من الحذر».

وشبّه الصراعَ الإسرائيليّ - العربيّ بقوله:

«إنّ العرب واليهود مثل عنزتين تلتقيان على جسر ضيّق، وإحداهما مضطرّة إلى القفز في النهر، لكنّهما لا تريدان ذلك لأنّ القفز يعني خطر الموت. ولذا فإنّهما تتناطحان على الجسر ولا تقفزان، والمناطحة مستمرّة من دون توقّف. وتؤمنان أحيانًا أنّه في نهاية المطاف ستُنهَك إحداهما وتُضطرّ إلى القفز عن الجسر، وعندها طبعًا يتقرّر من مِن بينهما هي الأقوى والتي ستُرغِم الضعيفةَ على القفز. وسيكون الحسم في هذه المرحلة من خلال حتميّة البقاء. وفي حين أنّ القفز بالنسبة إلى اليهود سيؤدّي إلى ضياع الشعب اليهوديّ، فإنّه بالنسبة إلى الجانب العربيّ سيؤدّي إلى إلحاق أذى بجزء صغير منهم، كون العرب منتشرين في

(58) شلحت، بنيامين نتنياهو: عقيدة «اللاحل»، 80–81.

مساحة كبيرة جدًّا. لذلك فأنا مؤمن بأنّ عزيمة الشعب اليهوديّ في البقاء ستكون أقوى من عزيمة العرب».

وقد وجد نتنياهو الأب الإلهامَ في المشانق التي كانت الإمبراطوريّة العثمانيّة تعلّقها في بلاد الشام:

"لقد تعرّض العرب إلى الضرب المبرح، إذ لم يتجرّؤوا على الثورة. وبالتأكيد، فأنا لا أوصي بنصب المشانق كاستعراض للقوّة، مثلما كان الأتراك يفعلون، لكنّني أريد أن أبيّن أنّ الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يحوّل العرب عن موقفهم الرافض يكمن في القوّة».

اعتبر بِنْتْسِيُون أنّ النخَب القديمة، تلك التي أَقْصتْهُ عن المواقع الأكاديميّة، لا تزال قائمة، ولذلك «لا إمكانيّة للافتراض أنّه سيجري تحقيق أهداف الدولة كون اليسار تنازل عنها». ويضيف:

«مشكلة هذا اليسار أنّه يعتقد أنّ الحرب مع العرب شبيهة في أساسها بجميع الحروب الجارية بين الشعوب في العالم. فهذه الشعوب تتوصّل إلى تسوية إمّا بعد أن ينتصر طرف على آخر، وإمّا عندما يتوصّل الطرفان إلى الاستنتاج أنّ الحرب أنهكتهما وأنّ النصر مستحيل، غير أنّ الحرب مع العرب تجري برسم أنّه وَفقًا لطبيعتهم وغرائزهم هم غير مستعدّين للتسوية. وحتّى عندما يتحدّثون عن تسوية، فهم يقصدون عمليّة مراوغة يتمكّنون بواسطتها من التغرير بالطرف الآخر كي يوقف الجهود الكبيرة التي يبذلها ويسقط في سلّة التسوية. واليسار يساعدهم في تحقيق هذا الهدف. لكن التسوية ليست بالأمر الواقعيّ. وهي تُضعِف مواقفنا وتُعوِّدنا على حالة ترهّل، وتولِّد لدينا قناعةً مغلوطة ووهمًا، وكلّ وهم يؤدّي إلى الضعف».

بعيدًا عن لقاءاته الصحفيّة، ولسَبْر غَوْر فكر بِنْتْسِيُون، هنالك حاجة إلى العودة إلى أهمّ مؤلّفاته. ففي كتاب له بعنوان «آباء الصهيونيّة الخمسة»، اعتبر بِنْتْسِيُون أنّ هنالك خمسة آباء مركزيّين للحركة الصهيونيّة، وفي تعريفه لاختياره هؤلاء الخمسة أشار أنّه اختار هؤلاء الذين كتبوا عن المسألة اليهوديّة، أي وقفوا على المخاطر التي تهدّد وجود اليهود بسبب صعود العداء للساميّة، واعتبروا أنّ حلّ المسألة اليهوديّة يجب أن «يكون من خلال إقامة دولة يهوديّة في وطن الشعب

اليهوديّ، وأشاروا إلى الطريقة لتحقيق هذا الهدف من خلال حراك سياسيّ ودبلوماسيّ، الطريقة التي تمنح الصهيونيّةَ دعْمَ القوى الكبرى، وضمانها إزالة العوائق في مسيرة بناء الدولة اليهوديّة»[59]. يرى بِنْتْسِيُون نتنياهو أنّ جابوتنسكي كان أقدرَ القيادات الصهيونيّة على فهم «المشكلة العربيّة» في فلسطين، فقد أدرك جابوتنسكي أكثر من هرتسل، وحتّى على نحوٍ أفضل من نوردو وزنچويل، جذورَ المعارضة العربيّة [لا يسمّيهم الكاتب فلسطينيّين]، وهي التي عزّزتها بريطانيا، لأنّها توقّعت الحصول على استقلالها من الدعم البريطانيّ ممّا حوّلها إلى معارضة من الصعب السيطرة عليها. ويشير بِنْتْسِيُون إلى أنّ جابوتنسكي تنبّه للأسس الطبيعيّة لهذه المعارضة، وعلى أساس إدراكه لهذه الأسس شخّص أساسَ المشكلة. ويوضّح نتنياهو أنّ جابوتنسكي اعتقد أنّه لو ضُربت المعارضة العربيّة بقوّة منذ البداية لقُضِيَ عليها، ولكن القيادة الصهيونيّة الرسميّة لم تفعل ذلك[60]. عرض بِنْتْسِيُون الجوانب المريحة له أيديولوجيًّا في فكر جابوتنسكي، وسنلاحظ في عرض فكر بنيامين نتنياهو التشابه بين فكرةِ الجذور الطبيعيّة للمعارضة العربيّة التي طرحها بِنْتْسِيُون في سياق عرضه لفكرة جابوتنسكي، وفكرِ نتنياهو الابن حول جذور العداء العربيّ الإسلاميّ لإسرائيل والغرب، النابع من «الثقافة العربيّة – الإسلاميّة» (الجذور الطبيعيّة –على حدّ تعبير جابوتنسكي)، لا بسبب وجود مشروع كولونياليّ استيطانيّ عمل على تأسيس دولة يهوديّة في فلسطين.

يحاول بِنْتْسِيُون، بطريقة عرضه لفكر جابوتنسكي، الربط بين الراهن الإسرائيليّ والفكر الجابوتنسكيانيّ، ولا سيّما تحليل جابوتنسكي للموقف العربيّ من المشروع الصهيونيّ، حيث يعتبر جابوتنسكي أنّ العرب لا يمكن أن يقبلوا المشروع الصهيونيّ في فلسطين، ولا يمكن رشوتهم بامتيازات اقتصاديّة واجتماعيّة لقبول المشروع[61]. واعتبر أنّ كلّ محاولات الصهيونيّة إقناع العرب بالتنازل عن طموحهم إلى طرد اليهود من فلسطين وتحقيق السلام معهم هي «هذيان صبيانيّ»[62]. يرى جابوتنسكي أنّ هذا الهذيان الصبيانيّ نابع من استهتار بمشاعر

(59) بِنْتْسِيُون نتنياهو، (آباء الصهيونيّة الخمسة) (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2003)، 9. (بالعبرية)

(60) المصدر السابق، 271–270.

(61) بنتسيون نتنياهو، مكانة جابوتنسكي في تاريخ إسرائيل (حيفا: جامعة حيفا، كرسي روبين هيخت للصهيونية، 1981). (بالعبرية)

(62) نتنياهو، آباء الصهيونيّة الخمسة، 272.

الشعب العربيّ، والتعامل معهم على أنّهم مجموعة من «الغوغائيّين، مستعدّون لبيع وطنيّتهم مقابل شبكة من سكك الحديد المتطوّرة». ويقتبس بِنْتْسِيُون جملة أخرى من مقالة جابوتنسكي بشأن الجدار الحديديّ: «كلّ شعب أصلانيّ سيستمرّ بقتال المستوطنين كلّما كان لديه أمل في التخلّص من خطر الاستيطان الغريب»[63]. لأوّل وهلة، يبدو هذا الموقف معبّرًا عن اعتراف بالفلسطينيّين كمجموعة أصلانيّة في فلسطين، وكذلك فيه اعتراف بتشكُّل هُويّة قوميّة (عربيّة لا وطنيّة فلسطينيّة) في صفوف الفلسطينيّين، ولكن في الحقيقة كان جابوتنسكي يرمي، في هذا المرحلة على الأقلّ، إلى الاستئناف على نمط عمل الصهيونيّة السياسيّة التقليديّة التي مثّلها حاييم ڤايتسمان، المتمثّلة في محاولة استرضاء العرب للاعتراف بالمشروع الصهيونيّ، علاوة على المقولة الأساسيّة لجابوتنسكي أنّه لا يمكن حلّ الصراع مع المجموعة القوميّة العربيّة في فلسطين، لأنّها لن تقبل بوجود استيطانيّ غريب في بلادها، كما لا يمكن نزع اعتراف منها من خلال «مسيرة سلام» معهم وتقديم تنازلات لهم، وإنّما من خلال ضربهم بقوّة. وهكذا يلخّص بِنْتْسِيُون موقف جابوتنسكي حول العلاقة مع الفلسطينيّين على النحو التالي:

«وليس هنالك حاجة إلى المزيد ممّا يمكن قوله بشأن المسألة العربيّة. واضح أنّه [أي جابوتنسكي] رأى موقف العرب عنيدًا جدًّا، وليس سهلًا للتسوية والقبول كما رآها الكثيرون من أبناء عصره. كذلك من الواضح أنّ ما يمنع اليوم إبادتنا ليس إلّا الجدار الحديديّ، الذي شيّدناه بقوّتنا. من يجرؤ على التخلّي عن هذا الحائط الحديديّ؟ من يجرؤ على إضعافه؟ لقد فكّر جابوتنسكي بحائط سياسيّ لا يقلّ أهمّيّة عن الحائط العسكريّ، وأدرك ما تعلّمناه من درس مُرٍّ: أنّه ليس ثمّة نصر عسكريّ كامل دون حمايته بنصر سياسيّ، ولا نصر سياسيًّا كاملًا بدون حمايته من طرف الرأي العامّ»[64].

في الفصل الذي يتطرّق فيه بِنْتْسِيُون إلى ثيودور هرتسل، يؤكّد في خُلاصته أنّ هرتسل آمن بأرض إسرائيل الكبرى من العريش حتّى نهر الفرات[65]. وعندما فاوض هرتسل في أيّامه الأخيرة للحصول على قضاء عكّا، كان ذلك نابعًا، برأي

(63) نتنياهو، آباء الصهيونيّة الخمسة.

(64) نتنياهو، مكانة جابوتنسكي في تاريخ إسرائيل، 14.

(65) المصدر السابق، 126.

بِنْتْسِيُون، من أنّ هرتسل اعتبر أنّ عكّا هي نقطة انطلاق للحصول على الحكْم في كلّ «أرض إسرائيل» خلال الصراع على تقسيم الدولة العثمانيّة [الرجل المريض]. يرمي بِنْتْسِيُون من ذلك إلى ربط فكر هرتسل بفكرة المدرسة التنقيحيّة؛ ففي خلاصة فصله عن هرتسل، يوضّح بِنْتْسِيُون أنّ مَن جاءوا بعده لم يفهموا فكره، أنّه لا يمكن الاستيطان دون نظام سياسيّ وقوّة عسكريّة تحميه. وانتقد كلّ من حاول أن يقلّص مَطالب هرتسل حول الحقوق السياسيّة لليهود التي تضمّنها الانتداب البريطانيّ على فلسطين، وهو يلمّح بكلامه إلى التيّار الاشتراكيّ الصهيونيّ، بقيادة ڤايتسمان وبِنْچوريون وأرلوزروڤ، وهو طبعًا فهْمٌ قاصرٌ وسطحيّ وانتقائيّ لفكر هذا التيّار وإستراتيجيّته السياسيّة والعسكريّة، ولكنّه فهْمٌ يخدم الأجِنْدات الأيديولوجيّة التي يحملها بِنْتْسِيُون.

أسهم بِنْتْسِيُون في كتابة مقال قصير في الكتاب الذي حرّره بنيامين نتنياهو حول «الإرهاب» عام 1987. يحاول بِنْتْسِيُون في مقاله نفْيَ صفة «مقاتلون من أجل الحرّيّة» عن ظاهرة «الإرهاب» وَ«الإرهابيّين». وهو يقصد بطبيعة الحال المقاومة الفلسطينيّة التي يستذكرها عدّة مرات في مقاله. يعتبر بِنْتْسِيُون ظاهرة الإرهاب أخطر من النازيّة؛ إذ يصف «الإرهابيّ» على النحو التالي:

«يمثّل الإرهابيّ إنسانًا من نوع جديد، يعيد الإنسانيّة إلى فترة ما قبل التاريخ، إلى فترة لم تكن فيها الأخلاق. وبما أنّه لا يعترف بأيّة قيمة أخلاقيّة وعديم كلّ شعور أخلاقيّ، فإنّه عديم الضوابط الأخلاقيّة. لذا، هو قادر على ارتكاب كلّ جريمة، وكما هي ماكينة القتل، فإنّه يقوم بأفعاله بلا خجل وبلا أخلاق. ولكنّه أيضًا كاذب مخادع بصورة كاملة، ولذلك فإنّه أخطر بكثير من النازيّة التي كانت تصرّح بأهدافها على نحوٍ علنيّ. في ما يتعلّق بالحقيقة، هو [أي الإرهابيّ] عدميٌّ كامل»[66].

إنّ تشبيه أعداء إسرائيل بالنازيّة وهتلر سيكون إحدى المقولات التي سيردّدها بنيامين نتنياهو كثيرًا خلال مسيرته السياسيّة. فإذا كانت المقاومة لإسرائيل وهيمنتها أخطر من النازيّة، بالنسبة لنتنياهو الأب، فإنّ مقولات نتنياهو الابن ستكون «معتدلة» بالنسبة له، فهو يضعها فقط في مستوى واحد مع النازية.

(66). نتنياهو، الإرهابيون ومحاربو الحرية، 58.

كان المقال القصير الذي كتبه بِنْتْسِيُون حول «الإرهاب» يرمي إلى مقارعة الأصوات في الغرب التي تتفهّم مقاومة الشعوب ضدّ الاحتلال والاستعمار، على اعتبار أنّها حركات تحرُّر وطنيّ للحصول على الحرّيّة والاستقلال. وعلى نحوٍ متماهٍ مع الجمهوريّين آنذاك (إدارة رونالد ريچن)، يشير بِنْتْسِيُون أنّ هذا «الإرهاب» مرتبط بالاتّحاد السوفييتيّ، حيث إنّ الأخير يدعمه سياسيًّا ومادّيًّا، «فالإرهاب» يحتاج إلى قوّة دوليّة داعمة له لكي يستمرّ في المقاومة –وتلك مقولة سيكرّرها نتنياهو الابن خلال فترة الثمانينيّات، ويعيد إنتاجها في التسعينيّات باستبدال الاتّحاد السوفييتيّ الذي انهار بصعود دولة جديدة داعمة للإرهاب، برأيه، تتمثّل في إيران.

على أيّة حال، يشير بِنْتْسِيُون أنّ هنالك سياسيّين في الغرب يعتقدون أنّ «الإرهابيّين» يسعون إلى هدف سام، وأنّه في الإمكان محاورتهم، وهذا الأمر برأي بِنْتْسِيُون نابع من قصور في فهمٍ طبيعة الإرهاب وأهداف الإرهابيّين. يشير بِنْتْسِيُون أنّ استعمال «الإرهابيّين» لمبادئ الحرّيّة والتحرّر والعدالة هي حيلة ترمي إلى خداع الغرب، بينما هم في الواقع على العكس من كلّ ذلك. وفي هذا السياق، يستحضر بِنْتْسِيُون حالة منظّمة التحرير الفلسطينيّة التي تستخدم هذه الخديعة؛ إذ هي تمارس قتل المدنّيين، وكلّ من يعارض طريق المنظّمة من صفوف الفلسطينيّين تقوم بقتله، فهي تحلّ مشاكلها الداخليّة واختلاف الآراء بين قياداتها من خلال الاغتيالات والقتل. ويتابع بِنْتْسِيُون في عرض ادّعاءاته بقوله إنّه حتّى في حالات أخرى نجحت فيها حركات تحرّر بالحصول على الاستقلال، مارست هذه الحركات في ما بعد القمعَ وانتهاك حرّيّات الإنسان بحقّ شعوبها، ولذا فإنّ وصف هذه الحركات بأنّها حركات تحرُّر هو بعيد عن الحقيقة.

دراسة الآباء المؤسِّسين للصهيونيّة، ومقالات هنا وهناك، لم تكن النصوص الأهمّ التي ألّفها بِنْتْسِيُون، بل كتابه عن الحاخام «دون يتسحاق أبرافانئيل» (1437–1508)، وهو الكتاب الذي اعتمد في تأليفه على رسالته لنيل شهادة الدكتوراه. يُعتبر أبرافانئيل بنظر بِنْتْسِيُون أهمّ شخصيّة يهوديّة في القرون الوسطى؛ فقد كان حاخام اليهود في الأندلس ومنظّرهم وقائدهم. وصفه بِنْتْسِيُون بأنّه «رجل دولة، دبلوماسيّ، ورجل بلاط ومصرفيّ ذو سمعة عالميّة، وكان في الوقت نفسه، عالِمًا

موسوعيًّا، ومفكّرًا فلسفيًّا وكاتبًا عبقريًّا»[67]. من منظور بِنْتْسِيُون، كان أبراڤانئيل شخصيّة دمجت بين العمل والفكر، وبين الحكم والفلسفة، وكذلك بين السياسة والكتابة.

علاوة على ذلك، عايش أبراڤانئيل فترة مرّ فيها الشعب اليهوديّ (هكذا يسمّيهم بِنْتْسِيُون في تلك الفترة –«شعب») بتحوّلات عميقة على المستويات الفكريّ والاجتماعيّ والسياسيّ. ومثّلت فترته عمليّة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصر الحديث. الأهمّ في هذا الصدد هو ما يشير إليه الكاتب بشأن هذه الفترة، أنّها مثّلت شيوع التوجّهات المسيانيّة الخلاصيّة[68] في صفوف اليهود، وهي توجّهات مسيانيّة كانت تنذر بالكارثة (Apocalyptic Trends)، وتتحصّن فيها من وقوعها. وقد مثّل أبراڤانئيل في كتاباته وأفكاره هذه التوجّهات. وأثّر أبراڤانئيل لاحقًا على صعود التوجّهات الخلاصيّة في صفوف اليهود في القرنَيْن السادس عشر والسابع عشر؛ فقد اعتبر أنّ قدوم المسيح المخلّص هو أساس ثابت في العقيدة اليهوديّة. حمل أبراڤانئيل توجّهات فكريّة ودينيّة وسياسيّة عديدة، نعتقد أنّها أثّرت على نتنياهو الابن، كما سنبيّن ذلك لاحقًا خلال تحليل فكر نتنياهو، ولكنّ في الإمكان الإشارة إلى ثلاثة توجُّهات مركزيّة كما تظهر في كتاب بِنْتْسِيُون:

1. المقولة المركزيّة في فكر نتنياهو وأبراڤانئيل أنّ الصراع أو الصدام بين الحضارتَيْن الإسلاميّة والمسيحيّة سيستمرّ، وهو التأطير الذي يعتبره بِنْتْسِيُون «الإنجاز التاريخيّ لأبراڤانئيل» داخل المسيحيّة واليهوديّة [69].

2. التاريخ يسير في مسارين: الأوّل التاريخ العامّ، والثاني تاريخ اليهود، ولذا فإنّ نتنياهو الابن دائم الاستحضار للتاريخ في الحاضر، فهو يعود إلى التاريخ من الحاضر، ويقرأ المستقبل من التاريخ.

3. المقولة الثالثة هي رؤية المستقبل من أجل الحاضر.

(67) Benzion Netanyahu, Don Isaac Abravanel: Statesman and Philosopher, 2nd ed. (Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1968).

(68) هي توجهات صادرة عن جوهر العقيدة اليهودية التي تؤمن أن خلاص اليهود (هو تعبير ديني) يبكون من خلال عودة المسيح اليهودي المخلص (مشيح) لينقذ اليهود، ويشيد مملكة لهم يحكمها حسب التعاليم الدينية اليهودية. وتنطلق فكرة الخلاص من أن التاريخ الإنساني هو تاريخ مسيِّر لتحقيق الزمن الخلاصي. لذا، على اليهود الانتظار والحفاظ على هويتهم الدينية حتى قدوم المخلّص.

(69) Ibid, 254.

أثّرت المقولة الثالثة على نتنياهو في محاولة العمل كنقيض لها، أي منع كارثة مستقبليّة من خلال فهم ديناميكيّتها التاريخيّة والاستعداد لها في الحاضر. فكما يشير بِنْتْسِيُون، رأى أبراڤانئيل أنّ هنالك كارثة في الأفق تنتظر اليهود في إسبانيا، ولكنّه لم يعمل شيئًا سوى الانتظار معتمدًا على إيمانه بقدوم المخلّص. كان أبراڤانئيل قادرًا على رؤية المستقبل الكارثيّ الذي يترصّد لليهود في إسبانيا، ولكنّه لم يعمل شيئًا سوى الانتظار، انتظار الخلاص من السماء؛ فحسبما آمن أبراڤانئيل، الشعوب الأخرى كانت تسير تحت إمرة أمراء اللّٰه (خلفاء اللّٰه على الأرض)، بينما اليهود كانوا يسيرون تحت عين وإمرة اللّٰه نفسه. من هذه الناحية، مثّلت الصهيونيّة نقيضًا لأبراڤانئيل، فهي من جهة حملت مشروع «خلاص» اليهود من خلال العمل داخل التاريخ وعلى الأرض لا خارج التاريخ [70]. ومن جهة أخرى، مثّلت الصهيونيّة عمليّة إنقاذ اليهود من الحاضر، الناتج عن تاريخ متسلسل من الملاحقة التاريخيّة في أوروپا. أمّا نتنياهو الابن، فيعمل لخلاص اليهود من كارثة مستقبليّة (المشروع النوويّ الإيرانيّ في الوقت الراهن) كما توقّع أبراڤانئيل الكارثة القادمة على اليهود، ولكنّه اختلف عنه بالعمل على منع حدوث هذه الكارثة لا بانتظار حدوثها، ولذا يُكثر من الحديث عن الخطر الإيرانيّ ككارثة مستقبليّة تهدّد الوجود اليهوديّ في فلسطين، ويجب الاستعداد والعمل على منعها في الحاضر. وهكذا فالصهيونيّة حاولت إنقاذ الحاضر اليهوديّ من التاريخ، بينما يسعى نتنياهو إلى إنقاذ الحاضر اليهوديّ من المستقبل.

يلتفت المؤرّخ الإسرائيليّ بِنْزَكِين إلى التأثير الذي قامت به شخصيّة أبراڤانئيل وفكره على نتنياهو الابن، ولا سيّما تبنّيه لفكرة الصراع الحضاريّ بين الغرب والإسلام، حيث يقول:

«ليس من الصعب تمييز الخطوط المشتركة بين الفكر السياسيّ الذي حمله أبراڤانئيل والفلسفة السياسيّة التي يحملها نتنياهو الأب، [حيث] إن نتنياهو يعتقد أنّ هنالك صراعًا بين الغرب (المسيحيّ) ضدّ الإرهاب (الإسلاميّ)، وتبنّى من أبراڤانئيل مفهوم استعمال القوّة العسكريّة الذي قال 'فقط قوّة عسكريّة حاسمة هي الضمانة الحقيقيّة الوحيدة للسلام'، وأنّه 'كلّ حرب تحمل مخاطر كبيرة، ولهذا يجب الامتناع عنها قدر المستطاع، ففي بعض الأحيان تتناقض نتائج الحرب

(70) بشارة، من يهوديّة الدولة حتّى شارون.

مع كلّ الحسابات المنطقيّة'. ولكن أكثر ما أخذه بنيامين نتنياهو من أبراڤانئيل هو دمج الفكر السياسيّ بتاريخ الكوارث. ففي حين نظر والده في التاريخ من خلال مركّبَيْن للكارثة -التهجير من إسبانيا والهولوكوست اليهوديّ-، فإنّ نتنياهو الابن أضاف مركّبًا ثالثًا، من خلال وصفه لإسرائيل بأنّها تحمل في ذاتها إمكانيّة أن تتحوّل إلى الكارثة اليهوديّة. خطاباته الهامّة مركّبة من المبنى نفسه: بداية يتحدّث عن تاريخ الكارثة اليهوديّة، وبعد ذلك يشير إلى الخطر الكامن في كارثة مستقبليّة حقيقيّة (إيران؛ الجهاد العالميّ؛ المواطنون العرب في الانتخابات) وفي النهاية يعلن حالة طوارئ» [71].

ويكمل بِنْزَكين في تحليله العميق لهذا التأثير بالقول:

«لا يكتفي نتنياهو بوصف إسرائيل من خلال تسلسل من الكوارث التاريخيّة وطرد إسبانيا والكارثة اليهوديّة. قبل سفره من أجل الخطاب في الكونچرس [الخطاب الذي ألقاه عام 2015 الذي كان يرمي إلى إقناع الكونچرس بخطورة الاتّفاق النووي مع إيران، والذي نُظِّم دون تنسيق وموافقة من طرف إدارة أوباما]، زار نتنياهو قبر أبيه وقال هناك: 'والدي لم يخَفْ يومًا الخروج إلى العاصفة في الخارج'، وذلك من خلال استعمال الوصف الذي كتبه والده عن أبراڤانئيل. وكما حاول والده خلق ضجّة أمام اليهود في أمريكا مع وصول الأنباء عن الكارثة، بغية تجنيد الإدارة الأمريكيّة للعمل ضدّ معسكرات الإبادة ومن أجل اللاجئين [اليهود]، فإنّ نتنياهو الابن يسافر لتجنيد الكونچرس ليضغط على الإدارة الأمريكيّة ابتغاءَ إزاحة الخطر الإيرانيّ عن الوجود اليهوديّ في البلاد. المفارقة التاريخيّة تكمن في أنّ نتنياهو الأب اعتقد أنّ الحركة الصهيونيّة حقّقت نبوءة أبراڤانئيل ' ليس بقوّة الربّ وإنّما بقوّة الإنسان'، بينما تعيد أعمال ابنه شعبًا كاملًا إلى الفكر الأصليّ لأبراڤانئيل، الذي ينطلق من أنّ التدخّل الإلهيّ ضروريّ للوصول إلى الخلاص السياسيّ للشعب اليهوديّ، وهنالك من يتحدّثون عن ذلك جهرًا، ومنهم تيّارات في الأرثوذكسيّة المسيانيّة يدّعي أَتْباعها أنّ الحاخام قال لنتنياهو: «أنت ستكون رئيس الحكومة الأخير، وأنت من سينقل القيادة إلى المسيح المنتظَر»[72].

(71) أفنر بنزكين، الأب، الابن وروح المأساة، هآرتس، (بالعبرية) 23 //4 2015: https://www.haaretz.com.

(72) المصدر السابق.

في كتاب آخر لبِنْتْسِيُون نتنياهو يحمل العنوان «أصول محاكم التفتيش في إسبانيا القرن الخامس عشر»، يتناول تاريخ اليهود في إسبانيا في القرن الخامس عشر، وعلى وجه التحديد يعالج الكتاب مسألة ملاحقة اليهود من طرف محاكم التفتيش في ذلك الوقت (Inquisition)، ويصل إلى نتيجة مختلفة عن الادّعاء الذي شاع في التاريخ اليهوديّ والصهيونيّ أنّ ملاحقة محاكم التفتيش لليهود كانت لأسباب دينيّة، على الرغم من اعتناق جزء منهم المسيحيّة. يذهب بِنْتْسِيُون في كتابه إلى أنّ الملاحقة نبعت من أسباب سياسيّة بسبب تسنُّم اليهود الذين تحولوا للمسيحيّة مناصبَ قياديّةً بارزة، من ضمنها مواقع دينيّة متقدّمة في المؤسّسة الدينيّة المسيحيّة. الادّعاء الذي شاع في هذا السياق قبل دراسة بِنْتْسِيُون أنّ محاكم التفتيش استمرّت في مطاردة اليهود الذين تحولوا للمسيحيّة لأنّها لم تقتنع بصدق تحولهم، بينما يشدّد بِنْتْسِيُون على الدوافع السياسيّة لهذه الملاحقة.[73] انعكست مقولة هذا الكتاب أيضًا على توجّهات نتنياهو الابن الذي يعتقد أنّ تنازلات اليهود للعرب والفلسطينيّين لن تحميهم من الملاحقة والضغط الدوليَّيْن لتقديم تنازلات أخرى؛ فالتنازل في هذا المعنى عند نتنياهو ينسجم مع فكرة اعتناق المسيحيّة الذي اتّبعه اليهود للهروب من محاكم التفتيش، ولكن ذلك لم يسعفهم ولم ينقذهم من الملاحقة، فتفوُّقهم سيبقى محطّ حسد العالم (الأغيار)، ولذا فالتنازل في عُرْف نتنياهو يعني الضعف، بينما البديل يكون من خلال الثبات على المواقف على الرغم من الضغوط، وببناء قوّة عسكريّة واقتصاديّة تحمي الوجود اليهوديّ، لا بالخضوع لمطالب ورغبات الأغيار.

في سياق دراسة بِنْتْسِيُون للتاريخ الإسبانيّ، لا بدّ من الإشارة إلى تأثير هذه الدراسة على مقاربة نتنياهو الابن للحالة الفلسطينيّة. ففي كتابه «مكان تحت الشمس»، يناقش نتنياهو مقولة الفلسطينيّين والعرب التي تنطلق من أنّ الحقّ في فلسطين هو للعرب والفلسطينيّين لكونهم عاشوا فيها طوال مئات السنين الأخيرة. هنا يستحضر نتنياهو الحالة التاريخيّة الإسبانيّة التي تَخَصّص فيها أبوه، فيزعم نتنياهو أنّ حكم العرب والمسلمين لإسبانيا لمئات السنين لم يمنع الإسبان من التصدّي لهم بالقتال وطردهم من بلادهم، وذلك على الرغم من أنّهم، أي المسلمين، شيّدوا هناك حضارة مزدهرة. وذلك أنّ قلوب الإسبان بقيت متعلّقة

(73) Benzion Netanyahu, The Origins of the Inquisition in Fifteenth Century Spain (New York: Random House, 1995).

ببلادهم، وفي النهاية استطاعوا طرد العرب والمسلمين من هناك وأعادوا بناء دولتهم. ولم يمنعهم وجود العرب هناك طيلة مئات السنين من التخلّي عن هذا الهدف، ولذا فإنّ ما انطبق على الإسبان ينطبق على اليهود في حالة فلسطين، فضلًا عن أنّ العرب في فلسطين -بخلاف المسلمين في إسبانيا، كما يشير نتنياهو، وهو ما سنتطرّق إليه لاحقًا-لم ينتجوا ثقافة أو يشيّدوا عمرانًا في البلاد، فكانوا عابرين في فلسطين، حملتهم الرياح إلى هناك، وسيَعْبرون مع هبّة رياح أخرى إلى مكان آخر[74].

كان الدرس الأساسيّ الذي تعلّمه نتنياهو الابن من والده، في ما يتعلق بالتاريخ الإسبانيّ، أنّ اليهود عليهم أن يكونوا مستعدّين للقتال مئات السنين للحفاظ على حقوقهم.[75] كان نتنياهو يعتقد أنّ استمرار القتال والاستعداد له سيكون لصالح الشعب اليهوديّ، ولا سيّما ديمچرافيًّا؛ إذ كان يؤمن بأنّ الميزان الديمچرافيّ سوف يصبّ لصالح اليهود في فلسطين. هكذا كتب في فصل «المسألة السكّانيّة» في كتابه «مكان تحت الشمس»، وفقط في دورات حكمه الأخيرة بدأ نتنياهو يعطي العامل الديمچرافيّ أهمّيّة أكبر في خياراته السياسيّة، وذلك بتأثير نهج وتوجّه أريئيل شارون. فبدل ضمّ كلّ الضفّة الغربيّة مع سكّانها (نهج نتنياهو القديم)، يمكن ضمّ غالبيّة الضفّة الغربيّة بدون سكّانها.

وخلاصة ذلك أنّ ثمّة تأثيرًا فكريًّا وسياسيًّا بالغًا لبِنْتْسِيُون على نجله بنيامين نتنياهو، وقد ظهرت معالم هذا التأثير على خطاب الابن السياسيّ والأيديولوجيّ. تعود جذور بِنْتْسِيُون نتنياهو الفكريّة إلى حقبتين تاريخيّتين، تاريخ اليهود في القرون الوسطى، وتاريخ الحركة الصهيونيّة التنقيحيّة، حيث كان بِنْتْسِيُون مُرافقًا شخصيًّا ومقرّبًا من قائدها ومُنظِّرها. وقد تأثّر بِنْتْسِيُون من كلّ حقبة بطريقة أسهمت في بلورة فكره وتصوّراته. فمن حقبة القرون الوسطى تأثّر بِنْتْسِيُون من تاريخ اليهود في إسبانيا والكارثة التي حلّت بهم، وتقاعُس اليهود عن منع الكارثة بالارتهان إلى الفكر الخلاصيّ المسيانيّ، فضلًا عن أنّه استمدّ من هناك تفوّقَ أو فوقيّة اليهود على الشعوب الأخرى، ودَوْرهم في الفكر الحديث، مستنتجًا أنّ على اليهود بناء قوّتهم وكيانهم من خلال الاعتماد على ذاتهم الجماعيّة عبْر تعزيز مصدر القوّة الأساسيّ للشعوب، أي القوّة العسكريّة التي كان يمكن لها أن تمنع

(74) بنتنياهو، مكان تحت الشمس.

(75) Aronoff, "The Political Psychology", 46.

الكارثة التي حلّت بهم بسبب الطرد من إسبانيا. أمّا من حقبة التاريخ الحديث، فقد تأثّر بفكر جابوتنسكي، وانتقد الصهيونيّة السياسيّة (حاييم ڤايتسمان ولاحقًا بِنْجوريون) التي ارتهنت للعمل الدبلوماسيّ والسياسة البِرجماتيّة المفرِّطة، برأيه، لتحقيق أهدافها، على حساب بناء قوّة عسكريّة يهوديّة. يمكن القول إنّ الفكر الخلاصيّ الدينيّ المسيانيّ، الذي لم يمنع كارثة اليهود في القرون الوسطى، ينسجم برأي بِنْتْسِيُون مع العمل الدبلوماسيّ والاعتماد على الآخرين واستعطافهم على نحوٍ مُفْرِط، وهذا ما يرى هو أنّ الصهيونيّة القايتسمانيّة والبِنْجوريونيّة الحديثة تتميّز به؛ في الحالتين أصابت اليهود كارثةٌ، كارثة الطرد في إسبانيا بسبب الارتهان إلى الفكر الخلاصيّ المسيانيّ، والكارثة اليهوديّة الحديثة التي أصابت اليهود بسبب المراهنة على الدبلوماسيّة الزائدة والبِرجماتيّة السياسيّة. انعكست الحالتان على فكر نتنياهو الابن الذي يريد منع كارثة مستقبليّة قد تحلّ باليهود في فلسطين، وذلك بالاعتماد على فكرة الجدار الحديديّ في معناها المجازيّ، أي بناء قوّة عسكريّة وعدم الثقة بالآخرين، بل بالاعتماد على الذات فقط.

مقتل شقيقه يوناتان وإنتاج سرديّة البطولة والتضحية

يهدف هذا المبحث إلى تحليل تأثير أخيه الأكبر، يوناتان نتنياهو (لاحقًا: يوني) على شخصيّة نتنياهو. ويستند هذا المبحث إلى تحليل الكتاب الذي حرّره نتنياهو وأخوه عيدو عن أخيهما بعد مقتله. سُمِّيَ هذا الكتاب «رسائل يوني»، وهو الكتاب الأوّل الذي حرّره نتنياهو، وصدر في أعقاب مقتل أخيه في عمليّة عنتيبي في أوغندا. قام نتنياهو وأخوه عيدو بتجميع الرسائل التي كتبها يوني منذ الستّينيّات (وتحديدًا منذ عام 1963) إلى ما قُبَيْل مقتله (1976)، وكتبوا له خلاصةً تُبيّن رؤيتهما لمكانة أخيهما في التاريخ اليهوديّ. و«رسائل يوني» عبارة عن رسائل كان يوني يبعثها إلى عائلته، وخاصّة والده، ولم تَخْلُ من رسائل وجّهها إلى بنيامين نتنياهو نفسه [76].

عملت عائلة بنيامين نتنياهو، وهو شخصيًّا، على مَوْضَعة أخيه في قلب الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة، كأحد الأبطال في تاريخ الشعب اليهوديّ؛ إذ حرصت العائلة على بَلْوَرة ذاكرة تاريخيّة تقرن نجاح عمليّة تحرير الرهائن الإسرائيليّين وتضحية

(76) بنيامين نتنياهو، وعيدو نتنياهو. رسائل يوني. (تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1978). (بالعبرية)

أخيه بهذه العمليّة، حيث سُمّيت العمليّة العسكريّة الناجحة «عمليّة يوني». كان يوني قائد القوّة الإسرائيليّة التي هاجمت مختطفي الطائرة الفرنسيّة في مطار عنتيبي، وقُتِل يوني خلال الهجوم الأوّل على المطار، وكان القتيلَ الوحيد في العمليّة الناجحة. وقد ارتبطت العمليّة بيوني نتنياهو لأنّه كان القتيل الوحيد في هذا الهجوم، ولذا كان من السهل بناء موقع مركزيّ له في الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة، وكان كتاب «رسائل يوني» الحجر الأوّل في أساس هذه المَوْضعة التاريخيّة، وقد أنتجت السينما الإسرائيليّة فيلمًا خاصًّا عن يوني ودوره في العمليّة، وضعه في مركز العمليّة وأسهم في تعزيز موقعه في الذاكرة الشعبيّة الإسرائيليّة، كما قام أخوه عيدو نتنياهو بتأليف كتاب كامل عن دَوْر يوني في عمليّة عنتيبي أسماه «معركة يوني الأخيرة» صدرت الطبعة الأولى منه عام 1991، وأعيدت طباعة الكتاب عام 2011 [77]، وذلك على الرغم مِن أنّ مَن دفعوا بالعمليّة وخطّطوا لها كانوا شخصيّات أخرى.

لا شكّ أنّ مَوْضَعة يوني كبطل في الذاكرة التاريخيّة الإسرائيليّة كانت تحمل أيضًا أهدافًا سياسيّة للعائلة، ترمي إلى تحدّي الذاكرة التاريخيّة الرسميّة العمّالية الصهيونيّة التي أقصت اليمين التنقيحيّ، فضلًا عن إقصاء عائلة نتنياهو كجزء من هذا اليمين، هذه الذاكرة التي سيعيد الليكود إنتاجها من جديد عند اعتلائه للحكم عام 1977، ويعيد الصهيونيّة التنقيحيّة، وأبطالَها ورموزها وتاريخها، لتَكُون جزءًا من مَعْبد الذاكرة الإسرائيليّة [78].

يشير كتاب «رسائل يوني» -في ما يشير- إلى الحالة النفسيّة الصعبة التي كان يوني يعيشها في فترة أيّامه الأخيرة؛ فمن يقرأ رسائله عشيّة موته يدرك ذلك بسهولة. كذلك تكشف الصحفيّة رونيت فيردي أنّ أفراد وحدة يوني كانوا ينوون عَقد جلسة مع رئيس الاستخبارات العسكريّة كان من المُزمَع عقْدها بعد أسبوع من عمليّة عنتيبي، يطالبون فيها بتنحيته عن الوحدة لأنّ أداءه تَراجَعَ، وحالته النفسيّة ازدادت صعوبة. وعن العمليّة العسكريّة، تشير أنّ يوني لم يكن في جميع مراحل التحضير للعمليّة، وأنّه انضمّ إلى المراحل الأخيرة من التخطيط للعمليّة

(77) عيدو نتنياهو، معركة يوني الأخيرة (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2011). (بالعبرية)

(78) أودي ليبل، الطريق إلى مدفن عظماء الأمة: الإيتسل والليحي وحدود الذاكرة الإسرائيلية (القدس: كرمل، 2007) (بالعبرية)

ولم يكن مشاركًا منذ بدايتها، وكان الجميع، العسكريّون والسياسيّون، يعرفون ذلك، ولكن جرى التعامل معه كضابط مركزيّ للعمليّة، لأنّه كان القتيل الوحيد، وضابطًا كبيرًا في الوحدة التي قامت بالعمليّة، ولأنّ القيادة العسكريّة والسياسيّة، وعلى وجه التحديد إيهود براك (بوصفه أحد الضباط الذين خططوا للعمليّة) وشمعون بيرس (بوصفه وزيرًا للدفاع آنذاك) أرادت الحفاظ على مشاعر العائلة، وبذلك «أسهموا من حيث لا يدرون ولا يقصدون في مشروع تخليده» كبطل من أبطال الشعب اليهوديّ [79].

الحقيقة أنّ ما يهمّنا من هذه الحيثيّات هو الاستخدام الذي قامت به العائلة ونتنياهو حتّى اليوم لهذا الحدث لـمَوْضعة نفسها في تَراتُبيّة الموت الإسرائيليّة، وربط العائلة بالتضحية من أجل الوطن، ومَوْضعة يوني في معبد أبطال الشعب اليهوديّ. ففي خاتمة كتاب «رسائل يوني»، كتب الشقيقان عيدو وبنيامين (محرّرا الكتاب) ما يلي:

«طبعًا فإنّ خيار يوني لم يكن ممكنًا لولا [...] أنّه رأى بعينيه انتماءه للشعب اليهوديّ ولأرض إسرائيل. لقد نظر إلى نفسه على نحوٍ واضح كممثّل التاريخ الرائع لشعب إسرائيل، كوريث تراث المكّابيم وبار كوخبا [مجموعة يهوديّة عسكريّة خُلّدت في الذاكرة اليهوديّة المعاصرة مقرونة بمفاهيم الشجاعة والتضحية]، وكمكمّل في نضال البطولة لشعب إسرائيل الذي لا مثيل له بوجوده وخصوصيّته»[80].

عبّر يوني في رسائله عن محبّته لأخيه بنيامين الذي قال عنه إنّه «أكثر إنسان يحبّه في العالم»[81]. في موضع آخر، يصف يوني في رسالة بعثها عام 1964 نصًّا كتبه بنيامين (لم يأتِ على ذكر ما هو ذاك النصّ)، بما يلي: «رائع. لديك قدرة غير عاديّة على الكتابة والتعبير، كنت أتمنّى لو عرفتُ مقدار نصف الإنجليزيّة التي تعرفها. أنت قادر، كما يبدو لي، أن تستغلّ كلّ مخزون اللغة التي تعرفها. إذا استمررت على هذا المنوال، فستنجح في تحقيق أمور رائعة» (ص 56).

(79) فيردي، بيبي- من أنت، سيّدي رئيس الحكومة، 141.

(80) نتنياهو، ونتنياهو، رسائل يوني، 292-291.

(81) المصدر السابق، 52.

ولكنّه عبّر أيضًا عن مواقف كثيرة، على نحو حياة اليهوديّ في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، حيث عاش يوني هناك وتنقّل بين إسرائيل والولايات المتّحدة مكان سكن والدَيْه ودراسته في جامعة هارفارد لاحقًا. ففي هذه النقطة كشف يوني، وعلى نحوٍ مثابر وعبْر كلّ هذه الفترة التي بعث بها رسائله، عن امتعاضه من اليهود الذين يسكنون خارج إسرائيل، واعتبر أنّ الحرّيّة الحقيقيّة لليهوديّ تتمثّل في العيش في إسرائيل. في رسالة بعثها في نيسان عام 1963، كَتبَ -في ما كَتبَ-: «أمران يمكن أن يَحْدثا لإسرائيليّ في أمريكا؛ إمّا أن يتحوّل إلى أمريكيّ خالص، وإمّا أن يتحوّل إلى إسرائيليّ بدمه وروحه أكثر ممّا كان في السابق. أنا أنتظر اللحظة التي فيها أستطيع العودة وأبدأ الحياة من جديد»[82].

في الفترة التي سبقت سفره إلى إسرائيل والتحاقه بالجيش عام 1964، شرح يوني أمورًا تتعلّق بنشاطه بين الشباب اليهوديّ في أمريكا، ودَوْره في عرض الرواية الإسرائيليّة والصهيونيّة للشباب اليهوديّ ونجاحه في ذلك. في رسائله الأخيرة، اعتبر يوني أنّ التنازل عن أراضٍ احتلّتها إسرائيل عام 1967 يُعتبر «انتحارًا سياسيًّا»، وتمّنى في الرسالة نفسها أن يخرج الشخص الذي يقوم بالتضحية بعمل شجاع وينهي هذه الحرب[83]. وانتقد يوني في رسائله نيّة الحكومة الإسرائيليّة الانسحاب من أراضٍ عربيّة من أجل عَقْد اتّفاق سلام مع العرب. في إحدى رسائله في تشرين الثاني عام 1974، أشار يوني إلى اقتراب نهاية دولة اليهود إذا لم يجرِ حسم الحرب مع العرب، أو إذا جرى الانسحاب من الأراضي المحتلّة، ويُلحَظ في هذه الرسالة ربط مصير الشعب والدولة بخدمته الشخصيّة في الجيش، حيث يكتب:

«أنا خائف على مصير دولة اليهود. لا أوهام لديّ. أنا أرى أنّ الصيرورة المقصودة التي ستؤدّي إلى نهايتنا تتسارع... لن تكون الصيرورة سريعة، ولكن قوّتنا ستتلاشى من حرب إلى أخرى، ويمكن أن نخرج بسلام إذا نجحنا في أن «نستمرّ في الشغل» [تعبير إسرائيليّ دارج للدلالة على التسويف والمماطلة] لعشرات السنوات... أنا حاليًّا في الجيش، وأنا مقتنع إلى حدّ ما أنّني أقوم، على الأقلّ في هذه الفترة، بأقصى ما يمكن لكي أطيل حياتنا، أو منع انقطاعها قبل أوانها»[84].

(82) المصدر السابق،16.

(83) المصدر السابق ،282.

(84) المصدر السابق ،251.

في الخاتمة التي كتبها نتنياهو وشقيقه عيدو في كتاب «رسائل يوني»، يشيران إلى أنّ يوني يمثّل تاريخ وبطولة الشعب اليهوديّ؛ إذ يكتبان: «في السنوات التي أعقبت حرب الأيّام الستّة، آمن يوني أنّه على الرغم من كلّ الصعاب السياسيّة التي كانت تواجه «إسرائيل»، يستطيع الجيش دائمًا أن يُبعِد الهولوكوست عنّا». ويحلّل المحرّران الرسالة بشأن خوف يوني على مصير دولة اليهود، ويكتبان تحليلًا لهذه الرسالة، والتي نعتقد أنّها تمثّل نتنياهو حتّى اليوم، حيث يشيران إليها على النحو التالي:

«غيّرت حرب يوم الغفران، وما جاء في أعقابها، نمطَ التفكير لدى يوني؛ فقد تبلور لديه الوعي أنّ الطريق التي تسير بها الدولة ستقودها إلى مضيق سيهدّدها بخطر الخراب [ذاك تعبير دينيّ يمثّل تدمير الدولة- مثل خراب الهيكل]». في الثالث من تشرين الثاني كتب: «أنا خائف على مصير دولة اليهود. لا أوهام لديّ. أنا أرى أنّ الصيرورة المقصودة التي ستؤدّي إلى نهايتنا تتسارع... لن تكون الصيرورة سريعة، ولكن قوّتنا ستتلاشى من حرب إلى أخرى، ويمكن أن نخرج بسلام إذا نجحنا في أن 'نستمرّ في الشغل' لعشرات السنوات». في الـ 11 من تشرين الثاني عام 1975 كتب: «لا أخبار مثيرة في البلاد. كلّ شيء عاديّ، بمعنى سيّئ إلى حدّ ما، ويحتاج [الواقع] إلى تحسين فوريّ... محزن! بدأت أشعر كأنّني فيتناميّ صغير، والحكمة هي أن نحارب عمليّة العزلة التي تحيط بنا. ولكن لا حكماء في إسرائيل». قارِنوا ذلك بمقطع من رسالة كتبها يوني قبل حرب يوم الغفران، في بداية عام 1973:

«مثير ماذا سيحدث في منطقتنا في أعقاب اتّفاق السلام في فيتنام. لا زلت لا أرى سلامًا في الشرق الأقصى، بالطبع، بل على العكس. أنا أتنبّأ بحرب دمويّة، وربّما انتصار شيوعيّ هناك. على ما يبدو، ذاك لن يمنع الأمريكيّين من الانتقال من هول الانتصار إلى الشرق الأوسط وتسوية «سلام» هنا... أنا أعتقد أنّه سيكون من الصعب أن تُفرَض علينا شروط سلام لا نرغب بها، وآمل أن يكون للأمريكان عقل أن لا يجرّبوا ذلك»[85].

(85) المصدر السابق، 293.

سلطويّة نتنياهو والهيمنة الشخصيّة والفكريّة

منذ أن أطلق عليه مكسيم ليفي صفة «الدكتاتور»، في بداية التسعينيّات، ونتنياهو يؤكّد مرّة تلو الأخرى صوابيّة هذا التوصيف. يحمل نتنياهو صفات الشخصيّة السلطويّة، في إدارته للحقل السياسيّ والحزبيّ الإسرائيليّ، وفي إدارته للسياسات الدوليّة الإسرائيليّة. أشار المؤرّخ الإسرائيليّ عوفر نوردهايمر، أستاذ التاريخ في جامعة تل أبيب، إلى خمسة مؤشّرات للقيادة السلطويّة (بما في ذلك تلك التي في إسرائيل حاليًا): نزْع شرعيّة الخصوم السياسيّين؛ اتّهام وسائل الإعلام بأنّها معادية وغير وطنيّة؛ سَنّ تشريعات انتقائيّة ضدّ منظّمات حقوق الإنسان والأقلّيّة، لكن ليس ضدّ مجموعة «الوطنيّين»؛ نزع شرعيّة المؤسّسات التي تهدّد الروح السلطويّة؛ إحداث تفسُّخ بين المجموعات المختلفة، الأمر الذي يُضعفها ويخلق الشعور بالضحويّة عند المجموعة المنضوية تحت الحكم [86].

وتعود سلطويّة نتنياهو إلى تصوُّره لذاته في تاريخ الشعب اليهوديّ. يشير الكثيرون إلى الانطباع الذي يرسمه نتنياهو لشخصيّته ودَوْره في تاريخ الشعب اليهوديّ، فهذا ما أعدّه له والده منذ البداية عندما غرس فيه «الالتزام لشعبنا»، وهذا ما تراه عائلته، على غرار ما وصفه نجله يائير: «عندما نرى تضحيتك واستعدادك للتضحية بنفسك من أجل أرض إسرائيل وشعب إسرائيل، نقول شكرًا جزيلًا لك على التضحية». ويعقّب الصحفيّ النقديّ روجل ألْبير على هذه الكلمات، الصادرة من نجله بمناسبة عيد ميلاد والده عام 2017، بالقول:

«هذه كلمات سجود تقليديّة. تَعْرض القائد كمن يضحّي بنفسه من أجل الشعب والوطن. ويجب الانتباه أنّ القيادة حصل عليها بسبب استعداده للتضحية بنفسه من أجل الشعب والوطن، لا بسبب انتخابه بصورة ديمقراطيّة لمنصب يمكن للجمهور أو القانون أن يطيحا به. رئاسة الحكومة له، لأنّه ثمّة علاقة روحانيّة مع الشعب والوطن»[87].

(86) عوفر نوردهايمر نور، خطر الديمقراطية السلطوية، هآرتس، 7/12/2016(بالعبرية)، https://tinyurl.com/ypvy28p7

(87) روجل ألبير، تشظّي يئير الذاتي، هآرتس،(بالعبرية) 30 /10/ 2017، https://www.haaretz.co.il/ty-WRITER/0000017f-da5a-d494-a17f-de5b7c280000

يشير شموئيل كِمْحِي وآخران، في دراستهم التحليليّة لسلوكِ نتنياهو السياسيِّ، إلى أهمّ صفات نتنياهو الشخصيّة، والتي يمكن إدراجها في المقاربة السلطويّة لشخصيّته. يقارن الباحثون بين سلوك نتنياهو السياسيِّ في العام 1999 وسلوكه في العام 2017، ويتوصّلون إلى نتائج تؤكّد أنّ أنماط السلوك السياسيّ لدى نتنياهو لم تتغيّر في العامَيْن المذكورَيْن، بل أصبحت أكثر راديكاليّةً [88]. ويشيرون تحديدًا إلى الصفات التالية وهي: مَيْل نتنياهو إلى المركزيّة وتهميش الآخرين؛ التركيز على الولاء الشخصيّ له هو؛ عدم تحمُّل المسؤوليّة عن الأخطاء والإخفاقات؛ لا يتّخذ قرارات صعبة؛ بقاؤه في الحكم فوق أيّ اعتبار؛ يخاطب بالأساس قواعده اليمينيّة؛ لا يعتذر عن أخطائه؛ يمنع وجود منافسين له في الحزب ويقوم على إقصائهم؛ يتعامل مع الآخرين بطريقة أداتيّة، فمَن حَوْله هم مجرّد أدوات بيده ولا يهتمّ بمشاعرهم؛ متعطّش للسلطة بلا حدود... تلك وغيرها من الصفات التي يرصدها الباحثون تدلّ على تفكيره السلطويّ. وهي المميّزات السلوكيّة نفسها التي توصّل إليها كِمْحِي في دراسته الأولى عن شخصيّة نتنياهو عام 2001، ولم يرصد فيها تغييرًا يُذْكَر في الدراسة عام 2017، بل رصد تعزيزًا لها [89].

يوظّف نتنياهو خطاب الخوف والتخويف في سبيل تعزيز سلطويّته وسيطرته على الحقل السياسيّ وعلى وعي الإسرائيليّين الجماعيّ. خطاب إشاعة الخوف يرمي إلى ضمان بقائه في السلطة. هو يسوّق نفسه على أنّه الوحيد القادر على تخفيف خوفِ الإسرائيليّين، الخوفِ الذي أنتجه هو بنفسه ويعيد إنتاجه باستمرار [90]. فعلى سبيل المثال، يحذّر نتنياهو الإسرائيليّين من خطر الإبادة بسبب المشروع النوويّ الإيرانيّ من جهة، ويدعو اليهود في العالم للهجرة إلى إسرائيل كونها المكان الآمن الوحيد لهم. وقد استخدم خطاب إشاعة الخوف في انتخابات الكنيست العشرين 2015، عندما حذّر قواعده الاجتماعيّة من خطر تصويت العرب في الانتخابات، ممّا سيؤدّي إلى إسقاط حكم اليمين. تلك مشاعر أسهمت في حصول الليكود على أكبر عدد من المقاعد وإعادة تشكيل نتنياهو للحكومة.

(88) Shaul Kimhi, Sagit Yehoshua, and Yarden Oliel, "Behavior Analysis of Benjamin Netanyahu in 1999 and 2017: What Has Changed?" Annals of Psychiatry and Mental Health 5, no. 5 (2017): 1–10.

(89) Shaul Kimhi, "Benjamin Netanyahu: A Psychological Profile Using Behavior Analysis," in Profiling Political Leaders: Cross-Cultural Studies of Personality and Behavior, ed. Ofer Feldman and Linda O. Valenty (Westport, CT: Praeger, 2001)

(90) Neill Lochery, The Resistible Rise of Benjamin Netanyahu (New York: Bloomsbury Publishing, 2016).

يُعتبر نتنياهو نموذجًا لزعيم يمينيّ متطرّف يسعى إلى ترسيخ حكمه عبر نزع شرعيّة خصومه، وهو يعمد في ذلك إلى خطاب شعبويّ، ووسائل الإعلام الحديثة، في مقارعة خصومه في الداخل والخارج. فهو يستخدم بكثرة صفحات التواصل الاجتماعيّ، ليعبّر عن استهتاره بالنظام الدوليّ القائم والمؤسّسات الدوليّة، ولمهاجمة كلّ من ينتقدون إسرائيل متّهمًا إيّاهم بالجهل أو بمعاداة إسرائيل أو بمعاداة الساميّة. يكشف تحليل أُجْرِيَ لموقع نتنياهو على صفحة التواصل الاجتماعيّ «فيسبوك»، خلال العام 2016، أنّ هنالك أربع فئات يهاجمها نتنياهو على نحو جماعيّ: المجتمع الدوليّ (32%)؛ الإعلام (28%)؛ العرب (20%)؛ اليسار (17%)[91]. وفي تقرير آخر فَحَصَ نصوص نتنياهو على صفحته في الفيسبوك في العام 2016، تَبيّنَ أنّ نتنياهو كتب 556 نصًّا، من بينها 157 (وهي أغلبها) عالجت مسائل في علاقات إسرائيل الدوليّة ولقاءاته مع شخصيّات دوليّة. وتناول 96 نصًّا قضايا الأمن والحرب ضدّ الإرهاب، وَ18 نصًّا أكّد فيها على غياب شريك في الجانب الفلسطينيّ.[92]

أثبتت حالة ترامپ أنّ استعمال مواقع التواصل الاجتماعيّ يمكن له أن يشكّل أداة فعّالة لإدارة وبلورة الشأن العامّ وصياغة المجال العموميّ، وهذا ما فهمه نتنياهو، وهو يكثر من استعمال هذه الأداة في إدارة مواقفه الدوليّة أيضًا، وفي هجومه على خصومه السياسيّين، حتّى قبل ظاهرة ترامپ، وقد يكون ترامپ تقليدًا لنتنياهو لا العكس.

يبلور نتنياهو خطابًا محليًّا ودوليًّا يحمل ثلاثة مركّبات وهي: مركّب استشراقيّ؛ مركّب كولونياليّ؛ مركّب سلطويّ. يتمثّل المركّب الاستشراقيّ في الادّعاء أنّ النظام الدوليّ القائم (والمجتمع الدوليّ بكلّ مركّباته) لا يفهم طبيعة التحوّلات الجارية على البيئة الدوليّة والإقليميّة، وإسرائيل هي الدولة الوحيدة في العالم التي تفهم هذا العالم بالشكل الصحيح. في هذا الصدد، صرّح نتنياهو عشيّة تولّي ترامپ لرئاسة الولايات المتّحدة، وبعد قرار مجلس الأمن الذي أدان الاستيطان، وانعقاد مؤتمر پاريس للسلام في كانون الثاني عام 2017، «أنّ عالم الأمس انتهى وعالم الغد سيكون مختلفًا، وهو قريب» [93].

(91) يردين ميخائيلي، (قويّ أمام المتصفّحين)، هآرتس، 30 /1/ 2017، 3.

(92) ليئور دتل، دروكر – 16، الفقر – 0: فحصنا حساب فيسبوك نتانياهو، وهذا ما اكتشفنا، ذي ماركر (بالعبرية)، 2017/1/1: https://tinyurl.com/t7kr87y6

(93) أرئيل كهانا، نتنياهو عن مؤتمر باريس: سَكَرات عالم الأمس الأخيرة، مكور ريشون (بالعبرية)، 15/1/2017: https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART2/857/270.html

الخطاب الاستشراقيّ تحديدًا يَعتبر إسرائيل الوحيدة التي تفهم طبيعة «الإرهاب الإسلاميّ»، ومخاطر اللجوء والهجرة من الدول العربيّة والإسلاميّة، وتفهم العقليّة العربيّة وتحوُّلات البيئة الإقليميّة الشرق أوسطيّة أكثر من أيّة دولة أخرى [94]. في هذا يقول بوعز بيسموط، محلّل الشؤون الخارجيّة في صحيفة «يسرائيل هَيُوم» ورئيس تحريرها الحاليّ، وهي منصّة المنطوق واللامنطوق لأفكار نتنياهو، «أنّ العالم يعيش في أوهام» ونتنياهو يكشف للعالم الواقع الحقيقيّ الذي يتجاهلونه [95].

أمّا المركّب الكولونياليّ في سياسة نتنياهو الدوليّة، فيتمثّل في تكراره في خطاباته لمقولة أنّ إسرائيل هي رأس الحربة في حرب «العالم الحرّ» ضدّ «الإرهاب الإسلاميّ» (مكتب رئيس الحكومة، 2015)، وهي تعيد إلى الأذهان مقولة ثيودور هرتسل التاريخيّة والتي ملخَّصُها أنّ إقامة دولة لليهود ستشكّل الثغر الأماميّ للعالم الغربيّ أمام البربريّة، ومقولته الشبيهة لتلك التي قالها هرتسل ومفادُها أنّ الجدران تُبنى لمنع «الحيوانات المفترسة» من اجتيازها [96].

يُكثِر نتنياهو من تمجيد نفسه (حتّى من خلال استعماله كلمة «أنا» في كلّ جملة) في كلّ محفل محلّيّ، وحتّى على المستوى الدوليّ، فهو يطلب من الجميع أن يتركوا له شخصيًّا قيادة السفينة على المستوى المحلّيّ والدوليّ، ولذلك فهو لا يرى أهمّيّة كبيرة في وجود وزارة للخارجيّة، بل دائمًا يذكر ويؤكّد أنّ علاقاته الشخصيّة مع زعماء العالم، ومكانته الدوليّة، هي المورد الأساسيّ للسياسة الخارجيّة الإسرائيليّة، فدائمًا يشير إلى علاقاته الشخصيّة مع زعماء العالم، والتي تسبق تقاطع المصالح معها كمورد أساسيّ في تعزيز علاقات إسرائيل مع دول العالم. في أحد الاجتماعات صرّح قائلًا: «ليست هنالك حاجة إلى موظّفي وزارة الخارجيّة؛ فأنا موجود» [97].

(94) مهند مصطفى، «الإنتاج المعرفي الإسرائيلي عن الربيع العربي: بين التوجه الأيديولوجي والأداة الاستشراقية»، سياسات عربية، العدد 18 (2016)، 186–195.

(95) بوعز بيسموط، العالم يحب الأوهام، نتنياهو وصف الواقع، يسرائيل هيوم، (بالعبرية) 1 /10/ 2015. https://tinyurl.com/4u57k2m2

(96) أمير تيبون، نتنياهو تجوّل عند الجدار الذي يُقام مع الأردن: الدفاع عن الفيلا من الحيوانات المفترسة، واللا (بالعبرية) 9/2/2016: https://news.walla.co.il/item/2933526

(97) براك رافيد، نتنياهو لضابط في جلسة دبلوماسيّة: «لا حاجة إلى موظّفي وزارة الخارجيّة، أنا هنا»، هآرتس (بالعبرية)، 14/10/2016: https://tinyurl.com/3b82b9rb

في السياق نفسه، هاجم نتنياهو منظّمات إسرائيليّة تنتقد إسرائيل على المستوى الدوليّ، نحو: منظّمة «بتسيلِم» التي ظهر مديرها، حجاي إلعاد، في مجلس الأمن وتحدّث عن المشروع الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة؛ ومنظّمة «يكسرون الصمت» التي تحاول الكشف عن مخالفات وجرائم حرب خلال حروب إسرائيل الأخيرة على قِطاع غزّة، مُطالبًا دولًا غربيّة بعدم تمويلها. ويهاجم نتنياهو هذه المنظّمات لا لدواعٍ سياسيّة محلّيّة انتخابيّة فحسب، بل كذلك لأنّها تُعتبر تحدّيًا لسياسته على المستوى الدوليّ. لذا يَعتبر نشاطها تخريبًا لجهوده الدبلوماسيّة على المستوى الخارجيّ وتحدّيًا لانتشار تصوّراته الأيديولوجيّة.

كذلك أخذت سلطويّة نتنياهو تظهر في حرصه على تعيين شخصيّات مقرَّبة منه في المناصب المهمّة في السلك الحكوميّ، ويشير الكاتب سامي پيرتس أنّ السؤال الذي يسأله نتنياهو عند تعيينه شخصًا في منصب مهمّ: «هُوَ مِشيلانُو؟» (هل هو واحد منّا؟) [98]. هذا تعبير مرتبط بثقافة يمينيّة شرقيّة، تنطلق من فهم عضويّ – قَبَليّ للحزب على أنّه عائلة واحدة، وهو مصطلح أطلقه الشرقيّون حين صوّتوا لحزب الليكود وانبهروا بمناحيم بيچن، حيث اعتبروا أنّ بيچن (البولنديّ الإشكنازيّ) «إحاد مشيلانو» (وترجمتها إلى العربيّة: «هو واحد منّا» –أي إنّه شرقيّ). وعندما يسأل نتنياهو عن كلّ شخص: هل هو واحد منّا؟ فالأمر نابع من حرصه أن يضع في مراكز اتّخاذ القرار شخصيّات مخلصة له في الدرجة الأولى وللحزب بالدرجة الثانية. ويعتقد پيرتس أنّه ليس الإخلاص بالضرورة لتوجّهات الحزب السياسيّة، بل بالحرص على بقاء نتنياهو والليكود في الحكم، ويصفها پيرتس بأنّها مقولة تتميّز بها العصابات. وممّا يدلّ على أنّ فكرة «واحد منّا» تحمل بالأساس معنى الولاء الشخصيّ لنتنياهو، لا الانتماء الأيديولوجيّ للحزب، ذاك النقد الذي وجّهه مقرَّبو نتنياهو إلى رئوبين ريڤلين، رئيس الدولة، الذي انتقد –في خطابه في الكنيست بمناسبة افتتاح الدورة الشتويّة للكنيست عام 2017– محاولات الحكومة تشريع قوانين غير ديمقراطيّة، حيث قال دافيد بيطان، رئيس الائتلاف الحكوميّ السابق (والذي هو كذلك متورّط بقضايا فساد ماليّ) عن ريڤلين إنّه «منذ مدّة ليس واحدًا منّا. لست متفاجئًا ولا أتوقّع شيئًا منه. ردوده ضدّنا هي دائمًا بسبب أنّ نتنياهو لم يصوّت له ولم يؤيّده في انتخابات رئاسة

(98) سامي پيرتس، بيبي يحتاج أن يكون كل من حوله «منّا»، هآرتس (بالعبرية)، 27/12/2017: https://tinyurl.com/uadp6kra

الدولة. نحن انتخبَنا الشعب وهو انتخبه أعضاء الكنيست لا الشعب. نحن نمثّل جمهورنا وجمهور شعب إسرائيل»[99].

بات نتنياهو مهووسًا بتعيين أناس مقرّبين منه يتميّزون بالإخلاص الشخصيّ له بالدرجة الأولى، ويزداد هوسه بذلك كلّما امتدّت فترة حكمه التي أفضتْ إلى زيادة أعدائه الشخصيّين، كما أنّ تجربته مع المقرّبين جعلت منه مهووسًا في التشديد على إخلاص مؤيّدين له شخصيًّا. فتاريخه مليء بمقرّبين صعدوا في ظلّه وتركوه وتحوّلوا إلى أعداء له، بدءًا بنفتالي بينيت رئيس حزب البيت اليهوديّ، وأَييلِتْ شَكيد وزيرة القضاء (من الحزب نفسه)، اللذَيْن عملا مساعدَيْن شخصيَّيْن له في بداية طريقهما، ويحملان عداءً شخصيًّا له، مرورًا بمستشاره السياسيّ السابق عوزي آراد الذي تحوّل إلى أشدّ الناقدين له، وانتهاء برئيس طاقمه السابق آري هارو، الذي وقّع على اتّفاق شاهد ملَكيّ مع النيابة في ملفّات الفساد المتورّط بها نتنياهو، وكان أحدَ أهمّ المقرّبين له ومطّلعًا على الكثير من أسراره الشخصيّة. والقائمة تطول في هذا السياق.

(99) المرجع السابق.

الفصـــــــل الثالث
أيديولوجيّة وفكر نتنياهو تأطير المشروع الصهيونيّ ضمن صراع الحضارات

يهدف هذا الفصل إلى قراءة فكر نتنياهو وتصوُّراته الأيديولوجيّة من خلال نصوصه التي كتبها. وينطلق هذا الفصل من مقولة الكتاب الأساسيّة التي مُلخَّصها أنّ نتنياهو يعتقد أنّ المشروع الصهيونيّ هو جزء من الصراع الحضاريّ بين الغرب المسيحيّ – اليهوديّ والحضارة العربيّة – الإسلاميّة، علاوة على أنّ المشروع الصهيونيّ هو رأس الحربة في هذا الصراع. وقبل الشروع في تحليل كتابات نتنياهو، يستعرض الفصلُ النقاشَ حول شخصيّة نتنياهو وتصوّراته السياسيّة والأيديولوجيّة.

مقاربة شخصيّة نتنياهو في بعض الأدبيّات الإسرائيليّة

بداية، تحاول الكثير من الكتابات مقارنة نتنياهو بزعماء في العالم من الماضي والحاضر. طَوْرًا يقارَن ببِنْچوريون؛ فكما أنّ بِنْچوريون أقام دولة إسرائيل وصبغها بفكره وطابعه، يقوم نتنياهو بإعادة إنتاج دولة تتماهى معه ومع تصوّراته، فضلًا عن كون الرجلين شخصيّتَيْن سلطويّتَيْن ومركزيّتَيْن في الحقل السياسيّ دون تنافس [100]. وتارة يقارَن بيتسحاق شامير الذي تميّز بقدرته على الحفاظ على الوضع القائم دون تغيير على الرغم من الضغوط التي مورست عليه دوليًّا ومحلّيًّا؛ فهو رجل الجمود السياسيّ و«مكانك سِرْ» (مسچاف، 2013). وتارة يقارَن بريتشارد نكسون الذي مثّل صعود رجل يحمل قدرات سياسيّة مميّزة، ولكنّه انهار بسبب عدم قدرته على الاعتراف بإخفاقاته وفضائحه [101]، أو بشخصيّة وينستون تشرتشل الذي خُلّدت قيادته في التاريخ بسبب وقوفه المثابر ضدّ النازية، ومنع حدوث كارثة

(100) دورون ماتسا، نتنياهو في أعقاب بن چوريون، هآرتس (بالعبرية)، 31/12/2017، https://tinyurl.com/jbfjvws9

(101) حامي شاليف، نهاية نتنياهو النكسونية، هآرتس (بالعبرية) 3/01/2018 https://shorturl.at/ibxop

لشعبها. ونتنياهو شخصيًّا يحبّ أن يشبَّه بتشرتشل [102]، وبرونالد ريجن الذي يمثّل النجوميّة التلفزيونيّة، واستعمال أدوات التسويق السياسيّ والإعلاميّ [103]. وثمّة من قارنه بالرئيس التركيّ رجب طيّب أردوجان، لِما يمثّله من شخصيّة قويّة وقادرة على الإمساك بزمام الحكم دون تحدٍّ[104]، وبدونالد ترامپ، لِما يحمله هذا الأخير من خطاب شعبويّ وديماچوچيّ ومثابَرة على مهاجمة النخَب القديمة ووسائل الإعلام [105]. كلّ تلك محاولات لسَبْر غَوْر شخصيّته وفكره عَبْر مقارنتها بشخصيّات أخرى.

اعتبر الباحث دورون ماتسا، الذي شغل كذلك منصبًا رفيعًا في جهاز الأمن العامّ (الشاباك)، أنّ نتنياهو هو القائد الأهمّ الذي ظهر في إسرائيل بعد بِنْچوريون [106]. ويعتقد ماتسا أنّ نتنياهو بَلْوَر لسنوات قادمة نمط التفكير والعمل في مجالات متنوّعة تتعلّق بشؤون الدولة. ويعترف ماتسا في مقاله أنّه ليس من مؤيّدي نتنياهو، ولكنّه يعتقد في الوقت نفسه أنّ نتنياهو لديه منهج واضح، نابع من منظومة فكريّة واضحة تدمج بين توجّهات اقتصاديّة نيوليبراليّة وإستراتيجيّة أمنيّة لا تختلف كثيرًا عن الأسس التي وضعها حزب «مپاي» التاريخيّ. ويضيف ماتسا أنّ نتنياهو ترك بصمات فكريّة على المجتمع الإسرائيليّ من الصعب التخلُّص منها حتّى بعد سقوطه أو تنحّيه عن الحلبة السياسيّة؛ فقد جاء نتنياهو بمقولات فكريّة فنّدت المقولات التي أصرّ عليها اليسار الإسرائيليّ بعد اتّفاق أوسلو، والتي شكّلت انقطاعًا عن التراث السياسيّ لدى اليسار الصهيونيّ وحزب «مپاي» التاريخيّ. ويقسم ماتسا اليسار الصهيونيّ إلى مرحلتين: ما قبل أوسلو وما بعد أوسلو.

اليسار الصهيونيّ في مرحلته الثانية التي جاءت بعد أوسلو ارتكز على ثلاثة أسس فكريّة:

---

(102) ليرن چڤولي، نتنياهو هو تشرتشل الجديد، معاريف،(بالعبرية) 3/04/ 2015، https://www.maariv.co.il/journalists/journalists/article-470578

(103) ليشم، نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسي.

(104) تسفي بارئيل، أمور يستطيع نتانياهو تعلمها من أردوغان، هآرتس (بالعبرية)، 23/12/2015: https://www.haaretz.co.il/opinions/2015-12-23/ty-article-opinion/.premium/0000017f-dbb7-df9c-a17f-ffbfa0a60000

(105) أورن نهاري، أيديولوجيا متشابهة بطابع مختلف: نتنياهو وترامب، التوأمان المتطابقان تقريبا، Walla، 11 /08/2017. https://news.walla.co.il/item/3088161

(106) ماتسا، نتنياهو في أعقاب بِنْچوريون، 13.

1. التخلّص من التراث الدينيّ اليهوديّ نهائيًّا، والمضيّ نحو تحويل إسرائيل إلى دولة أوروبيّة تقدّس الحداثة وتضع الفرد والقيم الليبراليّة في مركز الحياة الاجتماعيّة.

2. إسرائيل هي جزء من الشرق، حيث إنّها قادرة على بناء جسور مع النخَب غير الديمقراطيّة في المنطقة، وهو ما يمكّنها من إنتاج بيئة إقليميّة جديدة.

3. رؤية اليسار أنّ الصراع مع الفلسطينيّين هو صراع قوميّ، ونقطة البداية في هذا الصراع هي عام 1967، وهي النقطة التي يمكن من خلالها التوصّل إلى تسوية مع الفلسطينيّين.

ويعتقد ماتسا أنّ الأسس الثلاثة التي بنى عليها اليسار توجّهه قد أخفقت واحدًا تلو الآخر؛ فالمجتمع اليهوديّ رفض التخلّي عن تراثه الدينيّ، كما أنّ الصراع مع الفلسطينيّين بات يعود بمفرداته ومنظوماته إلى عام 1948 لا إلى عام 1967، ممّا يصعّب الوصول إلى تسوية بين الطرفين، فضلًا عن أنّ الصراع ليس بين حركتين قوميّتين فحسب، وإنّما بين مجموعتين قوميّتين، وهو أمر يُصعّب مسألة التوصّل إلى تسوية للصراع. علاوة على ذلك، أثبتت الثورات العربيّة صعوبة الوصول إلى بيئة إقليميّة جديدة. ويضيف ماتسا أنّ نتنياهو طرح رؤية فكريّة جديدة لهذه الأسس، ممّا لا يعجّل سقوطه، (والذي تحوّل إلى هدف مركزيّ لليسار الإسرائيليّ)، منقطعًا بذلك عن الأسس الفكريّة التي بلور فيها التوجّهات الإسرائيليّة الجديدة والتي تستند إليها هيمنة اليمين الجديدة. أعتقد أنّ أساسين فقط ممّا ذكرهما ماتسا هما صحيحان في ما يتعلّق بنتنياهو، وأمّا الثالث فغير صحيح. أعاد نتنياهو الصراع إلى نقطة عام 1948، باعتبار أنّ جوهر الصراع هو في عدم اعتراف الفلسطينيّين بإسرائيل دولةً يهوديّة، لا في الاحتلال الإسرائيليّ لأراضٍ فلسطينيّة عام 1967. صحيح أنّ نتنياهو يستند في منظومته إلى أسس دينيّةً، ويعزّز من الهُويّة اليهوديّة لإسرائيل، لكن من غير الصحيح أنّ نتنياهو يحاول إحداث قطيعة عن النخب غير الديمقراطيّة في العالم العربيّ، بل إنّ تصوُّر نتنياهو يعتمد على أنظمة غير ديمقراطيّة يراهِن عليها في بناء بيئة إقليميّة تكون إسرائيل فيها دولة مركزيّة ومؤثّرة.

ويشير أوري رام، عالِم الاجتماع الإسرائيليّ النقديّ، أنّ نتنياهو يمثّل التحوّلَيْن المركزيَّيْن في المجتمع الإسرائيليّ في العَقدين الأخيرين: النيوليبراليّة والنيوكولونياليّة [107]. واعتبر داني فيلك، عالِم السياسة الإسرائيليّ، أنّ نتنياهو طوّر الخطاب الشعبويّ في إسرائيل (الخطاب الذي يميّز اليمين عمومًا في الوقت الراهن)، إلّا أنّ شعبويّة نتنياهو تختلف عن شعبويّة مناحيم بيجن -على سبيل المثال-؛ ففي حين كان خطاب بيجن الشعبويّ يتميّز بالاحتواء (تجاه اليهود الشرقيّين على وجه التحديد)، تتميّز شعبويّة نتنياهو بالإقصاء (تجاه العرب تحديدًا، ولاحقًا تجاه اليسار) [108]. واعتبر عالما السياسة الإسرائيليّان نَقوت وروبين، في بحثهما، أنّ توجّهات نتنياهو السياسيّة ونظرته للتحدّيات الدوليّة تتميّز بالهوبسيانيّة (نسبة إلى المفكّر السياسيّ الإنجليزيّ توماس هوبس) التي ترى في الحكم السلطويّ والتحدّيات الأمنيّة، والاستقرار ومركزيّة الدولة، القضايا المركزيّةَ التي تحدّد توجُّهات الحاكم السياسيّة.[109]

ويَعتبر عفري إليني، المؤرّخ الإسرائيليّ، أنّ خطاب الضحويّة الذي عزّزه نتنياهو وحوّله إلى مشروع سياسيّ على المستوى الشخصيّ وعلى المستوى القوميّ، أسهم في تعزيز قيادته في المعسكر اليمينيّ. ويشير إليني أنّ نتنياهو ورث خطاب الضحويّة من حزب الليكود، وسارت به خطوات متقدّمة إلى الأمام، لكن لا يمكن التقليل أيضًا من خطاب الضحويّة الذي ورثه من بيته أيضًا. يقول إليني حول دَوْر نتنياهو في تحويل الضحويّة إلى خطاب مركزيّ في حكمه السياسيّ:

«الوجه القبيح لسياسة الضحويّة تتكشّف بصورتها الظلاميّة على وجه الخصوص في دولة إسرائيل. حسب تعريفها، إسرائيل هي دولة الضحويّة، ضحيّة الإجرام النهائيّ في التاريخ الحديث. يحكمها الليكود، وهو حركة استندت في بدايتها على خطاب ضحويّ، ويرأسها شخص يُعتبر في نظر مؤيّديه ضحيّة الإعلام والنخَب [القديمة] والقضاء. يُعبّر وضع دولة إسرائيل الحاليّ عن مرحلة انحطاط أخلاقيّ وفكريّ بَلَغَتْهُ من خلال توجّهها الضحويّ»[110].

(107) أوري رام، «علم الاجتماع في عهد نتنياهو: توجهات نقدية في علم الاجتماع الإسرائيلي في بداية القرن الحادي والعشرين»، مَعَموت(51، العدد 2 (2017): 13–68.

(108) داني فيلك، الشعبوية والهيمنة في إسرائيل (تل أبيب: رِسلينغ، 2006)

(109) Doron Navot and Aviad Rubin, «Likud's success in the 2015 elections: Netanyahu's Hobbesian moment,» Israel Affairs 22, no. 3-4 (2016).

(110) عفري إليني، أيّتها الضحيّة، شكرًا. هآرتس (بالعبرية)، 27 /10/2017: https://shorturl.at/GuuyC

في السياق ذاته، يشير الكاتب الصحفيّ، حيمي شاليف، أحد أشدّ الصحفيّين نقدًا لنتنياهو، أنّ هذا الأخير وضع بصمته على تاريخ دولة إسرائيل؛ ففي فترة حكمه الحاليّة، وقبل ذلك من خلال منصبه كوزير ماليّة في حكومة شارون، قام بتفريغ اتّفاق أوسلو من محتواه، وقبَرَ حلّ الدولتين، وقام بخصخصة السوق مع الحفاظ على استقراره ونموّه، وعزّز من حكم المستوطنين، وأضعف سلطة القانون، ووقف في وجه باراك أوباما وحصل على دونالد ترامب، وشكّل كتلة حزبيّة ائتلافيّة غير قابلة للهزيمة[111]. وقارن شاليف بين نتنياهو والرئيس الأمريكيّ ريتشارد نكسون، حيث إنّ نكسون حقّق إنجازات كبيرة في فترته، وقد كان نكسون نجل والد مجتهد شعر أنّه مظلوم، وترعرع برفقة أشقّاء موهوبين توفّوا لاحقًا، وتميّز في دراسته، وصعد إلى عالم السياسة في ريعان شبابه ككاره لليسار «الخونة». وعلى الرغم من نجاحاته، كان يشعر أنّه مطارَد، وأنّ هنالك مؤامرات تُحاك ضدّه، وتعزّزت لديه الرغبة بالانتقام من خصومه، ولذا لم تكن لديه القدرة على فهم الهاوية التي ينزلق إليها والتخلّص منها في الوقت المناسب، مع المحافظة على إنجازاته السياسيّة الكبيرة. وهكذا يعتقد شاليف أنّ نتنياهو يتّجه نحو نهايته النِكسُونيّة بعدم قدرته على الإفلات والانسحاب في الوقت المناسب؛ فنكسون –على الرغم من إنجازاته– أنهى حياته السياسيّة بتراجيديا شخصيّة. بسبب تنكُّره للواقع وتقزيمه للاتّهامات التي تحيط به، وتهرُّبه من حَمل المسؤوليّة الشخصيّة بشأن أعماله، سوف يُفضي عناده في هذا السلوك إلى ذكره في التاريخ كتراجيديا شخصيّة، لا إلى ذكر إنجازاته السياسيّة التي قام بها.

ويشير أستاذ التاريخ أفنير بِنْزَكِين أنّ نتنياهو هو أكثر القيادات الإسرائيليّة انغماسًا بالتاريخ، وذلك بتأثير أبيه المؤرّخ بِنْتْسِيُون نتنياهو عليه. ويعارض بِنْزَكِين محاولات أن تُعزى أفكار نتنياهو وسلوكه السياسيّ إلى التجربة الأمريكيّة، أو الليبراليّة الاقتصاديّة والمحافظة السياسيّة، بل يرى أنّ جذوره الفكريّة تعود إلى التاريخ، فهو أكثر القيادات الإسرائيليّة تعاطيًا مع التاريخ، ومنه يستنبط مقولاته الفكريّة وخُلاصاته السياسيّة العمليّة، فلدى نتنياهو «إطار فلسفيّ مُحْكَم ومنظّم، وتشتعل في داخله نار الإقناع الذاتيّ بصدقيّة طريقه» [112]. ويشير بِنْزَكِين في هذا الصدد:

(111) حامي شاليف، «نهاية نتنياهو النِكسُونيّة"، هآرتس، 3 كانون الثاني، 2018، 2.

(112) أفنير بِنْزَكِين، الأب، الابن وروح المأساة، هآرتس، (بالعبرية) 23 /4/ 2015: https://www.haaretz.co.il/opinions/2015-04-23/ty-article-opinion/.premium/0000017f-df09-df7c-a5ff-df7b4acf0000

«نتنياهو الابن أدرك أنّه يستطيع، من خلال ترميم وتصعيد وإدارة الكارثة الكامنة، الحفاظ على وعي سياسيّ يهوديّ جماعيّ، كصمغ يحافظ على وحدة الكيان السياسيّ اليهوديّ. لذا، لا يمكن حلّ الصراع الإسرائيليّ الفلسطينيّ من خلال اتّفاق سلام، وضمّ المناطق، وانسحاب أحاديّ الجانب أو طرد الفلسطينيّين، وإنّما يجب أن يدار من خلال تصعيد الوضع وتحويله إلى واقع غير قابل للحلّ. ولا يمكن حلّ تهديد المشروع النوويّ الإيرانيّ من خلال عمليّة عسكريّة أو اتّفاق، بل من خلال حفظه واحتوائه عن طريق نظام عقوبات أبديّ، وحكم حماس في غزّة لا يجري إسقاطه باحتلال القِطاع وبتسوية دوليّة جديدة، بل من خلال حفظه، واحتواء تساقط الصواريخ التي تعتبر حيويّة لتجسيد خطر إقامة دولة فلسطينيّة، وتهديد عرب إسرائيل لا يُزال بواسطة الطرد، أو [منحهم] مساواة كاملة في الحقوق أو تبادل مناطق، بل باحتوائه والإبقاء على مكانتهم باعتبارهم طابورًا خامسًا يهدّد قلب الوجود اليهوديّ في البلاد. كمبدأ، لا يُقضى على التهديدات، وإنّما يجري الحفاظ عليها وتصعيدها، لأنّها تحمل خدمة كبيرة لبلورة وعي سياسيّ وتاريخيّ مشترك وناجع. وهكذا يرقص نتنياهو الابن بحماسة بين الكارثةِ الكامنة [في الأفق] التي يقوم بتأجيجها، ومنعِ تحقيقها وفي نفس الوقت إبقاء الوجود اليهوديّ في حالة طوارئ. فلسفة نتنياهو السياسيّة هي كلّها فلسفةُ منعِ كارثةٍ [كامنة]» [113].

نتنياهو ونموذج صراع الحضارات

يشكّل كتاب «مكان تحت الشمس» النصَّ الذي يعبّر عن المنظومة الأيديولوجيّة والفكريّة التي يحملها نتنياهو في جميع القضايا. ومع ذلك، فإنّ قراءة كتب نتنياهو، ولا سيّما كتابه «مكان تحت الشمس» الذي عبّر من خلاله عن منظومته الفكريّة والأيديولوجيّة والسياسيّة، تضع القارئ أمام إنسان متوسّط الفكر، من حيث قدرته على إنتاج نصوص فكريّة ومعرفيّة عميقة، ولكنّه ذكيّ سياسيًا. قراءاته وتحليلاته الفكريّة والتاريخيّة متوسّطة المستوى، ولكنّه يعرضها بطريقة ذكيّة، فتخلق لدى القارئ العاديّ، من جمهور الهدف، الانطباعَ أنّه إزاء طرح فكريّ مُعمَّق واطّلاع تاريخيّ عظيم، وهو في واقع الأمر ليس كذلك؛ فغالبيّة طروحه الواردة في كتبه يمكن تفنيدها بسهولة، وبيُسْرٍ في المستطاع تبيانُ تناقضاتِها وقصورِ منطقها

(113) المصدر السابق.

المعرفّي التحليليّ. فكتابته استشراقيّة في ما يتعلّق بالعرب والمسلمين والإسلام، متجزّئة الحقائق، مقتبَساته انتقائيّة، مقطوعة عن سياقاتها، وتحليلاته متوقَّعة، وفهمه قاصر وسطحيّ. على سبيل المثال، إحدى المقولات التي يعرضها في كتابه «مكان تحت الشمس»، وتُعتبر مَقولةً مُهِمّة في خطاباته حتّى اليوم، تزعم أنّ الفلسطينيّين هاجموا اليهود في فلسطين قبل قيام دولة إسرائيل بعشرات السنين، محاولًا إثبات أنّ المشكلة لديهم لم تكن مع الاحتلال بل مع اليهود كيهود، متجاهلًا أنّ المشروع الكولونياليّ الاستيطانيّ في فلسطين بدأ قبل قيام دولة إسرائيل، وأنّ عداء الفلسطينيّين للحركة الصهيونيّة كان بسبب مشروعها الكولونياليّ الاستيطانيّ، قبل تجسيد هذا المشروع كيانًا سياسيًّا. ويَعتبر نتنياهو أنّ لا وجود لشعب فلسطينيّ لأنّه لم تكن في التاريخ دولة فلسطينيّة. تلك مقولة يكرّرها اليمين الشعبويّ حتّى اليوم، ويضيف أنّ العرب في فلسطين لم تكن لهم هُويّة وطنيّة في التاريخ، وهذا يدلّ على جهل كبير وجوهريّ في مسألة نشوء القوميّة والدولة الحديثة والهُويّة الوطنيّة. هذه مجرّد نماذج قليلة لقصور تحليلاته واجتزاء معرفته.

حافظ نتنياهو على نفس المقارَبات الفكريّة والأيديولوجيّة منذ السبعينيّات، وهو يكرّرها منذ ذلك الحين، وذاك لا يدلّ على مثابرة في المواقف الأيديولوجيّة فحسب، بل على عدم قدرته على التجديد والتطوير وتقديم مقارَبات جديدة. وفي الإمكان الإشارة إلى أنّه -على نحوٍ ما سنبيِّن لاحقًا- لا شيء يقوله نتنياهو اليوم منفصم عمّا كتبه في نصوصه سابقًا. هذه المثابرة على المواقف وعدم تجديدها يقدّمان تيسيرًا لدراسة مقولات الرجل وفهم الأرضيّة الأيديولوجيّة التي يقف عليها. ففي أوّل حضور إعلاميّ له -وهذا البحث يذكره ويشير إليه في مَواطن عدّة (وكان ذاك من خلال مناظرة شارك فيها نتنياهو وهو في الثامنة والعشرين من العمر، عام 1977، على قناة محلّيّة في بوسطن) - طرح أفكارًا متطابقة مع ما طرحه في كتبه لاحقًا، وفي خطاب بار إيلان عام 2009، وفي خطاباته التي تَلَتْ ذلك. في هذه المقابلة، شدّد نتنياهو على مسألة الفلسطينيّين في إسرائيل، بكونهم الوحيدين في الشرق الأوسط الذين يتمتّعون بحقوق مدنيّة كاملة، وأنّهم العرب الوحيدون الذين يتمتّعون بحقّ الانتخاب والترشّح للبرلمان. هذه الفكرة الدعائيّة عاد عليها نتنياهو مرارًا في السنوات الأخيرة، فضلًا عن مقولته التي ذكرها في المقابلة نفسها أنّ المشكلة لا تكمن في احتلال عام 1967، وإنّما في عدم اعتراف العرب بدولة يهوديّة، وهذه المقولة تُعتبَر جوهرَ خطاب بار إيلان. الأمر الوحيد

الذي تراجع عنه نتنياهو في هذه المقابلة القديمة هو طرحه إعطاء الفلسطينيّين في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967 حقوقًا مدنيّة وسياسيّة كاملة، بعد ضمّها إلى السيادة الإسرائيليّة، واعتبار أنّ الأردن هي الدولة الفلسطينيّة، واعتباره إقامة دولة فلسطينيّة ثانية خطرًا على وجود دولة إسرائيل (وهي مقولة لا يزال أقطاب من اليمين يردّدونها حتّى الآن)، وهو عمليًّا كان توجُّه اليمين التقليديّ، وهو التوجّه الذي فكّكه أريئيل شارون بعد عام 2000، من خلال فكرة الانفصال عن الفلسطينيّين لدوافع ديمچرافيّة بالأساس، وتبنّاه اليمين ومنهم نتنياهو، خوفًا على جوهر يهوديّة الدولة، مستبدلًا إيّاه بحكم ذاتيّ للفلسطينيّين أو «دولة منقوصة». وهنا نعود ثانيةً إلى الدَّوْر الذي قام به أريئيل شارون في التأثير على الخطاب الفكريّ الذي يحمله اليمين الإسرائيليّ، وعلى مُجْمَل السياسة الإسرائيليّة (وهو ما لا مجال للتوسّع فيه في هذا الكتاب) التي حلّلها بعمقٍ عزمي بشارة في كتابه «من يهوديّة الدولة حتّى شارون».

يزعم هذا الفصل أنّ نتنياهو كان من السياسيّين الأوائل الذين أَدْرجوا على نحوٍ منهجيٍّ المشروعَ الصهيونيّ في إطار منظومة صراع الحضارات، معتبرًا أنّ المشروعَ الصهيونيّ جزء من الحضارة الغربيّة التي تعيش في صراع حضاريٍّ مع الحضارة العربيّة – الإسلاميّة. ينضاف هذا الادّعاء إلى طبقة فكريّة أخرى يتبنّاها نتنياهو ملخَّصُها أنّ المشروع الصهيونيّ هو مشروع تحديثيّ للبلاد. في هذا، لا يختلف نتنياهو عن الآخرين؛ فالحركة الصهيونيّة والاستيطان والهجرة اليهوديّة، بنظر الآباء المؤسّسين، كانت مشروعًا تحديثيًّا لفلسطين. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

«لقد غيّرت موجات المهاجرين التي جاءت واحدة تلو الأخرى منذ عام 1882 وجْهَ البلاد كلّيًّا. فقد شقّ اليهود الطرق وعبّدوها، وأقاموا المدن والمستوطنات والحقول الزراعيّة والمستشفيات والمصانع والمدارس. كلّما كانت الهجرة اليهوديّة تزداد، كان عدد السكّان العرب في البلاد هو كذلك يزداد؛ حيث وصلت إلى البلاد هجرة عربيّة جماعيّة بحثًا عن إمكانيّات العمل التي توافرت لهم، وعن مستوى الحياة الأفضل –وهو ما توافر لهم بفضل الاقتصاد اليهوديّ النشط» [114].

ويتابع نتنياهو قائلًا إنّ العرب في فلسطين هم مجرّد عابرين حيث «نصبوا خيامهم في حقولها الرعويّة، أو اتّخذوا لأنفسهم ملاجئ في خرابها. إنّهم لم

(114) نتنياهو، مكان تحت الشمس، 95–94.

يؤسّسوا شيئًا فيها، لأنّهم غريبون عن الأرض، لم يسبق أن ملكوها، وإنّ رياح الصحراء التي جلبتهم إليها قادرة على حمْلهم في أحد الأيّام، دون أن يخلّفوا وراءهم أيّة آثار يمكن أن تدلّ على عبورهم عليها» [115].

ظهر تأطير الصراع الحضاريّ ظهورًا مكثّفًا في كتابه «مكان تحت الشمس». لم ينطلق نتنياهو من هذه المنظومة في تحليلاته ومقارباته للصراع والمشروع الصهيونيّ، فكتابه هذا -بنسخته الإنجليزيّة [116]- سبق مقال صموئيل هنتنجتون عن صدام الحضارات الذي نشره في صيف عام 1993، في دوريّة علاقات خارجيّة [117]، وكتابه الذي أعقب مقاله وتناول الموضوع نفسه الذي نشره عام 1996 تحت اسم «صدام الحضارات» [118]، ومن خلالهما قام بصكّ «برادايم» -نموذج فكريّ للتحليل والمعرفة (Paradigm)- جديد لتفسير وتحليل العلاقات الدوليّة بعد الحرب الباردة، أطلق عليه نموذج صدام الحضارات. لم يكن هنتنجتون الوحيدَ بين الباحثين والمنظّرين الذي نظّر وكتب بشأن صراع الحضارات، لكنّه كان أشهَرَهم. فنتنياهو ليس منظّرًا سياسيًّا، بل يقوم بقراءة أحداث سياسيّة وتاريخيّة وعرْضها في كتبه، ولكن لا تصلح لتأطير كتاباته نظريًّا إلّا مقاربةُ صدام الحضارات. في هذه النقطة، تجدر الإشارة أنّ الظهور الأوّل لكتاب نتنياهو كان في نيسان عام 1993 باللغة الإنجليزيّة، وهو كتاب سبق مقالةَ هنتنجتون؛ لذلك ليس من المبالَغ فيه القولُ إنّ نتنياهو هو أحد أقطاب اليمين المحافِظ عالميًّا، وسبق صعودَ اليمين المتطرّف في الغرب في العَقد الأخير. وتماهيه مع المحافظين الجدد في تسعينيّات القرن العشرين وبداية الألفيّة الجديدة كان طبيعيًّا من الناحية الفكريّة، وتماهيه لاحقًا -أو تماهي اليمين المتطرّف في الغرب معه- هو أيضًا طبيعيّ جدًّا.

ومن هنا يمكن تفسير أستاذيّة نتنياهو الراهنة في تعامله مع نظرائه في الغرب؛ فهو سبقهم في الفكر والطرح. وممّا زاد الإعجابَ به فكريًّا في الوقت الراهن، ولا سيّما في صفوف اليمين المتطرّف والقوميّ (أمثال رئيس حكومة الهند نارنديرا مودي)، مصداقيّةُ مقولاته، ولو مؤقّتًا، التي خَطّها في كتبه والتي تتواصل مع

(115) المصدر السابق، 101.

(116) Benjamin Netanyahu, A Durable Peace: Israel and Its Place Among the Nations (New York: Warner Books, 1993).

(117) Samuel P. Huntington, “The Clash of Civilizations?”, Foreign Affairs 72, no. 3 (Summer 1993): 22–49.

(118) Huntington, “The Clash of Civilizations”.

واقع البيئة الدوليّة والإقليميّة الراهنة، فضلًا عن أنّ تَمَوْضُعه كخبير إرهاب على المستوى العالميّ، وتسويق ذاته في هذا الصدد، ينسجمان مع الواقع الدوليّ الراهن الذي يضع قضيّة الإرهاب على رأس التحدّيات الدوليّة بشأن الاستقرار والأمن الدوليّين. وهذا أحد التفسيرات لصعود مكانة نتنياهو دوليًّا في السنوات الأخيرة، وإنْ مؤقّتًا؛ فالواقع الإقليميّ والدوليّ الراهن أعطى خطابه وتصوّراته مصداقيّة.

قبل عرض تصوُّرات نتنياهو وتأطيره للمشروع الصهيونيّ والصراع مع الفلسطينيّين والعرب والمسلمين كصراع حضارات، سنعرض أهمّ ما يحمل هذا النموذج الفكريّ الذي صكّه هنتنچتون، مع التأكيد مرّة أخرى أنّ أفكار نتنياهو ومقولاته كَتَبها قبل مقولة هنتنچتون دون أن يؤطّرها في هذا النموذج الفكريّ والمعرفيّ. كذلك لن نقوم بنقد وتفكيك هذا النموذج الفكريّ في هذا الفصل، فقد فعل ذلك الكثيرون، وعلى رأسهم المفكّر الفلسطينيّ إدوارد سعيد، بتعرّضهم لنقده من الناحية المفاهيميّة والمعرفيّة. ينتمي هنتنچتون إلى اليمين المحافظ من حيث أفكاره، وهو اليمين الذي هيمن على السياسة الخارجيّة الأمريكيّة بعد أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام 2001 التي رفدت خطابَ اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة ومنظّريه بدفعةٍ وزَخْم (ونذكّر بأنّ منظّريه اعتبروا الصراع في العالم حضاريًّا لا سياسيًّا ولا إقليميًّا). وانتمى نتنياهو إلى هذا اليمين وأفكاره في بداية حياته السياسيّة المبكرة في السبعينيّات والثمانينيّات، وله علاقات قويّة مع شخوصه من سياسيّين ومنظّرين وباحثين، وذلك قبل أن يتحوّل نتنياهو في العَقد الأخير إلى يمين متطرّف. كذلك ينتمي إلى هذا التيّار المؤرّخُ الأمريكيّ – اليهوديّ برنارد لويس، الذي أشار في إحدى مقالاته التي سبقت مقالة هنتنچتون إلى حتميّة الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام. ففي مقال نشره في العام 1990 حول «جذور السخط الإسلاميّ»، يشير لويس: «ينبغي أن يكون واضحًا الآن أنّنا نواجه شعورًا وحركة يتجاوزان كثيرًا مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تجسّدها. ولا يقلّ هذا عن كونه صدامًا بين الحضارات. إنّه ردّ فعل غير عقلانيّ، ولكنّه مرتبط بخصم قديم لتراثنا اليهوديّ المسيحيّ ولِما نحن عليه في الحاضر، وضدّ توسّعهما معًا. ومن جانبنا، من المهمّ جدًّا ألّا نسقط أيضًا في ردّ الفعل غير العقلانيّ والمتأصّل في التاريخ ضدّ هذا الخصم» [119].

(119) محمد سعدي، مستقبل العلاقات الدوليّة: من صراع الحضارات إلى أَنْسَنة الحضارة وثقافة السلام (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006)، 85.

يشير لويس أنّ الحضارة الغربيّة تستند إلى التراث اليهوديّ المسيحيّ. وتلك مقولة يتبنّاها اليوم اليمين المتطرّف في أوروبا في مواجهة المسلمين الذين يعيشون في هذه القارّة أو يتوافدون إليها. وكذلك يَعتبر الحضارة العربيّة والإسلاميّة غير عقلانيّة وتحمل عداء متأصّلًا وتاريخيًّا للحضارة الأوروبيّة. ركّز لويس على الصدام الحضاريّ بين الغرب والإسلام، وذلك بسبب تخصّصه في التاريخ الإسلاميّ، ممّا جعله المدرسةَ الاستشراقيّة للمحافظين والمحافظين الجدد في ما يتعلّق بالإسلام والتاريخ الإسلاميّ، بينما هنتنچتون أشار إلى سبع حضارات في العالم ستتصارع في النظام الدوليّ. ولكن لا شكّ أنّ لويس أثّر في مقولاته على تأطير هنتنچتون النظريّ عندما تناول في كتابه الحضارةَ الإسلاميّة، حيث اعتبر أنّ الصراع الحقيقيّ سيكون بين الغرب والإسلام. وحملت كتابات نتنياهو ومقولاته، ولا سيّما في كتابه «مكان تحت الشمس»، مثل هذه المقولات حرفًا بحرف، ومنها ما أشار إليه لويس في مقاله أنّ كراهيَة المسلمين للغرب تعود إلى رفضهم للقيَم الغربيّة، وذلك بسبب سلسلة من الإحباطات المتتالية التي تتجسّد في فقدانهم النفوذ العالميّ؛ وتلك مقولة سيردّدها نتنياهو كثيرًا في خطاباته مفادها أنّ هدف «الإسلام المتطرّف» هو السيطرة على العالم والقضاء على قيم الغرب. فنتنياهو لا يعرّف في كتاباته مفهوم «الإسلام المتطرّف»، ويمكن القول من متابعة كلّ خطاباته وقراءة كتبه إنّ كلّ من يتحدّى المشروع الصهيونيّ والنفوذ الغربيّ هو «إسلام متطرّف»، وإنْ كان يحمل فكرًا قوميًّا. ففي أحد خطاباته في الأمم المتّحدة، قال نتنياهو: «حماس وداعش فرعان من الشجرة نفسها». لذلك يتبنّى نتنياهو مصطلحات المحافظين الجدد حول الصراع بين قوى الشرّ والظلام من جهة، والخير من جهة أخرى، فبعد يوم واحد من أحداث الحادي عشر من أيلول/ سبتمبر عام 2001، كتب نتنياهو:

«قبل سبع سنوات، حاول إسلاميّون إسقاط مركز التجارة العالميّ. وفي يوم أمس نجحوا في تحويل طائرة ركّاب إلى انتحاريّ يفجّر نفسه. إنّ هدف قوى الظلام هؤلاء ليس أقلّ من تدمير العالم الحرّ [...] اليوم تبتهج القوى المعادية لأمريكا. إنّهم يرقصون على أسطح المنازل في غزّة ودمشق وبيروت وبغداد. على الولايات المتّحدة أن تقود في مواجهتهم ائتلاف الحرّيّة، مثلما فعلت قبل خمسين سنة حين شطبت من وجه الأرض أيديولوجيّة متشدّدة... على إسرائيل أن تشارك

في هذا الجهد من خلال تصفية قوى الشرّ المرابطة على أبوابنا» [120].

في كتابه «مكان تحت الشمس»، يقدّم نتنياهو تصوّرًا مفصّلًا للخطر الإسلاميّ. لا تظهر في كتابه تسمية واحدة للظاهرة الإسلاميّة، فطَوْرًا يسمّيها «الإسلام العسكريّ»، وتارةً يطلق عليها «الإسلام الأصوليّ»، وتارةً أخرى يصفها بـ«الإسلام المتطرّف».

ونعود إلى برنارد لويس... في لقاء معه في صحيفة «هآرتس» الإسرائيليّة عام 2001 بشأن تأطير الصراع العربيّ الإسرائيليّ بوصفه صراعًا حضاريًّا، قال لويس: «أعتقد أنّ هناك الكثير من هذه الحقيقة في هذا الأمر. الفرق لا يكمن فقط بين ديانتين مختلفتين، وإنّما بين كتلتين حضاريّتَيْن مختلفتَيْن» [121]. يمكن القول إنّ برنارد لويس كان أوّل مَن استخدم مصطلح «الإرهاب الإسلاميّ»، وأدخله إلى قاموس اليمين المحافظ في الولايات المتّحدة، وذلك في المقال القصير الذي نشره في الكتاب الذي حرّره نتنياهو عام 1987 حول الإرهاب. وقد وضع لويس عنوان المقال على صيغة سؤال: «إرهاب إسلاميّ؟» [122]. يناقش لويس في هذه المقالة فكرة استخدام مصطلح «إرهاب إسلاميّ»، وهو يرى أنّه يمكن استخدام هذا المصطلح، على الرغم من مقدّمته القصيرة جدًّا والخاطفة التي تشير إلى معارضة الإسلام للإرهاب، ولكنّه يتابع في مقاله القول إنّ الإسلام يحمل جوهرًا سياسيًّا يتّسم به، كما أنّ السياسة في الشرق هي دينيّة في جوهرها. وبعدها يعرض لويس مبرّراته لاستخدام مصطلح «الإرهاب الإسلاميّ»، في كون الإسلام مصدر شرعيّة السيادة، والتجنيد، والأفكار، ويشير لويس أنّ الصراع بين الإسلام والعدوّ الخارجيّ لا ينتهي إلّا باستعباد العدوّ الخارجيّ أو باعتناقه للإسلام. مقال لويس لا يجيب على نحوٍ قاطع عمّا يطرحه عنوان المقال، فهو مقال غير متلاحم من حيث الأفكار والمعطَيات والصيْرورات التاريخيّة، ولكنّه يحاول الوصول إلى نتيجة مفادُها أنّ الإرهاب له جذور فكريّة وتاريخيّة في الإسلام، دون أن يضع إجابة قاطعة عن سؤاله. يُعتبَر هذا المقال مهمًّا؛ ففي فترة إدارة الرئيس باراك أوباما، كان اليمين الإسرائيليّ، وعلى رأسه نتنياهو، والصحيفة الناطقة

(120) المصدر السابق،326.

(121) المصدر السابق ،86–85.

(122) برنارد لويس، "إرهاب إسلاميّ؟"، في: بنيامين نتنياهو (تحرير)، الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟ (تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1987)، 85.

باسمه «يسرائيل هيوم»، يوجّهون انتقادات لاذعة لأوباما لعدم استخدامه المصطلح «إرهاب إسلاميّ»، وهو المصطلح الذي يستخدمه نتنياهو منذ أوائل التسعينيّات بصورة متكرّرة في جميع خطاباته. وكان أوباما يفسّر عدم استعماله لهذا المصطلح، على العكس من اليمين في الولايات المتّحدة و«إسرائيل»، بأنّه لا يرى علاقة بين الإسلام والإرهاب، وأنّه يريد عزل الإرهابيّين عن الثقافة الإسلاميّة والمسلمين، فضلًا عن عدم رغبته في استثارة مشاعر المسلمين في وصف دينهم بالإرهاب. إذن، كان أوباما واعيًا للاستخدام السياسيّ والأيديولوجيّ اليمينيّ لمصطلح «إرهاب إسلاميّ». وفعلًا، خلال ثماني سنوات حكْمِه امتنع عن التلفّظ بهذا المصطلح[123]. وشكّلت هذه النقطة صراعًا أيديولوجيًّا بينه وبين اليمين في الولايات المتّحدة وإسرائيل، ولا سيّما نتنياهو الذي تبنّى وجهة نظر برنارد لويس في استخدام المصطلح «إرهاب إسلاميّ». وكما يُفهم من مقال لويس، وهذا ما يقصده نتنياهو لاحقًا من استخدامه لهذا المصطلح، لا يتعلّق «الإرهاب الإسلاميّ» بوجود إسلاميّين، بل بهُويّة الفاعلين؛ وذلك أنّ كلّ عمل سياسيّ وفكريّ بالنسبة لهما نابع من الإسلام ومن منظومته الفكريّة، حتّى لو كان قوميًّا أو وطنيًّا، فكلّ ذاك بالنسبة لهم «إرهاب» نابع من الثقافة العربيّة والإسلاميّة، وكلّه إرهاب لأنّه موجَّه ضدّ هيمنة المشروع الصهيونيّ وتعزيز وجوده في فلسطين.

يعتقد هنتنچتون أنّ الصدام المركزيّ في صراع الحضارات سيكون بين الإسلام والغرب، وذلك بسبب موقع الإسلام في الخريطة الجيوسياسيّة المعاصرة. ويشير هنتنچتون إلى بواعث صراع الحضارات، ومنها أنّ الاختلافات بين الحضارات هي اختلافات حقيقيّة، وازدياد الوعي الحضاريّ بسبب التفاعلات والاحتكاكات بينها، وتراجع دَوْر الدولة كمصدر للهُويّة، فضلًا عن أنّ صعود الغرب إلى أوج قوّته أشاع لدى الشعوب الأخرى الشعور بالحنين والعودة إلى جذورها الحضاريّة، كما أنّ الاختلافات الحضاريّة غير قابلة للتسوية والحلول الوسط، وصعود الانسجام بين الاندماج الاقتصاديّ الإقليميّ والانسجام الثقافيّ[124]. ويخصّص هنتنچتون في كتابه موضعًا لمناقشة المسألة الديمچرافيّة، باعتبار أنّها أحد بواعث الصدام الحضاريّ، إذ يعتقد أنّ التكاثر الطبيعيّ لدى المسلمين سيدفع بهم إلى الهجرة إلى

(123) Jon Greenberg, "War of Words: The Fight over 'Radical Islamic Terrorism'," PolitiFact, December 11, 2015, https://www.politifact.org/.

(124) Samuel Huntington, The Clash of Civilizations and the Remaking of World Order (New York: Simon and Schuster, 1996).

الغرب، وهذا الأمر سيشكّل تحدّيًا ثقافيًّا للحضارة الغربيّة، وسيحرّك الصدام الحضاريّ ويضخّ فيه حيويّة جديدة؛ فالمسلمون لن يتخلّوا عن ثقافتهم وسيعملون على الحفاظ عليها، وكذلك على نشرها في الغرب –وهنا تكمن خطورة التكاثر الديمچرافيّ على الغرب.

تحتلّ المسألة الديمچرافيّة وما تحمل من تحدّيات ثقافيّة، بنظر اليمين المتطرّف، مكانًا مركزيًّا في خطاب اليمين المتطرّف الصاعد في أوروبا والولايات المتّحدة. وخلال موجة اللجوء الأخير لمسلمين وعرب من مناطق الصراع في الشرق الأوسط، خصّصت صحيفة «يسرائيل هيوم» الإسرائيليّة (التي تعبّر عن المنطوق واللامنطوق من قِبَل نتنياهو) مقالات تحذّر من موجة اللجوء لِما تحمله هذه الموجة من خطورة بانتشار «الإرهاب» في أوروبا، وقد كتبت مقالات في الصحيفة تعبّر عن عنصريّة وكراهيَة مطلقتين حيال اللاجئين المسلمين والمواطنين المسلمين في أوروبا، ولكن ظلّ نتنياهو صامتًا، وترك صحيفته تنطق باسمه في هذا الشأن، على الرغم من أنّه خصّص حيّزًا في كتابه حول «الإرهاب»، عام 1996، للربط بين وجود المسلمين في الغرب وانتشار الإرهاب [125]. بَيْدَ أنّ صعود اليمين المتطرّف في أوروبا، وصعود ترامپ، شجّعا نتنياهو عن القيام بهذا الربط في عقر دار الأوروپيّين. فخلال لقائه في بلجيكا بوزيرة خارجيّة الاتّحاد الأوروپيّ، فدريكا موچريني، في كانون الأوّل عام 2017، قال نتنياهو:

«تشترك إسرائيل وأوروبا في ثلاثة مجالات مركزيّة: الأمن؛ الازدهار الاقتصاديّ؛ السلام. في ما يتعلّق بالأمن، الاستخبارات الإسرائيليّة منعت حدوث عشرات العمليّات الإرهابيّة، كثير منها على أرض أوروبا، وأعتقد أنّ الكثير من الناس أُنقذت حياتهم بفضل ذاك التعاون المعروف جيّدًا للأجهزة الأمنيّة لدول أوروپيّة كثيرة. سنستمرّ في القيام بذلك كجزء من حربنا المشتركة ضدّ الإرهاب. في الوقت نفسه، أعتقد أنّ المشكلة الكبرى التي تواجه أوروبا هي تيّار البشر الذين يهربون من المعارك في الشرق الأوسط، والشرق الأوسط مهدَّد من طرف تنظيم الدولة الإسلاميّة، أي التيّار السنّيّ للإسلام المتطرّف، وكذلك من طرف التيّار الشيعيّ للإسلام المتطرّف، بقيادة إيران. إسرائيل هي العامل الأقوى في الشرق

(125) بنيامين نتنياهو، الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والدولـيّ، ترجمة باروخ كوروت (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1996).

الأوسط الذي يمنع انتشار الإسلام المتطرّف؛ فهي لا تمنع هجمات داعش في أوروبا فحسب، وإنّما تمنع انهيار مناطق كاملة مجاورة لإسرائيل لولاها لاحتلّها هؤلاء الإسلاميّون المتطرّفون الذين يشرّدون ملايين الناس إلى أوروبا. نحن نقوم بذلك طبعًا لكي ندافع عن أنفسنا، ولكن أعتقد أيضًا أنّ إسرائيل تقوم بوظيفة أمنيّة مهمّة جدًّا لشعوب أوروبا في طُرق لا يجري تفهّمها غالبًا، ولكنّها تحظى بتقدير متزايد من الحكومات ذات الصلة».[126]

الفلسطينيّون و«الإرهاب» ونموذج صراع الحضارات

بناءً على ما أشرنا إليه أعلاه، يؤطّر نتنياهو الحالة الفلسطينيّة ضمن الأنموذج الفكريّ «صراع الحضارات»، ولنبدأ أوّلًا بطرح مقاربته للإرهاب. عرض نتنياهو أفكاره بشأن «الإرهاب» باعتبار ذلك جزءًا من صراع حضاريّ. يعزو نتنياهو الإرهاب الدوليّ إلى المنطقة العربيّة، ويَعتبر أنّ اختطاف الطائرات، ووضع المتفجّرات في السفارات، والاغتيالات الدبلوماسيّة واحتجاز الرهائن وغيرها، هي اختراع «الإرهاب العربيّ الذي تبنّته منظّمات إرهابيّة عالميّة أخرى بعدهم... لقد انتشر الإرهاب العربيّ في جميع أنحاء العالم»[127]. ويضيف نتنياهو أنّ العنف «هو ظاهرة دائمة في الحياة السياسيّة في كلّ الدول العربيّة، وهو الأسلوب الرئيسيّ لتصفية الخصوم السياسيّين الداخليّين، العرب وغير العرب على حدّ سواء»[128]. يشير نتنياهو إلى هذه الحقائق ليُبيّن أيضًا أنّ الأمم المتّحدة، على الرغم من أحداث العنف الكبيرة في المنطقة العربيّة، لا تزال تعتبر القضيّة الفلسطينيّة القضيّةَ المركزيّة في الشرق الأوسط، مكرّرًا أنّ الأمم المتّحدة تعطي هذه المسألة جُلّ اهتمامها وتهمل سائر القضايا في الشرق الأوسط، وموضّحًا أنّ أعمال العنف في الشرق الأوسط ومشكلاته لا تتعلّق بالصراع العربيّ الإسرائيليّ. وهو خطاب زاد اليمين من تكراره، ونتنياهو تحديدًا، بعد الثورات العربيّة والصراعات الأهليّة الدمويّة التي أعقبت ذلك، فضلًا عن العداء الشديد للأمم المتّحدة عمومًا، وفي السنوات الأخيرة على وجه التحديد.

(126) ينظر: رئيس الحكومة نتانياهو تقابل مع وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فدريكا مورجيني في مقر الاتحاد الأوروبي في بروكسل، مكتب رئيس الحكومة، 11/12/2027: https://www.gov.il/he/pages/speech_brussels111217

(127) المصدر السابق،159.

(128) المصدر السابق،160.

يؤطّر نتنياهو القضيّة الفلسطينيّة في الصراع الحضاريّ والتاريخيّ بين الغرب المسيحيّ والشرق العربيّ الإسلاميّ. ويبيّن، في سرد تاريخيّ مقتضب ومنزوع السياق وخلوٍ من التحليل المعمّق، أنّ الصراع التاريخيّ بين المشروع العربيّ - الإسلاميّ والمشروع الغربيّ يمتدّ إلى يومنا هذا، وأنّ القضيّة الفلسطينيّة جزء أو مركّب من هذا الصراع الحضاريّ ليس إلّا. ويعدّد الإخفاقات التاريخيّة التي مرّ بها العرب والمسلمون والتي جعلت عداءهم للغرب يتصاعد ويزداد حتّى اليوم، وهو يعيد تقريبًا سرديّة برنارد لويس في هذا الشأن؛ إذ يعتبر نتنياهو أنّ العداء للغرب وأزمة الشرعيّة في العالم العربيّ لهما علاقة بصعود ما يسمّيه «الإسلام المتطرّف» بعد انهيار الدولة العثمانيّة[129] ، إذ يعتبر أنّ هدف ما يسمّيه هذه المرّة «الإسلام الأصوليّ» هو: «سيطرة الإسلام على العالم كلّه، وإلحاق الهزيمة بالكافرين غير المسلمين في حرب مقدَّسة [تحت مسمّى الجهاد]»، وأنّ الأهداف الفوريّة الفعليّة لهذا الجهاد ليست الدول غير الإسلاميّة القويّة التي من الصعب عليهم مهاجمتها بصورة مباشرة، بل هي الدول الإسلاميّة على وجه التحديد. لذا، يطمح الأصوليّون إلى الإطاحة بكلّ الحكومات الكافرة في أربعين دولة إسلاميّة، وشطب هذه الدول نهائيًّا ودمجها في دولة إسلاميّة واحدة»[130] .علاوة على محاولة السيطرة على العالم من خلال الحرب المقدّسة، تتبنّى الحركات الإسلاميّة أيضًا الطريقة الديمقراطيّة للسيطرة على الدول العربيّة والإسلاميّة، حيث يعتبر نتنياهو -في كتابه «مكان تحت الشمس»- أنّ مصدر المطالَبة بالديمقراطيّة في العالم العربيّ هي الحركات الإسلاميّة، وذلك على الرغم من أنّه ليس ثمّة أيّة صلة بين هذه الحركات والديمقراطيّة، وإنّما هدفها هو السيطرة على الأنظمة العربيّة عن طريق الديمقراطيّة[131].

ويوضّح نتنياهو أنّ دعوة «الأصوليّين الإسلاميّين» لاستعباد العالم كلّه «تبدو هدفًا بعيدًا جدًّا، ولكن إذا أضفنا إليها تمسكّهم بالقيم الدينيّة، وضمان الجنّة للمؤمنين، تنشأ أمامنا مؤامرة عظيمة»[132] .ويعتبر نتنياهو أنّ هذه الأيديولوجيّة «اقتُطعت [اشتُقّت] من التفسير المتشدّد للقرآن الذي يقسم العالم إلى منطقتين:

(129) المصدر السابق، 163.

(130) المصدر السابق، 169.

(131) المصدر السابق، 155-154.

(132) المصدر السابق، 170.

«دار الإسلام، ودار الحرب». كما أنّ القرآن لا يترك مجالًا للشكّ، في ما يتعلّق باستعلاء المسلمين على الكفّار في المناطق الخاضعة لسلطة الإسلام، في حين يكلّفهم بإدارة حرب مستمرّة ضدّ الكفّار في الديار الأخرى»[133]. بناء على كلّ ذلك، يعتبر نتنياهو أنّ رفض العالم العربيّ لوجود إسرائيل يعود إلى الجذور الإسلاميّة المعادية لليهود، ويَسوق لإثبات ذلك أدلّة هشّة ومفتعلة، لكنّها غير منقطعة عن المدرسة الاستشراقيّة التي يحملها برنارد لويس، إذ يقول:

«فطيلة مئات السنين، عانى اليهود من الإذلال والمطاردة على أيدي العرب، وكانوا يُقتلون أحيانًا، كما كان يحدث لأقلّيّات أخرى تعيش في إطار المجتمع الإسلاميّ. ولكن الشعب اليهوديّ كان هو الوحيد، من بين كلّ هذه الأقلّيّات في العالم العربيّ، الذي نجح في التغلّب على هذا القمع، وتحقيق استقلاله. علاوة على ذلك، استطاع اليهود تأسيس حضارة «أجنبيّة» في قلب المنطقة العربيّة، وفصلوا بين جزأيها الشرقيّ والغربيّ. والأسوأ من ذلك كلّه هو أنّ الشعب الذي أحدث هذا التحدّي الكبير لم يكن عربيًّا ولا مسلمًا، ولذا فعداء العرب الحاليّ لإسرائيل تعود جذوره إلى عداء سابق، قديم وأساسيّ، وقيام دولة إسرائيل ما كان له إلّا أن يعزّز هذا العداء».[134]

لذا جاءت كراهيَة العرب والمسلمين لإسرائيل، وهي كراهيَة ليست نابعة من العداء العميق تجاه الغرب فحسب، وإنّما -على نحوِ ما يكتب نتنياهو- «يمكننا أن نفهم بصورة صحيحة، الرفض الشديد الذي يبديه معظم العرب لوجود إسرائيل، فإسرائيل في نظرهم دولة أسّسها يهود أوروبيّون،[135] ومبنيّة على أساس نموذج الدول الليبراليّة الغربيّة، وتمثّل سلاحًا للدول الغربيّة وأداةً يُقصَد بها إلحاق الذلّ والهوان بالأمّة العربيّة من جديد»[136] وعلى الرغم من أنّ نتنياهو يعرض هذا الادّعاء بصورة نقديّة للعالم العربيّ، فإنّه تبنّاه فعليًّا؛ حيث صرّح كثيرًا في السنوات الأخيرة أنّ إسرائيل هي الثغرة العسكريّة الأولى التي تدافع عن الغرب في وجه الشرق.

(133) المصدر السابق،171.

(134) سعدي، مستقبل العلاقات الدوليّة، 172-171.

(135) نتنياهو، الحرب على الإرهاب، 177.

(136) المصدر السابق.

يستشهد نتنياهو، في تأطير القضيّة الفلسطينيّة كصراع غربيّ - إسلاميّ، بتصريحات قادة عرب قرنوا بين الاستعمار الغربيّ وقيام إسرائيل، وإطلاق مسمّيات تاريخيّة، لها علاقة بفلسطين لوصف الصراع مع إسرائيل، مثل دراسة وخطاب المقارنة بين إسرائيل ومملكة الصليبيّين في فلسطين، واستعمال اسم «صلاح الدين» في الخطابات العربيّة والفلسطينيّة، على نحو تعليق حافظ الأسد صورة لصلاح الدين في مكتبه. يقول نتنياهو: «الرغبة في تكرار إنجازات صلاح الدين، في الوقت الحاليّ، كانت دائمًا مصدر وحي للهجمات المتكرّرة على إسرائيل، والعمل المستمرّ ضدّ أنظمة الحكم الموالية للغرب، والمحاولات العديدة لإنهاء الوجود الغربيّ في الشرق الأوسط».[137]

ويصل نتنياهو إلى نتيجة مفادُها أنّ العداء لإسرائيل ليس نابعًا من كونها دولة محتلّة، ولا لكونها دولة يهوديّة، بل هو عداء أوسع للوجود الغربيّ في المنطقة، وإسرائيل تمثّل جزءًا من هذا الوجود. يقول في كتابه:

«الآن نستطيع أن نفهم السبب الذي حالَ، سنة بعد سنة، دون تسوية النزاع العربيّ - الإسرائيليّ، فكلّ حروب العرب ضدّ إسرائيل، والأعمال العدائيّة التي قاموا بها ضدّها في فترات ما بين الحروب، تنبع من ثلاث نظريّات يرتبط بعضها ببعض، وتشكّل معًا النواة الحقيقيّة للنزاعات المتعدّدة في الشرق الأوسط: رفض القوميّة العربيّة لوجود أيّة سيادة غير عربيّة في الشرق الأوسط، وسعي الإسلام الأصوليّ لتطهير المنطقة من أيّ نفوذ غير إسلاميّ، وعداء العالم العربيّ الشديد والتاريخيّ للغرب... نرى بوضوح أنّ مصدر رفض وجود إسرائيل ليس خاصًّا بالدولة اليهوديّة، بل إنّ عداء العرب لإسرائيل هو جزئيّة واحدة ضئيلة فقط من عداء أوسع بكثير، وكان سيظلّ قائمًا وإن لم تقم دولة إسرائيل»[138].

يعود نتنياهو إلى أحداث محدّدة في تاريخ الصراع الفلسطينيّ الصهيونيّ، ليثبت هذا التوجّه الفكريّ، عبْر قراءة أقلّ ما يقال عنها إنّها هزليّة هزيلة وهشّة، ولكنّه لا يزال يوظّفها حتّى الآن في خطاباته، حيث يشير إلى أنّ الصراع يتعلّق بصراع حضاريّ لأنّ الفلسطينيّين شنّوا هجمات على اليهود قبل تأسيس إسرائيل

(137) المصدر السابق، 180-179

(138) المصدر السابق، 180

لمدّة ثلاثين سنة قبل أن يكون هنالك لاجئ فلسطينيّ واحد[139] [وكأنّ إسرائيل وُلِدت فجأة أو سقطت من السماء دون مشروع كولونياليّ استيطانيّ سبقها]، ونشأ العداء ومحاربة الدول العربيّة والقوى الفلسطينيّة لإسرائيل قبل الاحتلال عام 1967، ونشوء قضيّة الأراضي المحتلّة عام 1967[140] [وكأنّ قضيّة فلسطين نشأت عام 1967]؛ فالعداء لإسرائيل -كما يقول نتنياهو- «لا يكمن في هذا الادّعاء أو ذاك الذي في الإمكان مناقشته، وإنّما يعود لرفض أساسيّ لوجود دولة يهوديّة مستقلّة»[141]. ويلاحَظ أنّ نتنياهو تارةً يعزو الصراع إلى العداء للغرب لا إلى وجود دولة يهوديّة، وتارةً يعزوه إلى وجود دولة يهوديّة.

وتبقى العودة الأهمّ عند نتنياهو إلى حقل التاريخ في محاولته الحثيثة ربْط النضال الوطنيّ الفلسطينيّ بالنازيّة، فهذا النضال تعود جذوره إلى النازيّة، إلى حدّ الزعم أنّ الثقافة العربيّة الإسلاميّة، التي مثّلها المفتي الحاجّ أمين الحسيني، هي من أقنعت هتلر بإبادة اليهود. نتنياهو في كتابه يُخْرِج النازيّة من الحضارة الغربيّة [142]. لذا فالنازيّة ليست نتاج هذه الحضارة. إذًا مَن أقنع النازيّة وهتلر بإبادة يهود أوروبا، حسب وجهة نظر نتنياهو؟

في خطاب لنتنياهو في المؤتمر الصهيونيّ العالميّ عام 2015، قال إنّ المفتي الحاجّ أمين الحسيني أقنع هتلر بالحلّ النهائيّ لمسألة اليهود في أوروبا، أي إبادتهم، لأنّ هتلر أراد طردهم فقط. لذا فالمفتي الفلسطينيّ هو المسؤول عن إبادة اليهود في أوروبا [143]. أثار تصريح نتنياهو غضبًا شديدًا في إسرائيل والعالم، حيث إنّ تصريحه هذا يبرّئ النازيّة من المسؤوليّة الأيديولوجيّة حول فكرة إبادة اليهود، وقد تراجع نتنياهو عن تصريحه بعد ردّ الفعل الذي اصطدم به تصريحه المذكور، لدرجة أنّ ألمانيا احتجّت على هذا التصريح واعتبرته مسًّا بذكرى الكارثة اليهوديّة. ولاحقًا اعتبر مؤيّدوه أنّ هذا التصريح قد أُسيءَ فهمه، وأنّ نتنياهو لم يقصد ما عبّرت عنه كلماته المجرّدة، وأنّ صياغته لعباراته لم تكن موفّقة.

(139)المصدر السابق

(140) المصدر السابق،181

(141) المصدر السابق

(142) المصدر السابق،242.

(143) أحيا رافيد، نتنياهو: هتلر لم يرغب في إبادة اليهود آنذاك، والحسيني أقنعه؛ مؤرخون: هذا غير صحيح، ynet, 21 /10/ 2015: https://tinyurl.com/4vpx7p83

هل هذا صحيح؟ يبدو أنّ المصدومين الإسرائيليّين واليهود من تصريحاته لم يقرأوا كتابه «مكان تحت الشمس»؛ ففي فصل بعنوان «حصان طروادة»، يخصّص نتنياهو مساحة واسعة للعلاقة بين النازيّة والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والهُويّة القوميّة العربيّة، لا من منطلق تحالف المصالح السياسيّة فحسب، وإنّما كذلك من منطلق العلاقة الأيديولوجيّة المشتركة التي تتمثّل في معاداة الحضارة الغربيّة واليهود. ففي عرضه لعلاقة الحاجّ أمين الحسيني مع النازيّة، يتّضح من كتابه أنّ المفتي كان مسؤولًا عن إبادة يهود «من هنچاريا، ورومانيا، وبلغاريا، وكرواتيا، التي رغم استعبادها من قبل هتلر، سمحت [ألمانيا] لليهود بالهرب إلى أرض إسرائيل وأماكن أخرى، واحتجّ المفتي على أنّ الألمان لم يتّخذوا الإجراءات الكافية لمنع هروب لاجئين يهود من البلقان»[144].كذلك كان للمفتي دَوْر، ولا سيّما عبْر فوزي القاوقجي، في قتل يهود يوغسلافيا. بَيْدَ أنّ دَوْر المفتي، حسب زعم نتنياهو، لم يقتصر على إقناع القيادة النازيّة بإبادة اليهود في مواقع مختلفة من أوروبا فحسب، بل أراد أكثر من ذلك: أراد إبادة كلّ اليهود في أوروبا، ولتحقيق ذلك نجح المفتي –حسب زعم نتنياهو– في إقناع هتلر بتبنّي الحلّ النهائيّ لمسألة اليهود، أي إبادتهم. يقول نتنياهو:

«في الـ 13 من أيّار عام 1943، على سبيل المثال، قدّم المفتي كتابًا إلى وزير الخارجيّة الألمانيّ ريبنتروپ، احتجّ فيه على خطّة تسمح بهجرة نحو 4,000 ولد يهوديّ من بلغاريا. وعلى الرغم من كلّ هذا، لم يكن المفتي راضيًا. كان هدفه أبعد من منع هروب اليهود. كان يرغب في أن يرى إبادتهم جميعًا. قال ديتر فيليتسكاني، نائب أدولف آيخمان، إنّ الحسيني كان له دَوْر في اتّخاذ قرار إبادة يهود أوروپا. ويجب عدم تجاهل دَوره هذا؛ فقد اقترح المفتي، أكثر من مرّة، على السلطات الألمانيّة التي كان على اتّصال بها، وعلى رأسها هتلر، وهملر، إبادةَ يهود أوروپا. كان يرى ذلك حلًّا مناسبًا للقضيّة الفلسطينيّة» [145].

ولم ينحصر اتّهام نتنياهو في المفتي، بل اتّهم ياسر عرفات بالمسؤوليّة المباشرة عن انتشار «الإرهاب العالميّ». يصف نتنياهو ياسر عرفات لاحقًا بأنّه الشخص الذي أسهم في انتشار «الإرهاب الدوليّ» أكثر من أيّ شخص آخر. «يرأس الرجل

(144) نتنياهو، الحرب على الإرهاب، 243.

(145) المصدر السابق، 244.

منظّمة هدفها السياسيّ المركزيّ... هو إبادة دولة إسرائيل، وهو مسؤول شخصيًّا عن عدد لا يُحصى من الأعمال الفظيعة ضدّ مواطنين في كلّ بلدان العالم الحرّ تقريبًا»[146]. ويعتقد نتنياهو أنّ إقامة الحكم الذاتيّ لمنظّمة التحرير الفلسطينيّة في أعقاب اتّفاق أوسلو شكّلت أحد «التعزيزات الهامّة التي حصل عليها الإرهاب الإسلاميّ منذ إقامة الجمهورية الإسلاميّة في إيران» [147].

واستمرارًا لهذه السرديّة، حول العداء العربيّ – الإسلاميّ للغرب، يستشهد نتنياهو بوضع الأقلّيّات غير العربيّة وغير المسلمة في العالم العربيّ. يرى نتنياهو أنّ الأقلّيّات في العالم العربيّ لن تحظى يومًا بمساواة في المجتمعات العربيّة، وسيظلّ أبناؤها يعانون من التمييز ومن مكانة أدنى من الأغلبيّة [148]. ويسرد نتنياهو في كتابه عمليّات الطرد والقتل التي أصابت أقلّيّات في العالم العربيّ، مثل طرد الأقلّيّة المسيحيّة – اليونانيّة في فترة جمال عبد الناصر، وملاحقة الأكراد ومنعهم من حقّ تقرير المصير، وقمع الدروز في لبنان، وإبادة الأقلّيّات المسيحيّة في سوريا في الثلاثينيّات[149]. فمقولة الأقلّيّات ظلّت مرافقة لنتنياهو في خطاباته حتّى اليوم بادّعاء أنّ إسرائيل هي المكان الآمن الوحيد لِلأقلّيّات الدينيّة ومقدّساتهم في الشرق الأوسط، وسيأخذ هذا الخطاب مكانة مركزيّة في خطابه بعد اندلاع الثورات العربيّة والصراعات الأهليّة، وكأنّ المقدّسات الإسلاميّة والمسيحيّة شُيّدت بعد العام 1948، لذلك بقيت قائمة حتّى اليوم!

في كتابه «الحرب على الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب المحلّيّ والإرهاب العالميّ» الصادر باللغة العبريّة عام 1996، وهو في الأصل كتاب صدر باللغة الإنجليزيّة، خلال فترة حكومة رابين، يخرج نتنياهو ضدّ منطلق رابين آنذاك الذي عبّرت عنه جملته الشهيرة «نصنع السلام وكأنّه ليس ثمّة إرهاب، ونحارب الإرهاب وكأنّه ليس ثمّة سلام»، حيث ينتقد نتنياهو هذه المقولة ويعتبرها مقولة خاطئة، إذ يقول: «وهنا يكمن الخطأ الأساسيّ لحكومة اليسار في الاتّفاقيّات التي وقّعتها مع منظّمة التحرير في أوسلو والقاهرة. في هذه الاتّفاقيّات، نقلت هذه الحكومة مسؤوليّة مكافحة الإرهاب الفلسطينيّ إلى آباء هذا الإرهاب، ممّا أدّى

(146) المصدر السابق، 108.

(147) المصدر السابق، 99.

(148) المصدر السابق، 155.

(149) المصدر السابق، 156.

إلى تصاعد الإرهاب ونفي كلّ جوهر من «السلام» الذي حقّقته، السلام الذي من نَواحٍ أخرى لم يحقّق التوقّعات منه» [150].

في الواقع، الكتاب لا يضيف شيئًا بشأن تسلسل تاريخ المنطقة الذي يعرضه الكتاب كمثْل ما تعرضه مقالةٌ صحفيّة لا دراسةٌ جادّة. كذلك يردّد الكاتب مقولات قيلت قبل ذلك وأُشبِعت بحثًا بشأن بداية نشوء الحركات الإسلاميّة الجهاديّة، ولا سيّما في السبعينيّات والثمانينيّات، بعد نجاح الثورة الإسلاميّة في إيران، وانتصار المجاهدين في أفغانستان. ولا يجدّد الكاتب كثيرًا على ما كتبه في «مكان تحت الشمس»، وهو أقرب إلى التصريح السياسيّ الأيديولوجيّ منّا إلى دراسة معمّقة وجادّة، وفي بعض أجزائه لا يتجاوز في العمق والسرد كتابًا تدريسيًّا خاصًّا بالمرحلة الثانويّة. ولكنّه يفيدنا في بيان الأرضيّة الفكريّة التي يقف عليها الرجل ويجيّر الواقعَ لتأكيدها، عبْر تجزئته وانتقاء أحداث محدّدة في التاريخ، واستحضار تصريحات انتقائيّة تفيد تَوجُّهه الأيديولوجيّ.

وفي هذا الكتاب، يقرن نتنياهو بين «الإرهاب» الذي يهدّد إسرائيل والخطر الذي يمثّله «الإرهاب الإسلاميّ» على العالم، حيث يشير أنّ «صعود الإرهاب الإسلاميّ في الغرب هو نتيجة مباشرة لصعود قوّته في منطقتنا، بسبب اعتماده على دول إرهابيّة مثل إيران والسودان، ونشوء جيوب إرهابيّة على نحوٍ ما في غزّة وجنوب لبنان» [151]. في هذا الصدد، يعتقد نتنياهو أنّ انتصار إسرائيل على الإرهاب المحلّيّ (يقصد المقاومة الفلسطينيّة والعربيّة ضدّ إسرائيل) سوف يُجنّب العالم الغربيّ خطر الإرهاب العالميّ، وهذا يتطلّب موقفًا مثابرًا من الولايات المتّحدة الأمريكيّة والدول الغربيّة بدعم إسرائيل في هذه الحرب، حتّى لا تصل إليها. وهو تصريح لا يختلف عمّا يقوله اليوم بأستاذيّةٍ للغرب.

وفي ذات السياق، يقترح نتنياهو إستراتيجيّة لمواجهة الإرهاب مكوّنة من عَشْر نقاط [152]، وهي:

1. فرض عقوبات على مزوّدي الدول الإرهابيّة بالتكنولوجيا النوويّة.

(150) المصدر السابق، 10.

(151) المصدر السابق، 11.

(152) المصدر السابق، 147-134.

2. فرض عقوبات دبلوماسيّة واقتصاديّة وعسكريّة على الدول الإرهابيّة.

3. القضاء على جيوب الإرهاب، وتجميد ممتلكات لدول إرهابيّة ومنظّمات إرهابيّة في الغرب.

4. تعاون مخابراتيّ دوليّ.

5. إحداث تغييرات في التشريعات القانونيّة تسهّل مراقبة نشاطات المؤسّسات التي تحرّض على العنف واتّخاذ إجراءات ضدّها. وتشمل هذه النقطة:

- إخراج عمليّات تجنيد الأموال ونقلها للمنظّمات الإرهابيّة عن القانون؛
- السماح بالتحقيق مع جماعات تؤيّد الإرهاب وتخطّط لإسقاط النظام بالقوّة؛
- تسهيل الإجراءات التي تسمح باعتقال أشخاص، حتّى بدون محاكمة، وتقييد الحقّ في حمل السلاح.

6. تشديد قوانين الهجرة، والقيام بفحص دَوْريّ للتشريعات القانونيّة لمكافحة الإرهاب وداعميه.

7. ملاحقة مستمرّة للإرهابيّين.

8. عدم إطلاق سراح إرهابيّين من السجن.

9. تأهيل قوّات خاصّة لمحاربة الإرهاب.

10. تربية المجتمع على الوقوف أمام الإرهاب وفهم طرق عمله، ونقاط الضعف التي يبحث عنها في المجتمع.

يختم نتنياهو كتابه بالتأكيد أنّ الأمن له الأفضليّة على حرّيّات الفرد، وأنّه لا مصلحة أعلى من مصلحة «أمن الأمّة». وهو منطق هوبسيانيّ، كما أشار إلى ذلك ناڤوت وروبين في بحثهما عن شخصيّة نتنياهو.[153] لا شكّ أنّ نتنياهو في قراره عام 2015 إخراج الحركة الإسلاميّة (بقيادة الشيخ رائد صلاح) عن القانون،

(153) Navot and Rubin, "Likud's success,".

واعتقال وملاحقة قيادتها، انطلق من هذه الإستراتيجيّة أو من جزء منها، وهي تؤكّد أنّ نتنياهو عندما يشعر براحة سياسيّة يعود إلى مواقعه الأيديولوجيّة؛ فالحركة الإسلاميّة فاعلة منذ عشرات السنين وتعمل حسب القانون الإسرائيليّ، ولكنّه أخرجها عن القانون عندما سمح الواقع الإقليميّ والدوليّ بذلك بواسطة قانون الطوارئ.

يكرّر نتنياهو في هذا الكتاب الفكرة المركزيّة التي طرحها في كتابه «مكان تحت الشمس»: العداء لإسرائيل هو جزء من العداء للحضارة الغربيّة. في فصل مخصّص لِما يسمّيه «صعود الإسلام العسكريّ»، يقول:

«لا يمكن أن نفهم مدى عداء وخطورة الإسلام العسكريّ على الولايات المتّحدة وأوروبا، بدون الوقوف على جذور الكراهيَة العربيّة – الإسلاميّة للغرب. بسبب السحر المعادي لإسرائيل على وسائل الإعلام في الغرب، الكثيرون في أيّامنا يعتقدون أنّ العداء الشديد المنتشر في العالم العربيّ والإسلاميّ تجاه الولايات المتّحدة هو ظاهرة وُلِدت مؤخّرًا، نتيجة تأييد الغرب لدولة اليهود، وأنّ هذه العدائيّة ستنتهي عندما يتحقّق السلام بين العرب وإسرائيل، ولكن ليس هنالك ما هو أبعد عن الحقيقة من ذلك. جذور العداء للغرب عميقة، تعود إلى مئات السنين من النموّ والصعود، وتشكّل حتّى اليوم القوّة الدافعة المركزيّة للثقافة السياسيّة والعسكريّة العربيّة – الإسلاميّة، هذه العدائيّة قائمة، حتّى لو لم تكن دولة إسرائيل» [154].

ويناقض نتنياهو نفسه في الكتاب ذاته إذ يُقِرّ قائلًا: «داعمو الإسلام المتطرّف والقوميّة العربيّة لا يكرهون الغرب بسبب إسرائيل. إنّهم يكرهون إسرائيل بسبب الغرب» [155].

يشير نتنياهو بأستاذيّته المعهودة، كما اليوم في خطابه الموجَّه إلى الغرب، أنّ قلائل في الغرب هم العارفون بالحقائق الأساسيّة لتاريخ العلاقات بين الإسلام والغرب [156]. وهي مقولة تدلّ على جهل كبير في التاريخ المعرفيّ والبحثيّ الكبير للدراسات الغربيّة في سنوات القرن والنصف الماضية الذي أنتجه الغرب عن هذا

(154) المصدر السابق، 83.

(155) المصدر السابق، 88.

(156) المصدر السابق، 83.

الموضوع. ففي عرضه لتاريخ العلاقة بين الإسلام والغرب، يكرّر نتنياهو ما قاله في «مكان تحت الشمس» على نحوٍ حَرْفيّ تمامًا.

على العكس من هذا الكتاب، الكتاب الذي حرّره عام 1987 بعنوان «الإرهاب: كيف تهزم الأنظمة الديمقراطيّة الإرهاب» كان جادًا أكثر في تناوله الأيديولوجيّ لموضوع «الإرهاب» (التسمية التي يطلقها على كلّ حركات المقاومة والتحرّر الوطنيّ في العالم). صدر هذا الكتاب عن معهد «يونتان» لدراسة الإرهاب، المركز الذي أسّسته عائلة نتنياهو وأطلقت اسم يوني على المعهد، وكان نتنياهو مديره. شارك في كتابة فصول الكتاب شخصيّات أمريكيّة وإسرائيليّة بالأساس، من بينهم: برنارد لويس؛ جورج شولتز؛ يتسحاق رابين. وطبعًا كَتَب المقدّمةَ والخلاصة بنيامين نتنياهو، فضلًا عن فصل لأبيه بِنْتْسِيُون تطرّقنا إليه سابقًا [157]. في هذا الكتاب، يستمرّ نتنياهو في تأطير الصراع حضاريًا، من خلال نفيه لإمكانيّة التوصّل إلى حوار بين الغرب و«الإرهابيّين». ففي خلاصة الكتاب، لا ينفكّ نتنياهو يخاطب الغربيّين بأستاذيّة، مشيرًا إلى سذاجتهم في التعامل مع «الإرهاب» القادم من الشرق الإسلاميّ، وإلى تخاذل الغرب في التعاطي مع هذا الموضوع نتيجة تأثيرَيْن سلبيَّيْن: الأوّل أنّ الغرب يفضّل مصالح اقتصاديّة قصيرة المدى مع الشرق بدون الأخذ بعين الاعتبار للانعكاسات السياسيّة لذلك؛ والثاني غياب الشجاعة السياسيّة في مواجهة الإرهابيّين، حتّى لا يشتدّ غضبهم[158]. لا يكتفي نتنياهو بهذا التفسير الساذج والسطحيّ الذي يُفسّر فيه سلوك الغرب تجاه الشرق، وهو بعيد كلّ البعد عن ذلك، بل يضيف العامل المركزيّ من ناحيته لهذا التقاعس، وهو أنّ الغرب يعتقد أنّه من خلال عمليّة سياسيّة يمكن التوصّل إلى تفاهمات مع «الإرهاب»، ويقصد نتنياهو بلا شكّ الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة تحديدًا؛ إذ يعتقد نتنياهو أنّ هذا الاعتقاد السائد في الغرب غير صحيح، وأنّه أحد الأخطاء الكبيرة في تعامل الغرب مع «الإرهابيّين»، أي تصوُّر الغرب أنّ العمليّة السياسيّة يمكن أن تحلّ كلّ صراع. وهو يرى أنّ هنالك صراعات لا يمكن حلّها حلًّا سياسيًّا، بل يتأتّى ذلك بالمواجهة المستمرّة حتّى حسم المعركة مع الطرف الآخر، ويُسفِّه إعجابَ الغرب بأفراد من حركات التحرّر مستعدّين للموت من أجل أفكارهم، حيث

(157) بِنْتْسِيُون نتنياهو، "الإرهابيّ ومحاربو الحرّيّة"، في: بنيامين نتنياهو (تحرير)، الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟ (تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1987)، 58–53.

(158) المصدر السابق،249–248.

يشبّههم مرّة أخرى بالنازيّة. يقول نتنياهو في هذا الصدد:

«نحن نعتقد بقدرة العمليّة السياسيّة على تسكين [تخفيف] كلّ صراع تقريبًا وحلّه في نهاية المطاف. ونحن نميل إلى إعطاء هذا الاعتقاد إلى الخصم أيضًا. ولكن لا خطأ أكبر من الادّعاء أنّ هذا الاعتقاد مشترك مع الإرهابيّين، الذين يستغلّون لغة السياسة لكي يقوّضوا أسس المجتمع... من الصعب لنا أن نقبل [يقصد الغرب] أنّ دوافع الإرهاب تتعارض تمامًا مع تصوّراتنا وليس هنالك طريقة للتجسير بينهم وبيننا، حيث إنّ الغرب يفقد توازنه ويقدّم الاحترام عندما يرى الاستعداد للموت، كما يبدو، من أجل فكرة. هو يميل إلى التصديق أنّ هذا الاستعداد يستند إلى فكرة مُحِقّة (في جزء منها على الأقلّ). لكنّ نظرة خاطفة في التاريخ تعلّمنا مدى خطأ وخطورة هذا التوجّه. لا أمثلة على ذلك أفضل من مقاتلين أو حركات كانوا على استعداد للتضحية بالروح من أجل «هدف سامٍ، كما يبدو، مثل طيّاري الكاميكاز اليابانيّين وحركة الشباب الهتلريّة» [159].

يهدف نتنياهو في النهاية إلى نزع كلّ صفة إنسانيّة عن حركات التحرّر في الشرق، عن أهداف أفرادها، وعن أفكارهم، وعن أدوات نضالهم، وحياتهم وقِيَمهم ومجرّد وجودهم، وذلك من خلال وضعهم في موقع النقيض الكامل للحضارة الغربيّة. لذا، فمَهمّة نتنياهو تذكير الحضارة الغربيّة بسذاجتها وتقريعها على ذلك، وتسفيه تعاطفها مع الآخر وإنْ لم تكن تؤيّده. فحتّى الإعجاب والتعاطف بدون التأييد غير مسموح بهما عند نتنياهو، وهو بذلك يرمي إلى نزع إنسانيّة الغرب أيضًا، حتّى تكون المعركة بين الشرق «الإرهابيّ» والغرب «المتنوّر» صراعَ تضادّ لا مجال فيه لتسوية سياسيّة، ولا لغة مشتركة بينهما، ولا يحتمل مشاعر الضعف (التعاطف أو الإعجاب)، بحيث يكون الحلّ الوحيد لهذا الصراع هو حسمه بالقوّة وإخضاع الآخر بلا رحمة. ومن هذه النقطة يمكن فهم الخطاب الإسرائيليّ الذي يتّهم الفلسطينيّ بالتحريض؛ فسرديّة الفلسطينيّ هي بالنسبة لنتنياهو تحريض، وإنسانيّة الفلسطينيّ مزيّفة، وحقوق الفلسطينيّين كذبة، وهكذا ننتهي، حسب منطق نتنياهو، إلى أنّ وجود الفلسطينيّ نفسه هو تحريض وخطَر على الوجود اليهوديّ في فلسطين.

(159)المصدر السابق، 249.

بناءً على هذا التأطير الحضاريّ للصراع، أين دور نتنياهو في هذا الصراع؟ يعطي نتنياهو لنفسه دورًا خلاصيًّا للشعب اليهوديّ ولدولة إسرائيل، ولا ينفي هذا الدَّوْرُ البعدَ الدينيّ كلّيًّا. نتنياهو ليس بشخص متديّن، ولكنه يستند في أفكاره إلى مرجعيّة دينيّة، وهو يرى في النصوص الدينيّة أحد مصادر قوّة الشعب اليهوديّ؛ فخلال لقاء ينظّمه سنويًّا في بيته لمنتدى التوراة الذي يحمل اسم «شموئيل بن أرتسي» والد زوجته سارة، قال نتنياهو خلال ذاك اللقاء الذي جمعهم في بيته في تشرين الأوّل عام 2017: «لا وجود يهوديًّا بدون التوراة، وبرأيي ليس هنالك مستقبل يهوديّ بدون التوراة. هذا الأساس الأوّل والأعلى الذي نصرّ عليه. هنالك من يحاول أن يهدم هذا الأساس، وبعون الله يمكن القول إنّنا نقف بثبات [ضدّ ذلك]»[160]. ويُعتبَر منتدى التوراة تقليدًا قام به بِنْجوريون وأكمله بيچن بعد صعوده إلى الحكم، وجدّده نتنياهو وزوجته بالتعاون مع مركز ميراث بيچن، ولا سيّما أنّ المنتدى على اسم والد زوجته.

ويرى نتنياهو نفسَه المخلّصَ لدولة إسرائيل وضامنَ مستقبلها، وكعادته في استحضار المفارقات التاريخيّة، أشار في جلسته المذكورة مع منتدى التوراة أنّ دولة الحشمونائيم صمدت 80 عامًا، وأنّه يعمل على أن تحتفل إسرائيل بعيدها المئويّ، حيث قال: «وجودنا غير مفهوم ضمنًا، وسنقوم بكلّ ما ينبغي فعله للدفاع عن الدولة، حيث إنّ دولة الحشمونائيم صمدت 80 عامًا وعلينا تجاوز هذا الرقم».

بناء على ذلك، تستند رؤية نتنياهو إلى تعزيز الطابع اليهوديّ للدولة على حساب الهُويّة الإسرائيليّة. في هذا يقول الكاتب الإسرائيليّ آلون عيدان: «نتنياهو يكره إسرائيل. المقصود أنّه يكره الثوب الإسرائيليّ الذي أُلبِسَ على الأساس اليهوديّ؛ فمن وجهة نظره، يخفي هذا الوشاح حقيقة أساسيّة: إسرائيل وُجدت لليهود فقط»[161]. وكما يشير عيدان، حدّد نتنياهو في سبيل هذا الهدف حلفاءه: الصهيونيّة الدينيّة واليهود الشرقيّين؛ إذ إنّ الهُويّة اليهوديّة لدى هاتين الفئتين أهمّ من الهُويّة الإسرائيليّة، وهما مستعدّتان للمضيّ مع نتنياهو في سبيل تحقيق هذا

(160) يهونتان ليس، «نتنياهو: الحشمونيون صمدوا 80 عامًا، وعلينا أن نضمن أن تحتفل إسرائيل بمئويتها»، هآرتس، 10/10 /2017. https://www.haaretz.co.il/news/politics/2017-10-10/ty-article/.premium/0000017f-e59c-df2c-a1ff-ffdd46b90000

(161) ألون عيدان، «نتنياهو يكره الإسرائيليين»، ملحق هآرتس، 13 /01/ 2017. https://tinyurl.com/yk7bwueu

الهدف، بتقليص الهُويّة الإسرائيليّة وتضخيم الهُويّة اليهوديّة في تعريف إسرائيل لذاتها، وبلورة أهدافها.

أمّا في ما يتعلّق بالشرقيّين، فإنّ ما مارسته النخَب الإشكنازيّة في حزب «مپاي» ضدّ اليهود الشرقيّين في العقود الثلاثة الأولى منذ تأسيس «إسرائيل»، من تمييز وعنصريّة، قد دفع بهم إلى حضن الليكود ومناحيم بيچن وفكرة «إحادْ مشِيلانو» (أي واحد من أَتْباعنا). وحمل الشرقيّون الكراهيَة لليسار الصهيونيّ الإشكنازيّ وحوّلوه إلى هُويّة سياسيّة عضويّة لم تتمكّن نُخَب حزب العمل، لاحقًا، حتّى الشرقيّة منها، أنْ تفكّكها [162]. ولكن نتنياهو لا يعوِّل على بقاء الشعور بالكراهيَة ضدّ حزب العمل واليسار عمومًا في الإبقاء والحفاظ على دعم الشرقيّين له، فهو يدرك أنّ الشرقيّين يحاولون التنصّل من أصولهم وملامحهم العربيّة من خلال التشديد على هُويّتهم اليهوديّة، «نتنياهو يفهم أنّ مَهَمّته هي تذكير الشرقيّين مرارًا وتكرارًا أنّ المَلْمَح الخارجيّ لا يزال حاضرًا» [163]، ولذا فإنّ بعضًا من هجومه على المواطنين العرب في إسرائيل ونزع الشرعيّة عنهم والتحريض عليهم يعود إلى هدفه المتمثّل في حفظ القواعد الشرقيّة الداعمة له، حيث يوجّه رسالة في هذا التحريض لا إلى الجماهير العربيّة فحسب، بل إلى اليهود الشرقيّين أيضًا، حيث يذكّرهم قائلًا: «إذا توقّفتم عن تعزيز الجوانب اليهوديّة لديكم، فإنّنا قد نتوه ونعتقد أنّكم لا تنتمون إلينا». هكذا فرض نتنياهو على الشرقيّين تعزيز هُويّتهم اليهوديّة مقابل هُويّتهم الإسرائيليّة.

وفي السياق نفسه، ذكر الصحفيّ المشهور، ناحوم برنيع، في مقال له، أنّ نتنياهو خلال جلسة له مع موشيه كحلون رئيس حزب «كولانو» (جميعنا)، ذي الأصول الشرقيّة، والذي ترك الليكود وأسّس حزبًا جديدًا ونصّبه نتنياهو وزيرًا للماليّة في الحكومة الحاليّة، قال له: «لن تحصل أبدًا على أصوات الناخبين الشرقيّين. أنا الوحيد الذي يستطيع جذبهم. أنا أعرف من يكرهون. إنّهم يكرهون العرب، وأنا أعرف كيف أزوّدهم بهذه السلعة» [164].

(162) مهند مصطفى، «الأصول الاجتماعية-الإثنية للانقسام السياسي في انتخابات الكنيست العشرين»، مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 103 (صيف 2015): 140.

(163) عيدان، نتنياهو يكره الإسرائيليّين،8.

(164) سامي شالوم-شطريت، فقط غبّاي يستطيع أن يهزم نتنياهو، هآرتس (بالعبرية)، 26 /04/ 2017. https://shorturl.at/ZQrrz

الفصـــــل الرابع
نتنياهو والفلسطينيّون: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة

تحليل التصوّر السياسيّ والأيديولوجيّ الذي يحمله نتنياهو أمرٌ لا بدّ منه لفهم المسألة الفلسطينيّة ومعالم الحلّ للصراع. وعلى الرغم من أنّ الكتاب أَفردَ لهذا الموضوع فصلًا خاصًا، لا تمكن قراءة هذا الفصل بصورة منفصمة عن الفصل السابق الذي يناقش فكر وأيديولوجيّة نتنياهو؛ فكلاهما متشابكان، ورؤيته للمسألة الفلسطينيّة لا تنفصم عن رؤيته الفكريّة والأيديولوجيّة العامّة.

ويزعم الفصل أنّ تصوّرات نتنياهو الحاليّة بشأن الحلّ تنطلق من مفهومَي المصالحة والتسوية؛ فعلى الفلسطينيّين مصالحة المشروع الصهيونيّ، بينما على إسرائيل أن تقوم بتسوية سياسيّة مقابل المصالحة الفلسطينيّة. وقبل تحليل هذه المعالم، سيعرض الفصل تعريفًا مفاهيميًّا أساسيًّا لمصطلحَي التسوية والمصالحة. فتسوية النزاعات تسعى إلى إنهاء الصراع بناء على ميزان اَلقوى في الواقع، ولذا فتوازن القوى بطبيعة الحال ينعكس على شكل التسوية وحلّ الصراع، ولذلك فهي لا تعكس المَطالب العادلة والمصالح البعيدة المدى للطرف الضعيف[165]. في المقابل، تعتمد المصالحة على علاقات تهدف إلى الاعتراف بشرعيّة الطرف الآخر، وروايته وحقّه التاريخيّ؛ إذ على العكس من التسوية، التي تكون على مستوى النخَب، تفترض المصالحة أن يتغلغل السلام والعلاقات على مستوى الشعوب. في هذا يشير نديم روحانا إلى أهمّيّة المصالحة في النزاعات قائلًا إنّ المصالحة «لا تنفي نشوء توتّر، أو وقوع خلافات بين الأطراف مستقبَلًا، فإنّها تشكّل درعًا في مواجهة انقلاب في العلاقات، أو وضع تصبح فيه شرعيّة الآخَر موضع شكّ من جديد» [166].

(165) نديم روحانا، "المصالحة في النزاعات القوميّة المستمرّة: القوّة والهُويّة في الحالة الإسرائيليّة – الفلسطينيّة"، مجلّة الدراسات الفلسطينيّة، 2004، 84–62.

(166)المصدر السابق، 64.

المفارقة تكمن في أنّ المصالحة في النزاعات ذات الطابع القوميّ، ولا سّيما في السياق الاستعماريّ الاستيطانيّ، تكون من مصلحة الطرف الضعيف، وذلك لضمان العدل، والاعتراف بالغبن التاريخيّ، ومسؤوليّة الطرف المعتدي التاريخيّة وتحقيق حلّ لا ينسجم مع ميزان القوى على أرض الواقع. ولكن، هذا الفصل يشير إلى أنّ نتنياهو يطالب الطرف الضعيف -بمقاييس ميزان القوى- بأن يقدِّم كلَّ ما يفرضه ميزان القوى عليه للطرف القويّ، كالاعتراف بالمشروع الاستعماريّ الاستيطانيّ، ومنح شرعيّة واعتراف برواية المستعمِر التاريخيّة، وتطبيع مفهوم العدل للخطاب الصهيونيّ، وغيرها.

كُتِب الكثير عن تصوّرات نتنياهو حول المسألة الفلسطينيّة، وتشير غالبيّة الكتابات أنّ نتنياهو يفضّل إدارة الصراع مع الفلسطينيّين دونما توصُّل إلى حلّ ينهي الصراع [167]. وقد تطرّقنا إلى جزء من هذه الكتابات والأدبيّات في فصول الكتاب السابقة. تنطلق هذه الرؤية من اعتبار أنّ كلّ حلّ أو تسوية سياسيّة مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة سيشكّل بالنسبة لنتنياهو تنازلًا عن أيديولوجيّته التي نشأ عليها وكَتَب عنها الكثيرَ، والتي تتمثّل في معارضته لإقامة دولة فلسطينيّة، والانسحاب من مناطق الضفّة الغربيّة أو جزء منها. يحمل هذا الرأي وجاهة تحليليّة، ولا سيّما أنّ نتنياهو يضيف في كلّ مرحلة مطلبًا جديدًا من الفلسطينيّين، أو يشدّد على مَطالب معيّنة. ففي دورة حكومته الأولى (1999–1996)، اعتبر أنّ الضمانات الأمنيّة ومكافحة «الإرهاب» هما الشرطان الأساسيّان لأيّة تسوية مع الفلسطينيّين، أو أيّ تقدُّم في تسوية مع منظّمة التحرير، وهو ما تَمَثَّلَ في جملته الشعبويّة آنذاك: «إنْ يُعطوا يأخذوا. وإلّا فلن يأخذوا». وفي دورة حكومته الثانية (2013–2009)، طرح في خطاب بار إيلان مطلب الاعتراف بإسرائيل دولةً يهوديّة شرطًا أساسيًّا لحلّ الدولتين، وفي أحيان أخرى يركّز على وقف «التحريض» في السلطة الفلسطينيّة شرطًا للمضيّ في تسوية، وتارة يطرح موضوع دعم السلطة لعائلات الشهداء والأسرى الفلسطينيّين باعتبار ذلك عائقًا أمام تسوية مع الجانب الفلسطينيّ، وطَوْرًا يتذرّع بالمصالحة الجارية بين السلطة الفلسطينيّة وحركة حماس. وكلّ هذه الشروط التي تصعد وتخبو في كلّ مرّة ما هي إلّا مبرّرات لعدم المضيّ في تسوية أو حلّ مع الفلسطينيّين. وتؤكّد تصريحات والده بِنْتْسِيُون هذا التحليلَ، حين صرّح في مقابلة مطوّلة معه بعد خطاب بار إيلان عام 2009، وكان

(167) شلحت، بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل.

ابنه بنيامين يجلس إلى جانبه: «إنّه [يقصد بنيامين] يؤيّد ذلك النوع من الشروط التي لن يقبلوا بها في أيّ حال من الأحوال». واستطرد نتنياهو الأب قائلًا: «هذا ما سمعتُه منه، وليس منّي. لقد وضع هذه الشروط، وهذه الشروط لن يسلِّم بها على الإطلاق أيّ رجل منهم» [168].

كان تاريخ المقابلة في 8/7/2009 في مناسبة احتفال بِنْتْسِيُون بعيد ميلاده المئة، وأكّد فيها أنّه سمع من نجله أنّه لا يؤيّد إقامة دولة فلسطينيّة، وأنّه يرهن إقامتها بشروط لا يمكن أن يقبلها الفلسطينيّون مطلقًا، مشدِّدًا في الوقت نفسه على أنّ رئيس الحكومة يدرس خطواته السياسيّة على نحو جيّد، ولا يُعقل أن يُقْدِم على أفعال رعناء. وقد نشرت هذه القناة تصريحاته تلكَ آنذاك على موقعها الإلكترونيّ تحت عنوان ذي دلالة هو «والد نتنياهو يكشف السرّ». ولدى توجيه سؤال إلى نتنياهو الأب بشأن موقفه إزاء إقامة دولة فلسطينيّة أجاب قائلًا: «لم يستثمر كلّ من بنيامين زئيف هرتسل وماكس نورداو جهودهما هنا من أجل أن تُقام دولة فلسطينيّة في نهاية المطاف. هذا البلد هو بلد يهوديّ وليس للعرب. لا مكان للعرب هنا ولن يكون لهم مكان أبدًا، وهم لن يوافقوا على شروطنا مطلقًا» [169]. وقد أُعيد بثّ هذه المقتطفات مرارًا وتكرارًا على التلفزيون الإسرائيليّ طيلة يوم وفاة بِنْتْسِيُون، بعد نشر وسائل الإعلام قبل يوم من وفاته تأكيدات ليوڤال ديسكين، رئيس جهاز الأمن العامّ (الشاباك) السابق في حكومة نتنياهو، بقوله إنّ هذه الحكومة "لم تكن تبدي أيّ اهتمام بحلّ أيّ شيء مع الفلسطينيّين" [170].

تحلّل ياعيل أرونوف مواقف ستّة رؤساء حكومة إسرائيليّين من المسألة الفلسطينيّة، ومنهم نتنياهو، وتَعتبر أنّ البعد الأيديولوجيّ لا يزال يقوم بدور مركزيّ في تعاطيه مع المسألة الفلسطينيّة، فهو يعتقد أنّ الوقت يسير لصالح إسرائيل، على العكس من اثنين من رؤساء حكومة من حزب العمل (رابين وبيرس) كانا جزءًا من التحليل في الكتاب. لذا، يرمي نتنياهو -وَفق رأي الكاتبة- إلى إدارة الصراع لعشرات السنوات؛ فالوقت مع إسرائيل، على العكس ممّا يدّعيه زعماء اليسار الصهيونيّ. وهو غير قادر على اتّخاذ قرارات صعبة في الشأن الفلسطينيّ؛ فقدرته على المخاطرة في مثل هذه القرارات ضعيفة، على العكس من شارون[171].

(168) المصدر السابق، 80.

(169) المصدر السابق،

(170) المصدر السابق،

(171) Aronoff, “The Political Psychology”.

إذًا، انطلاقًا من هذا التوجّه يسعى نتنياهو إلى إبقاء الوضع القائم، من خلال إستراتيجيّة إدارة الصراع، وهذا صحيح. ولكن إدارة الصراع لا يمكن أن تكون إلى ما لا نهاية، إذ لا بدّ في مرحلة معيّنة من الانتقال من إدارة الصراع أو الحلّ إلى حسمه وفرض حلّ. وفي سياق تصوّرات نتنياهو، العلاقة بين إدارة الصراع وحسمه ليست مسألة كرونولوجية خطّيّة؛ أي لا وجود لقاعدة لديه تفترض الانتقال من إدارة الصراع إلى حلّه وفرضه. بل هنالك ديناميكيّة بين إدارة الصراع وحسمه في تصوّراته وسياساته في التعامل مع المسألة الفلسطينيّة. ومن هنا فإنّ حسم إدارة الصراع لا يكون على مراحل تنتهي بعد إتمامها، فضلًا عن أنّ حسم الصراع لا يكون على مراحل متراكمة تصل إلى نقطة يمكن تحديدها على أنّها نقطة انتهى فيها حسم الصراع. كلّ شيء عند نتنياهو متحرّك حسب السياقات المحلّيّة والفلسطينيّة الإقليميّة والدوليّة؛ فعندما يعود نتنياهو إلى قواعده الأيديولوجيّة يتّبع سياسات حسم الصراع، وعندما يُضطرّ نتنياهو إلى ترك مواقعه الأيديولوجيّة فإنّه يدير الصراع. بطبيعة الحال هو يفضّل البقاء في قواعده الأيديولوجيّة. فما هي هذه القواعد؟

يعتبر نتنياهو أنّ إنتاج شعب فلسطينيّ وهُويّة وطنيّة فلسطينيّة كان مؤامرة عربيّة لإسقاط حقّ اليهود في فلسطين، «فطيلة هذا التاريخ الطويل، لم يُعرب السكّان العرب في أرض «إسرائيل»، وإنْ تلميحًا، عن رغبة في الاستقلال القوميّ، أو في ما يُعْرَف اليوم بـ «تقرير المصير». كان هنالك عرب عاشوا في أرض إسرائيل مثلما عاش عرب آخرون في أماكن أخرى كثيرة، ولكن لم يكن هناك شعب فلسطينيّ ذو وعي قوميّ أو هُويّة قوميّة، أو حتّى مصالح قوميّة مشتركة. ومثلما لم تكن دولة فلسطينيّة، لم يكن كذلك شعب فلسطينيّ، أو ثقافة فلسطينيّة» [172].

يقارن نتنياهو مرّة تلو الأخرى «الشعب الفلسطينيّ» (الذي يضع اسمه بين مزدوجين) بالألمان الذين كانوا يعيشون في إقليم السوديت التشيكوسلوفاكيّ في ثلاثينيّات القرن الفائت، ويشير إلى أنّه في إطار سعي النازيّين إلى تفكيك تشيكوسلوفاكيا ابتدعوا شعبًا خياليًّا هو «الألمان السوديت».

(172) نتنياهو، مكان تحت الشمس، 101–100.

والسوديت إقليم يقع في غرب تشيكيا على الحدود مع ألمانيا. وكان في السابق جزءًا من الإمبراطوريّة النمساويّة المجريّة. وعقب هزيمة ألمانيا في الحرب العالميّة الأولى، قرّر مؤتمر الصلح في باريس اقتطاعه من ألمانيا وإلحاقه بتشيكوسلوڤاكيا. وكان 95% من سكّانه من الألمان، ولذا طالب هتلر عام 1938 بإجراء استفتاء شعبيّ بين سكّان الإقليم يقرّرون فيه إمّا البقاء مع تشيكوسلوڤاكيا أو الانضمام إلى ألمانيا. ورفض رئيس تشيكوسلوڤاكيا ذلك واعتبره تدخّلًا في شؤون بلده الداخليّة، فهدّد هتلر باستعمال القوّة لتحقيق ذلك، وهو ما أدّى إلى تأزُّم العلاقات الدوليّة في أوروپا نظرًا إلى أنّ تشيكوسلوڤاكيا كانت قد وقّعت اتّفاقيّات تحالف مع فرنسا والاتّحاد السوڤييتيّ، فإذا شنّ هتلر الحرب ضدّ تشيكوسلوڤاكيا فإنّه سيلزم الدولتين بالوقوف إلى جانبها. وبغية الخروج من هذا المأزق، دعا رئيسُ الحكومة البريطانيّة تشمبرلين إلى عَقد مؤتمر لتسوية هذه المسألة. وعُقِدَ هذا المؤتمر في ميونيخ ما بين الـ 29 من آب والفاتح من أيلول عام 1938، وحضره زعماء بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا، وجرى في ختامه توقيع معاهدة ميونيخ التي تضمّنت البنودَ التالية:

1. ضمّ إقليم السوديت إلى ألمانيا خلال عشرة أيّام.
2. منع تشيكوسلوڤاكيا من هدم التحصينات العسكريّة التي في الإقليم.
3. رسم الحدود الألمانيّة – التشيكيّة وَفقًا للمصالح الإستراتيجيّة الألمانيّة.
4. في مقابل ذلك يتعهّد هتلر بالتخلّي عن أيّ مطامع إقليميّة أخرى.

واضطُرّت تشيكوسلوڤاكيا إلى الرضوخ لتلك الشروط، فدخلت القوّات الألمانيّة إقليم السوديت في الفاتح من تشرين الأوّل عام 1938. وتاريخيًّا، كان اجتماع ميونيخ المسمار الأخير في نعش السلام الأوروپيّ والعالميّ بصورة عامّة، وذلك أنّه أعطى دليلًا لهتلر على ضعف فرنسا وتردُّد بريطانيا في الوقوف في وجه أيّ عمل يقوم به مَهما كان، فقرّر ضمّ تشيكوسلوڤاكيا بأكملها إلى ألمانيا في آذار عام 1939، وكان ذلك مثابة مقدّمة لاندلاع الحرب العالميّة الثانية. ومع نهاية الحرب وهزيمة ألمانيا، استعادت تشيكوسلوڤاكيا الإقليم وطُرِد معظم السكّان الناطقين بالألمانيّة إلى ألمانيا. وعلى غرار السوديت، أكّد نتنياهو في كتابه أنّ الدول العربيّة عرفت أنّ سيطرتها على الضفّة الغربيّة ستحسم مصير إسرائيل، «ولذا

قامت بشنّ حملة تهدف إلى إقناع العالم والسكّان العرب في هذه المنطقة أنّهم أبناء شعب مستقلّ وأصحاب الحقّ في تقرير المصير». وبحسب ذلك، فالفلسطينيّون شعب غير قائم، وهو صنيعة العالم العربيّ الساعي إلى القضاء على إسرائيل [173]. وتُعتبر هذه أهمّ تصوّرات نتنياهو الأيديولوجيّة حول المسألة الفلسطينيّة، فما هي تصوّراته السياسيّة؟

تصوُّر نتنياهو: مصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة

مَعالم المطالبة الإسرائيليّة بمصالحة فلسطينيّة مقابل تسوية إسرائيليّة تتجلّى في طلب نتنياهو الاعتراف بإسرائيل دولةً يهوديّة. فقد طرح نتنياهو موضوع الاعتراف بصورة مكثّفة وأساسيّة في عهده الجديد كأساس للتوصّل إلى حلّ مع الفلسطينيّين. لكن لا بدّ من القول إنّ موضوع الاعتراف ليس بقضيّة جديدة في ساحة السجال الإسرائيليّ. وقد كان ذاك محصورًا في النقاش والأدبيّات الأكاديميّة التي ركّزت على العوائق النفسيّة، والروايات التاريخيّة المتناقضة والمتصارعة، والعوائق الذهنيّة والقيميّة، ومفهوم العدل المختلف أمام تحقيق المصالحة بين الشعبين؛ إذ وقف كلُّ هذا عوائقَ أمام تحقيق المصالحة لا التسوية [174]. الجديد في هذا النقاش أنّ نتنياهو استطاع أن ينقل هذه المسألة بقوّة إلى الساحة السياسيّة، مستخدمًا كلمة "المصالحة" التي تتجلّى في مفهوم الاعتراف الفلسطينيّ بإسرائيل كدولة يهوديّة.

تراجع نتنياهو عن الأساس الذي سارت بموجبه الحكومات الإسرائيليّة السابقة في المفاوضات، وهو ما يوجب التوصّل إلى اتّفاق حول الحدود أوّلًا، وقد وافق الجانب الفلسطينيّ على هذا الأساس أيضًا. لكن نتنياهو أراد وضع أسس جديدة لبدء المفاوضات تتطلق بترسيم الحدود بالترتيبات الأمنيّة والاعتراف بإسرائيل دولةً للشعب اليهوديّ، أي الاعتراف بيهوديّة الدولة. ويشكّل هذا الاعتراف ترتيبًا جديدًا لأولويّات التفاوض الإسرائيليّة، وإضافة قضيّة جديدة إلى القضايا

(173) شلحت، بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل ,78–77.

(174) يعقوب بار–سيمان–طوف، محرر، عوائق السلام في الصراع الإسرائيلي–الفلسطيني (القدس: معهد القدس لأبحاث إسرائيل، 2010).

الجوهريّة التي تعتبرها إسرائيل شرطًا لحلّ الصراع [175]. فهِمَ نتنياهو أنّ موضوع الاعتراف الرمزيّ بما يحمل من دلالات تاريخيّة في حقّ اليهود على الأرض هو تعويض عن قبول اليمين بتقسيمها. وقد أكّد نتنياهو على مطلب الاعتراف في أكثر من خطاب: في جامعة بار إيلان في حزيران 2009، وأمام مجلس العلاقات الخارجيّة في نيويورك في تمّوز عام 2010 في التهنئة السنويّة للشعب اليهوديّ في رأس السنة اليهوديّة، وفي الأمم المتّحدة في أيلول عام 2011، وفي خطابه الشهير في الكونچرس الأمريكيّ في العام نفسه...

يُعتبر هذا المطلب عند نتنياهو إعادة إحياء لمقولته الأيديولوجيّة حول جوهر الصراع؛ فهو يقرن بين قضيّة الاعتراف ونجاح المفاوضات، ويعتقد أنّ حلّ كلّ قضايا الصراع الجوهريّة تتعلّق باعتراف الفلسطينيّين بالدولة اليهوديّة. ففي تصريح له قبل انعقاد الاجتماع في شرم الشيخ مع الرئيس الفلسطينيّ محمود عبّاس عام 2011، قال نتنياهو: «العائق الأساسيّ المتبقّي أمام السلام هو الاعتراف»، وأضاف: «حين نتغلّب على موضوع الاعتراف المتبادل، آمل أن يكون في المستطاع أن يبارك كلّ منّا الآخر بعد عام بالبركة والسلام». وقد وصف نتنياهو عدّة مرّات الرفضَ الفلسطينيّ بالاعتراف أنّه «جذور الصراع». لا يقرن نتنياهو بين الصراع والاحتلال، ففي لقاء جمَعَهُ في القدس بمنظّمة «مسيحيّون موحّدون من أجل إسرائيل»، في آذار عام 2012، المنظّمة التي يتعامل أعضاؤها مع نتنياهو على أنّه أشبه بمسيح مخلّص، قال «أعداؤنا لا يكرهوننا بسبب ما نفعل، وإنّما بسبب مَن نكون».[176] وعشيّة انطلاق المفاوضات في واشنطن عام 2010، الذي تزامن مع رأس السنة اليهوديّة، بارك نتنياهو الشعب اليهوديّ، وتطرّق إلى المفاوضات قائلًا

(175) شيري تل-لندمان، العنصر الخامس: المطالبة بالاعتراف بإسرائيل دولةً للشعب اليهودي، مجلة عدكان إستراتيجي، العدد 3 (201013/10/): 121.

(176) نير حسون، الإنجيليون انتظروا نتانياهو كما ينتظرون المسيح، هآرتس (بالعبرية)، 19/3/2012: https://www.haaretz.co.il/news/politi/2012-03-19/ty-article/0000017f-f593-d318-af-ff-f7f392430000

"إنّنا نصرّ على أنّ التسوية بيننا وبين الفلسطينيّين يجب أن تستند إلى مبدأين: الأمن والاعتراف... الأمن لأنّ أيّ سلام لن يصمد بدون ترتيبات أمنيّة حقيقيّة على الأرض، والأمر الثاني هو طبعًا الاعتراف بإسرائيل كدولة قوميّة للشعب اليهوديّ. يطلبون منّا الاعتراف بدولة فلسطينيّة، ومن الطبيعيّ أن نطلب من الطرف الآخر أن يعترف بالدولة اليهوديّة، دولة شعب إسرائيل".[177]

ينطلق خطاب الاعتراف إلى اعتبار أنّ جوهر الصراع يعود إلى العام 1948 لا إلى العام 1967. يعتقد نتنياهو أنّ نزع الشرعيّة عن إسرائيل الذي أصبح مكثّفًا في السنوات الماضية مَرَدُّهُ إلى عدم الاعتراف بها. في لقاء أجراه في كانون الأوّل عام 2010 –بعد أن أخفقت الجهود في استئناف المفاوضات إثر رفض الحكومة الإسرائيليّة تمديد تجميد الاستيطان– قال نتنياهو: "حتّى إذا نجحنا في الوصول إلى سلام، سوف يستمر التعرّض لشرعيّتنا، لأنّ جذورها ليست في أحداث عام 1967، بل جذورها (أي نزع الشرعيّة) تعود إلى أحداث عام 1948، الهجوم ضدّ وجود الدولة اليهوديّة[...] هنالك محاولة لمنع اليهود أن تكون لهم دولة"[...][178].

تنضمّ هذه التصريحات إلى الكثير من المقولات والخطابات التي يؤكّد فيها نتنياهو على جوهر القضيّة باعتبارها قضيّة اعتراف لا قضيّة احتلال، أي إنّ جوهر الصراع هو غيابُ اعتراف فلسطينيّ بيهوديّة الدولة منذ عام 1948 لا احتلالُ إسرائيل منذ عام 1967.

بات نتنياهو مثابرًا في خطاب الاعتراف. في كلّ مناسبة، يحاول أن يتّبع هذه الإستراتيجيّة. وقد أكّد على هذا الموقف ثلاث مرّات في أيّار عام 2011: في خطابه في الكنيست الإسرائيليّ عشيّة سفره إلى واشنطن؛ في خطابه في منظّمة «الآيباك» بعد سفره؛ في خطابه الشهير في الكونجرس الأمريكيّ. ففي هذه الخطابات الثلاثة أشار إلى أنّ المشكلة ليست في عام 1967 بل في عام 1948، وأنّ المشكلة ليست في عدم إقامة دولة فلسطينيّة، بل في عدم الاعتراف بدولة يهوديّة. يُعتبر خطاب الاعتراف خطابًا يحاول أن يزيل صفة المحتلّ عن كاهل إسرائيل، وهذا ما أشار إليه نتنياهو في خطابه في الكونجرس عندما قال: وجود اليهود في الضفّة

(177) ينظر: خطاب نتانياهو بمناسبة رأس السنة العبرية 2010 على قناته على اليوتيوب: https://www.youtube.com/watch?v=RL3q9VVxLmY

(178) مهند مصطفى، الاستراتيجية الإسرائيلية التفاوضية (2009–2012): نصف تسوية ونصف مصالحة، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 37 (شتاء 2013)، 158.

الغربيّة ليس احتلالًا، بل هو عودة إلى أرض الأجداد؛ إذ إنّ الأرض هي حقّ تاريخيّ لليهود. وبهذا يحاول أن يقول إنّ إسرائيل ليست دولة محتلّة، بل حقّها في هذه الأرض هو حقّ تاريخيّ ودينيّ، وإنّه مستعدّ للتنازل بألم عن هذه الأرض مقابل اعتراف فلسطينيّ بيهوديّة الدولة.

يدرك نتنياهو جيّدًا معنى مطلب الاعتراف وانعكاساته على مجْمَل القضايا الجوهريّة. اعتراف فلسطينيٌّ بيهوديّة الدولة معناه تنازل فلسطينيّ عن حقّ العودة، ولن يكون هناك معنى للتفاوض حول هذا الموضوع، كما أنّه يحصل على اعتراف فلسطينيّ بالرواية التاريخيّة الإسرائيليّة والحقوق اليهوديّة في القدس وفي الضفّة الغربيّة وانعكاسات ذلك على موضوع السيادة والمستوطنات في الضفّة الغربيّة، ولهذا السبب يرفض الجانب الفلسطينيّ على نحوٍ دائمٍ هذا الاعتراف.

لم يكن نتنياهو القائد الإسرائيليّ الوحيد الذي وضع قضيّة الاعتراف ضمن أَجِنْدات عمليّة التفاوض، فقد ظهرت قضيّة الاعتراف في اتّفاق السلام مع مصر ومع الأردن، بل في إعلان المبادئ الموقَّع في أوسلو. في الاتّفاقيّات الثلاث السابقة، اكتفت إسرائيل بصيغة اعتراف كما هو متعارَف عليه في العلاقات الدوليّة، أي اعتراف بكيانات سياسيّة وبسيادتها في الحدود التي اتُّفِق عليها؛ بل كذلك ظهر موضوع الاعتراف بيهوديّة الدولة في الردّ الإسرائيليّ خلال فترة ولاية شارون على خريطة الطريق. طالب شارون باعتراف فلسطينيّ لا بحقّ وجود إسرائيل فحسب، وإنّما كذلك بالحقوق القوميّة للشعب اليهوديّ وطابعها القوميّ. وعاد هذا الطلب مرّة أخرى في مؤتمر أناپولس عام 2007، حيث طالب أولمرت وليڤني بإدراج هذا الموضوع في الإعلان عن بدء المفاوضات، إلّا أنّ نتنياهو نقل قضيّة الاعتراف نقلة نوعيّة. كان نتنياهو هو الوحيد الذي اشترط الاتّفاق بموضوع الاعتراف، ومن ناحية أخرى أعطى الاعتراف جوهرًا أكثر وضوحًا وإلزامًا وهو الاعتراف بيهوديّة الدولة وبإسرائيل كدولة الشعب اليهوديّ. كذلك وضعها على سلّم أولويّات التفاوض قبل المواضيع الجوهريّة الأخرى نحو: القدس؛ اللاجئين؛ الاستيطان؛ الحدود والترتيبات الأمنيّة.

قدّم نتنياهو خلال مناسبات مختلفة تحديثات على مواقفه الكلاسيكيّة السابقة بخصوص شكل التسوية وطريقتها. في عام 2011، ألقى أربعة خطابات مركزيّة شكّلت المصدرَ الأساس في عرض آرائه؛ تَمثَّلَ الأوّلُ في خطابه أمام الكنيست في

الـ 16 من أيّار، والثاني خطابه أمام الكونچرس في الـ 24 من أيّار، والثالث خطابه أمام الوكالة اليهوديّة في الـ 28 من حزيران، والرابع أمام الجمعيّة العامّة في الـ 23 من أيلول. شكّلت هذه الخطابات إضافات جوهريّة لخطاب نتنياهو الشهير في بار إيلان في حزيران عام 2009، حيث وضع المزيد من النقاط على الحروف الغامضة التي وردت في خطابه الأوّل، ووضع المزيد من الحواشي والهوامش التي تبدو أكثر قوّة وأشدّ إلزامًا بالنسبة لنتنياهو من النصّ الأوّل الوارد في بار إيلان. من الواضح أنّ نتنياهو كان مدفوعًا بنوعين متناقضين من الضغوط: الأوّل خارجيّ يتمثّل في المجتمع الدوليّ، والثاني داخليّ من أطراف ائتلافه الحكوميّ.

على الرغم من ذلك، قدّم رئيس الحكومة الإسرائيليّة تصوّرًا متكاملًا يمكن الاستدلال منه على شكل الحلّ النهائيّ الذي يرغب أن يراه في حال تحقُّقه. في البداية، يجب التأكيد أنّ ما اقترحه نتنياهو يشكّل شروطًا قال بوجوب تحقّقها في أيّ نتائج للمفاوضات بين الطرفين، ولم تكن رؤى وتصوّرات حقيقيّة إلّا أنّها تعكس شكل الحلّ المرغوب. واشتمل هذا الحلّ على ثلاثة شروط أساسيّة: يهوديّة الدولة؛ الاحتفاظ بغور الأردن؛ ترسيم حدود لدولة فلسطينيّة. ومع هذا، في الإمكان –من تحليل مواقف نتنياهو– الاستدلال على نحوٍ شامل على سبعة معالم أساسيّة للتسوية كما يراها، تتمثّل في الأمور التالية وهي:

1. إقرار فلسطينيّ بيهوديّة الدولة، إذ إنّ معيار تحقيق السلام هو الاعتراف بوجود دولتين لشعبين، وإذا كانت الدولة الفلسطينيّة للشعب الفلسطينيّ فإنّ إسرائيل هي دولة الشعب اليهوديّ.

2. بالنسبة لقضيّة اللاجئين، ليس ثمّة مشكلة واحدة بل ثمّة مشاكل للّاجئين؛ فلدى إسرائيل أيضًا مشكلة كما لدى الفلسطينيّين، وعليه تجري تسوية كلّ مشكلة بصورة متناسبة بحيث يجري حلّ قضيّة اللاجئين الفلسطينيّين في الدولة الفلسطينيّة لا في إسرائيل أسوة بما كان في إسرائيل حين جرت تسوية مشكلة اللاجئين اليهود العرب عقب حرب عام 1948.

3. الدولة الفلسطينيّة لا بدّ أن تكون منزوعة السلاح بحيث لا تمتلك أسلحةً تهدّد وجود إسرائيل وأمنها. هذا يتطلّب وجودًا عسكريًّا إسرائيليًّا على طول نهر الأردن. إنّ حدود الدولة الفلسطينيّة يجري تحديدها بناءً على اتّفاق بين

الطرفين الإسرائيليّ والفلسطينيّ وأنّ هذه الحدود لا يمكن أن تكون حدود الرابع من حزيران، بل تأخذ بعين الاعتبار الطبيعة الديمجرافيّة للوجود الإسرائيليّ في المستوطنات، ويجري ضمّ مُجْمَل الكتل الاستيطانيّة الكبرى والتجمّعات السكنيّة إلى داخل دولة إسرائيل، وتقوم إسرائيل بتفكيك بعض البؤر التي ترى أنّه يمكن التنازل عنها. وبكلمة أخرى، المفاوضات وحدها يمكن أن تنتج شكل حدود الدولة الفلسطينيّة ومسارها، ولا يمكن الجزم المسبق بها قبل الشروع بالمفاوضات. وإنّ حدود الرابع من حزيران لا تشكّل قاعدة تصلح لذلك، بل إنّ حدود الرابع من حزيران بالنسبة لنتنياهو غير قابلة للدفاع عنها من ناحية عسكريّة. وهو موقف يتعزّز مع استحضار طرحه حول الحاجة إلى الاحتفاظ بغور الأردن لضمان قوّة الردع الإسرائيليّة.

4. أن تحتفظ إسرائيل بمنطقة غور الأردن تحت سيطرتها فلا يكون للدولة الفلسطينيّة حدود شرقيّة مع الأردن بالمعنى الجغرافيّ، بل ربّما بالمعنى المعنوي والسياسيّ. نتنياهو لم يقدّم الكثير من الشروح، بل قال إنّ حدود إسرائيل لا يمكن أن تقف عند خاصرة الضفّة الغربيّة، بحيث يكون عرض إسرائيل من جهة حيفا وتل أبيب مجرّد خمسة عشر كيلومترًا. قال نتنياهو أثناء جولة في الغور، في آذار عام 2011، إنّه "مَهما كانت الظروف في المستقبل، وفي إطار أيّ اتّفاقية، يجب على الجيش الإسرائيليّ البقاء هنا منتشرًا على طول نهر الأردن. هذه شهادة التأمين الخاصّة بدولة إسرائيل".

يقول نتنياهو بخصوص مقترحه احتفاظ إسرائيل بمنطقة الغور: «إنْ كان هذا صحيحًا قبل الاضطرابات الكبيرة التي هزّت الشرق الأوسط والمنطقة بأَسْرها، فهو ينطبق بصورة خاصّة على ما يحدث اليوم. يجب على الجيش الإسرائيليّ أن يبقى منتشرًا على طول نهر الأردن»[179]. يعتبر نتنياهو الانسحاب إلى حدود الرابع من حَزيران جزءًا من مخطّط الفلسطينيّين لإعادة إسرائيل إلى حدودها القديمة، وهي حدود غير آمنة، وذلك تطبيقًا لخطّة المراحل التي تهدف إلى القضاء على دولة إسرائيل. لذا يشدّد نتنياهو على فكرة سيطرة إسرائيل على الحدود مع الأردن [180].

(179) المصدر السابق، 162.

(180) نتنياهو، الحرب على الإرهاب،100.

5. المستوطنات: لم تكن المستوطنات يومًا هي أساس المشكلة في الشرق الأوسط؛ فالصراع قائم قبل أن تكون المستوطنات بعشرات السنين، إلّا إذا كان الفلسطينيّون يقصدون بالمستوطنات تل أبيب وحيفا ويافا وبئر السبع، كما قال نتنياهو من على منصّة الأمم المتّحدة عام 2011. وإسرائيل جرّبت وفكّكت مستوطنات وأرغمت سكّانها على تركها وترك مدارسهم وكُنُسهم، لكن السلام لم يتحقّق.[181] وعليه، ستُشمَل الكتل الاستيطانيّة ذات الكثافة النسبيّة والواقعة بالقرب من تل أبيب الكبرى والقدس ومناطق أخرى ذات أهمّيّة إستراتيجيّة أو قوميّة ضمن الحدود الدائمة لإسرائيل. مقابل كلّ ذلك، إسرائيل مستعدّة لتقديم تنازلات في الأراضي، وهي تنازلات مؤلمة -كما يصفها نتنياهو- من أجل السلام، بل ذهب ذات مرّة للقول إنّه سيكون سخيًّا في ذلك.

6. القدس ستكون موحّدة تحت السيادة الإسرائيليّة. على الرغم من ذلك، تتفهّم إسرائيل حسّاسيّة الفلسطينيّين حين يتعلّق الأمر بالمقدّسات، إلّا أنّ هذا لن يُفضي إلى تنازل من أيّ نوع في قضيّة السيادة، بل إنّ نتنياهو عبّر عن استغرابه أمام الجمعيّة العامّة دعاوى الفلسطينيّين بقيام إسرائيل بتهويد القدس، وتساءل: هل يقال لأميركا إنّها تؤمرك نيويورك؟! إنّ أكبر فضيلة لحرب حزيران عام 1967 بالنسبة له هي أنّها وحّدت القدس، وهو لا يفتأ يروي قصصًا من طفولته عن هذه اللحظات، وبالتالي فإنّ إعادة تقسيم المدينة أمر غير وارد على الإطلاق في وعي نتنياهو السياسيّ، وستصون إسرائيل حرّيّة العبادة لأتباع جميع الديانات.

7. توقيع الاتّفاق مع الفلسطينيّين يجب أن يتزامن مع إعلان فلسطينيّ بإنهاء النزاع إلى الأبد وانتهاء المطالبات الفلسطينيّة، فلا يجوز إيجاد دولة فلسطينيّة إلى جانب دولة إسرائيل تبغي النزاع مع إسرائيل أو مواصلة ممارسة الضغط.

(181) Binyamin Netanyahu, Speech to the United Nations General Assembly, American rhetoric, 23/9/2011; https://www.americanrhetoric.com/speeches/benjaminnetanyahu2011unitednations.htm

نتنياهو والفلسطينيّون في مناطق عام 1948

وضع نتنياهو خلال دورة حكمه الأخيرة الفلسطينيّين الذين في داخل الخطّ الأخضر في صُلب سياسته وخطابه، وذلك كجزء من عمليّة إنتاج «عدوّ» جديد، يعيد من خلاله إنتاجَ سياسات الهُويّة وإشاعة الخوف التي اعتمدها في مسيرته السياسيّة. وكان الفلسطينيّون في إسرائيل حاضرين بقوّة في السنوات الأخيرة في خطاب التخويف الذي اعتمده نتنياهو، وبدا لوهلة أنّ «العدوّ الداخليّ» (أي فلسطينيّي الـ 48) استُبدِل في خطابات نتنياهو بـ «العدوّ الخارجيّ» (نحو: إيران والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة). وكما قال نتنياهو لوزير الماليّة «كحلون»، هو يعرف كيف يحافظ على قواعده الانتخابيّة من خلال تسويق مُنْتَج «كراهيَة العرب». هنالك اختلاف بين منظومة العنصريّة التاريخيّة للتيّار الصهيونيّ العمّاليّ، والمنظومة العنصريّة لليمين الجديد، في تعاملهم مع الفلسطينيّين داخل الخطّ الأخضر؛ فالأوّل اتّبع سياسة تغييبهم، والثاني يَتّبع على نحوٍ منهجيٍّ سياسةَ استحضارهم في كلّ مناسبة. فالتغييب لا يفترض التحريض ابتداءً، بل على العكس من ذلك يتعامل معهم كأناس وَدودين، راضين وخاضعين بالوضع القائم ولا يتحدَّوْنه، ولا يشكّل التحريض عليهم رافعة سياسيّة، بل يشكّل انتهاكًا لسياسات المستعمِر الموروثة من الانتداب الإنجليزيّ التي دأبت على التعامل مع القيادات المحلّيّة التقليديّة وتمكينها على حساب قيادات وطنيّة؛ فالتغييب يوفّر غطاء لممارسات إقصائيّة واستعماريّة دون أن يجري استحضار موقف الواقعين تحت الاستعمار [182].

في المقابل، تنطلق سياسات اليمين الجديد من موروث استعماريّ يستحضر بصورة دائمة السكّان الأصليّين بغية نزع إنسانيّتهم وجعْلِهم في صُلب الحراك السياسيّ للمستعمِر وبَلْوَرة هُويّته وذاته الجماعيّة. فالممارسات الاستعماريّة في الحالة الأولى تستوجب التغييب، وفي الثانية تستوجب الاستحضار، وفي النهاية كلاهما يهدفان إلى التحقير والاستهتار (بتصرّف عن الفيلسوف الألمانيّ أكسيل هونيث في كتابه «سياسات الاستحقار») بالواقعِين تحت الاستعمار. علاوة على ذلك، في الممارسات الأولى هنالك حالة استحضار بين الفينة والأخرى للقوى الوطنيّة ومحاولة عزلها عن المجتمع، بينما تهدف الثانية إلى استحضارها ولصق

(182) مصطفى، «المسجد الأقصى»، 158–163.

المجتمع بها. ومع ذلك وجب التنبيه أنّ هنالك ديناميكيّة دائمة بين التغييب والاستحضار، ولا تشكّل الواحدة قطيعة عن الأخرى بالضرورة. لا يحتاج المرء إلى بصر وبصيرة ليرى ويدرك أنّ اليمين في إسرائيل ومن يقف على رأسه (بنيامين نتنياهو) يتّبعون على نحوٍ مثابر، بمناسبة وبدون مناسبة، سياسةَ الاستحضار من أجل التحريض على الفلسطينيّين في إسرائيل، حتّى في أعقاب أحداث كانت في الماضي جزءًا من قوانين اللعبة غير الرسميّة بين الدولة ومواطنيها الفلسطينيّين.

وهكذا استحضر نتنياهو الفلسطينيّين في إسرائيل بقوّة في السنوات الأخيرة، طَوْرًا بالتحريض عليهم، وتارةً باستعمالهم في دعايته في المحافل الدوليّة من خلال الادّعاء أنّهم المجموعة العربيّة الوحيدة في العالم التي تحظى بالديمقراطيّة، والمساواة والحقوق المدنيّة والسياسيّة. ففي المقابلة التي أشرنا إليها سابقًا، مع قناة محلّيّة في بوسطن عام 1977 (عندما كان في الثامنة والعشرين من عمره) برّر خلالها تطلُّعه إلى ضمّ المناطق الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967، وإعطاء الفلسطينيّين فيها حقوق مواطنة، بادّعاء أنّ العرب في إسرائيل هم المجموعة العربيّة الوحيدة التي يحظى أفرادها بحقوق مدنيّة وسياسيّة كاملة في الشرق الأوسط (Ania, 2014). وكرّر نتنياهو هذه المقولة في خطابه في الكونجرس، وفي لقاءات دوليّة عديدة.

مع دخول نتنياهو الحياة السياسيّة الحزبيّة، قَرَنَ بين نزع شرعيّة حكومة رابين واعتمادها على الأحزاب العربيّة في إقرار اتّفاق أوسلو؛ فقد قال نتنياهو في إحدى المظاهرات المناوئة لاتّفاق أوسلو إنّ الاتّفاق أُقِرّ بدعم «أغلبيّة غير صهيونيّة تشمل خمسة ممثّلين للأحزاب العربيّة المتضامنة مع منظّمة التحرير الفلسطينيّة» [183]. ونزْع شرعيّة حكومة رابين في هذا السياق تحديدًا (أي توقيع اتّفاق أوسلو) اعتمد على عدم شرعيّة الأحزاب العربيّة عمومًا في التأثير على السياسات في الدولة اليهوديّة. وكانت هذه الفكرة هي أحد الأسس التي قامت عليها المسوِّغات الدينيّة والسياسيّة التي دفعت يجئال عمير إلى اغتيال رابين.

في فترة حكومته الأولى، اندلعت إحدى أهمّ المواجهات في تاريخ الفلسطينيّين في الداخل بينهم وبين قوّات الشرطة عام 1998، في أعقاب قرار الحكومة مصادرة

(183) إسحاق غال-نور ودانا بلاندر، النظام السياسي في إسرائيل، مجلد 2 (تل أبيب: عام عوفيد، 2013)، 938.

أراضٍ من منطقة الروحة التابعة لسكّان وادي عارة، وأمّ الفحم تحديدًا. وقد أدّت هذه المواجهات إلى جرح أكثر من خمسمئة فلسطينيّ، كان من بينهم طلّاب من المدرسة الثانويّة الشاملة في أمّ الفحم، الأمر الذي حمل الحكومة لاحقًا على التراجع عن قرارها في أعقاب استمرار معارضة أصحاب الأراضي والمنطقة للقرار الحكوميّ.

في خطاب نتنياهو في مؤتمر هرتسليا الرابع عام 2003، وكان آنذاك وزيرًا للماليّة في حكومة شارون، تطرّق إلى الخطر الديمچرافّي الذي يمثّله الفلسطينيّون في إسرائيل، إذ قال:

"إنّنا نواجه مشكلة ديمچرافيّة أيضًا، لكنّها غير متركّزة في عرب فلسطين بل في عرب إسرائيل. ليس لدينا أيّ نيّة للسيطرة على السكّان الفلسطينيّين، ولذا فإنّ المشكلة الديمچرافيّة لن تكون قائمة هناك عندما ينتقل هؤلاء السكّان إلى السيادة الفلسطينيّة. وقد حدّدنا في وثيقة الاستقلال أنّنا نقيم دولة يهوديّة وديمقراطيّة. هي دولة يهوديّة أوّلًا وقبل أيّ شيء، وبعد ذلك هي ديمقراطيّة. وكي لا تلغي الديمقراطيّة طابع الدولة اليهوديّ، يجب ضمان أغلبيّة يهوديّة. إنّ مسألة العلاقة بين الأغلبيّة اليهوديّة والأقلّيّة العربيّة هي قبل أيّ شيء مسألة مزدوجة، مسألة نسيج العلاقات والقدرة على دمج هذه الأقلّيّة في حياة الدولة وفي الاقتصاد والمجتمع من جهة، ومسألة العدد من جهة أخرى. وإذا اندمج السكّان العرب بصورة رائعة [في الدولة] وبلغت نسبة عددهم 35 بالمئة أو 40 بالمئة من مُجْمَل عدد سكّان الدولة، عندها ستصبح الدولة اليهوديّة ملغاة وتتحوّل إلى دولة ثنائيّة القوميّة. وإن بقيت نسبتهم على ما هي عليه الآن، أي نحو 20 بالمئة، أو حتّى أصبحت أقلّ، لكن العلاقات بقيت متّسمة بالصرامة والتحدّي والعنف وما إلى ذلك، فإنّه في هذه الحالة أيضًا سيُمَسّ ادّعاؤنا بشأن النسيج الديمقراطيّ. ولذا، نحن بحاجة إلى انتهاج سياسة توازن بين هذين الأمرين. وقبل أيّ شيء يتعيّن علينا أن نضمن أغلبيّة يهوديّة في دولة إسرائيل" [184].

(184) شلحت، بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل، 87.

لم يكن الخطاب الديمچرافيّ غريبًا عن فكر نتنياهو؛ فقد خصّص لهذه المسألة فصلًا كاملًا في كتابه «مكان تحت الشمس»، حيث أشار فيه إلى أنّ مصلحة إسرائيل كدولة يهوديّة «تشجيع زيادة حجم الأسرة اليهوديّة» إلى جانب تشجيع الهجرة اليهوديّة [185].

بعد عودته لمنصب رئاسة الحكومة، بادرت حكومته إلى حملة حثيثة من التشريعات القانونيّة والممارسات السياسيّة في المجالات كافّة (ولا سيّما التعليم والثقافة والأرض والتخطيط) في سبيل هدف واحد هو «قمع التطلّعات السياسيّة للمجتمع العربيّ في إسرائيل» على حدّ تعبير المحلّل السياسيّ لصحيفة هآرتس، ورئيس تحريرها الحاليّ، أَلوف بن [186]. فكما أنّ نتنياهو يبتغي القضاء على الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة، فإنّه يسعى إلى القضاء على التطلّعات السياسيّة للمجتمع الفلسطينيّ من خلال ضرب كلّ تعبير عن توجّهات وطنيّة فلسطينيّة، وكانت ذروة هذه العمليّة إخراج الحركة الإسلاميّة برئاسة الشيخ رائد صلاح عن القانون وملاحقة واعتقال أفرادها وقيادتها [187].

وأشار أَلوف بن إلى أنّه على الرغم من أنّ تصعيد التوتّر الداخليّ مع الفلسطينيّين في إسرائيل يقترن، على وجه العموم، بعدد من الوزراء في حكومة نتنياهو، ليس هؤلاء جميعًا أكثر من مجرّد حاملين للراية، ويختبئ وراءهم رئيس الحكومة نتنياهو، مشدِّدًا على أنّ هذا الأخير هو المبادر والمحرّك لهذه السياسة، على الرغم من أنّه يقلّل من الحديث حول الموضوع ومن التحريض ضدّ العرب. التوجّه الذي غيّره نتنياهو في فترة حكومته الحاليّة أنّه أخذ يتصدّر التحريضَ والهجوم على الفلسطينيّين في إسرائيل والتحريض على قيادتهم، بعد أن كان قَبلًا يختبئ وراء وزرائه وأعضاء حزبه الذين كانوا يتصدّرون هذا المشهد.

(185) نتنياهو، مكان تحت الشمس، 361–360.

(186) شلحت، بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل، 86.

(187) إمطانس شحادة، وأنطوان شلحت، إسرائيل: الملاحقة الأمنيّة كأداة سياسيّة: فلسطينيّو 48 بين فكّي الملاحقة الأمنيّة لرموز الوعي القوميّ وتجريم العمل السياسيّ (الناصرة: التجمّع الوطنيّ الديمقراطيّ، 2017).

وأوضح أَلوف بِن قائلًا: "نتنياهو يرى أنّ إسرائيل هي جزء لا يتجزّأ من الغرب وثقافته. وتاريخ العرب وثقافتهم ولغتهم تلك كلّها لا تثير فضوله، وهو لا يُجري حِوارًا مع قادة الأقلّيّة العربيّة أو مع مثقّفين عرب". وأضاف يقول: "وَفقًا لما هو معروف، نتنياهو لا يكره العرب ولا يتحدّث عنهم بصورة عنصريّة واستعلائيّة مثل أريئيل شارون، وإنّما يبتعد عنهم فقط". وهو أمر -كما ذكرنا- تبدّل في فترة حكومته الحاليّة.

يواجه الفلسطينيّون في إسرائيل، في العَقد الأخير، مجموعة من التحدّيات السياسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، من شأنها تحديد وُجهة وملامح مستقبل المجموعة الفلسطينيّة التي بقيت في وطنها في أعقاب النكبة الفلسطينيّة وحملت الجنسيّة الإسرائيليّة. ولعلّ أبرز هذه التحدّيات الراهنة هو سعي الحكومة الإسرائيليّة إلى تغيير "قواعد اللعبة" السياسيّة التي تبلورت منذ التسعينيّات بهدف ترسيم حيّز الحراك السياسيّ لدى الفلسطينيّين في الداخل من جديد، وتجديد سياسات الضبط والسيطرة تجاههم بما يلائم أَجِنْدة الحكم التي فرضها تصاعُد قوّة اليمين الشعبويّ والدينيّ وتعاظُم سطوة حركة الاستيطان. مع التأكيد أنّ قوانين أو قواعد اللعبة السياسيّة هذه لم تكن عادلة في شكلها وجوهرها، من المهمّ الإشارة إلى أنّ الفلسطينيّين خاضوا نضالًا سياسيًّا ومدنيًّا لتوسيع مجال العمل السياسيّ، وتحرّكوا ضمن قوانين اللعبة لمواجهة السياسات الإسرائيليّة الرامية إلى تضييق هذا المجال ونزع الشرعيّة عن شخوصه وأهدافه.

وفي ذات السياق، تسعى الحكومة الإسرائيليّة إلى النَّيْل من الإنجازات التي حقّقها الفلسطينيّون في العقود الأخيرة، ولا سيّما في ما يتعلّق بمَأْسسة وتكريس إجماع فلسطينيّ حول تحدّي طابع الحركة الصهيونيّة وجوهر الدولة اليهوديّة القائمَيْن على التوسّع والمحو والفوقيّة، وفي هذا السياق يندرج تشريع قانون القوميّة في تموز 2018. حول هدف قانون القوميّة، يقول عزمي بشارة في مقاله «قَوْمَنة اليهوديّة بعد تطييف العروبة»:

«ومع أنّه ورد في ما يسمّى ‹إعلان الاستقلال›، جاء حذف لفظ المساواة من الاقتراح، تأكيدًا للتناقض بين هذه القيمة، من جهة، والطبيعة الاستعماريّة للكيان هذا وتحديده كدولة يهوديّة، من جهة أخرى. [...] يؤكّد اقتراح القانون أنّه لا توجد حقوق قوميّة لغير اليهود في إسرائيل، وهو الذي عبّرنا عنه في شرحنا مطالب

العرب في الداخل بحقوق قوميّة، وليس مدنيّة فقط. كما يعترف ضمنًا باستحالة المساواة، وذلك بتغييبها من اقتراح القانون. وهي القيمة التي تشدّقت بها وثيقة الاستقلال، حينما كانت إسرائيل، في بداياتها، تبحث عن قبول دوليّ بعد احتلال الأرض، وتشريد أغلبيّة سكّانها الأصليّين، وهو ما اصطلح الفلسطينيّون على تسميته النكبة. لم تعد ثمّة حاجة إلى فضح التناقض بين إسرائيل وديمقراطيّاتها، ولا تَعارُضها مع المساواة، فكرًا وممارسة، إذ إنّها تصرّح بذلك بلا مواربة، بل تتبنّاه دستوريًّا» (بشارة، 2014).

من خلال هذا القانون وقوانين وممارسات أخرى، تحاول الحكومة الإسرائيليّة حسم مكانة الفلسطينيّين في إسرائيل عبْر سلسلة من الخطوات المتراكمة والسريعة والحثيثة التي ترمي إلى خفض سقف العمل السياسيّ إلى أدنى مستوى، وضرب الخطاب السياسيّ المناهض للسياسات الكولونياليّة الإسرائيليّة عبْر اعتماد تصنيفات استعماريّة على غرار المعتدل والمتطرّف، والقيادة المحلّيّة والقيادة الوطنيّة، والخطاب المدنيّ والخطاب الوطنيّ، وكأنّ الخطابين على طرفَيْ نقيض وفي حالة تصارع أو توتّر. علاوة على ذلك، لجأت الحكومة الإسرائيليّة إلى الملاحقة السياسيّة ونزع الشرعيّة القانونيّة عن حركات ومؤسّسات وقيادات سياسيّة فلسطينيّة، ولعلّ قرار حظر الحركة الإسلاميّة هو أوضح مؤشّر على هذا التوجّه.

الفصـــــــل الخامس
نتنياهو وطوفان الأقصى و"الانتصار المطلق"

عملية طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر 2023، التي نفذتها كتائب عز الدين القسام التابعة لحركة حماس، كانت حدثًا مُزلزِلًا ليس في إسرائيل فقط، بل في شخصيّة نتنياهو أيضًا. كسر هذا الحدث شخصيةَ نتنياهو النفسيّة، وتصوراته عن نفسه، وعن الآخرين، وعن سياساته التي اتبعها قبل ذلك. نقل الحدث نتنياهو من مربع الرجل الذي كان يعتقد أنه قادر على إدارة التهديدات، واقتناص الفرص منها، وكان يتجنب الحسم، ويبتعد أو يخاف من المواجهة العسكريّة المتواصلة قدر المستطاع، إلى رجل متوحش لا يرى إلا الخيار العسكريّ حلًّا لكل التهديدات والتحدّيات، فمنذ أكتوبر 2023 وضع نتنياهو إسرائيل في حالة حرب مستمرة لا تنتهي، تنتقل فيها من جبهة لأخرى ثم يعود لها من جديد، رافضًا التفكير بلحظة نهاية لحالة الحرب. كان نتنياهو أول رئيس حكومة في إسرائيل يُتهم بجرائم حرب، ومطلوبًا لمحكمة الجنايات الدوليّة بتهم جرائم ضد الإنسانيّة في غزة. وأول رئيس حكومة ينقل المشروع الاستعماريّ الاستيطانيّ الصهيونيّ من مربع التهجير والتطهير العرقيّ إلى مربع الإبادة الجماعيّة. ومن المحو من خلال التهجير للمحو من خلال القتل الجماعيّ.

عاش نتنياهو على حلم تاريخيّ بأنه القائد اليهوديّ الوحيد الذي يملك القدرة على رؤية الكارثة قبل حدوثها، ومنعها في الوقت المناسب. وكما يشير الباحث الإسرائيليّ شاؤول أرييلي: «بقاء نتنياهو السياسيّ يعتمد على تعظيم عدو وجوديّ دائم ومطلق (مثل حماس وإيران). هو بحاجة لذلك للادعاء بأهميته كدرع وحيد لإسرائيل. وإذا تم تأطير الواقع كمركب أو يتطلب تسويّة، فإن الحاجة المطلقة له كقائد سوف تتصدع، وهذا التصدع يتم عرضه وتصوره كمسّ ببقاء الشعب اليهودي»[188].

(188) شاؤول أييلي، تصريحات النظام عن الانتصار المطلق تنتج دائرة سحرية عنيفة. ممنوع تصديق ذلك. هآرتس (بالعبرية)، 9/4/2026: https://shorturl.at/HPj7o

لم ير نتنياهو كارثة طوفان الأقصى ولم يمنع حدوثها. يعيش نتنياهو منذ تلك اللحظة في حالة نُكران لمسؤوليته عن الكارثة فهي تشوّش تصوُّره عن ذاته ودوره في منع الكارثة، لذلك يُعارض تشكيل لجنة تحقيق رسميّة لأحداث السابع من أكتوبر بذريعة عدم ثقة الجمهور الإسرائيليّ بنزاهة لجنة يرأسها قاضي محكمة عليا كما نصّ عليه قانون لجان التحقيق من عام 1969. ورافق نُكرانه حالةٌ من التوحُّش ولهاثٌ على حسم الملفّات والتهديدات بمقاربة عسكريّة فقط. طوّر نتنياهو آليات نُكران متعدّدة، بدءًا باتهام الجيش والمخابرات بالفشل في السابع من أكتوبر، ووصلت حدّة الاتهام بعدم إيقاظه من النوم صباح الهجوم، ولو استفاق باكرًا لأنقذ إسرائيل، ومن تفاصيل صغيرة للنكران مثل عدم إيقاظه صباحًا، حتى توجيه الاتهام لخطة أريئيل شارون بالانسحاب من غزة، والذهاب عميقًا في التاريخ لاتفاق أوسلو كسبب لطوفان الأقصى. وعودة إلى الحاضر باتهام المظاهرات ضد التغييرات الدستوريّة عام 2023 التي رافقها دعوات لرفض الخدمة الطوعيّة والاحتياط في الجيش. ودفع نتنياهو لتغيير مسمى الحرب على غزة من «السيوف الحديديّة» إلى حرب «النهضة» أو «القيامة» («تكوما» بالعبريّة)، لربطها بحرب استقلال إسرائيل عام 1948، فالحرب هي لحظة استقلال جديدة، وليست ردًّا على كارثة، ونتنياهو هو قائد حرب استقلال إسرائيل الجديدة ضد «حلقة النار» المحيطة بإسرائيل، وإيران التي تريد إبادتها، كما أن الجيوش العربية أرادت رميَ اليهود في البحر عام 1948 حسب الذاكرة الجمعيّة الإسرائيليّة.

يتناقض تفكيره من التصور الإسرائيليّ الإستراتيجيّ، الذي يعتبر الحروب أداة لإدارة التهديد لا حسمه. كانت حروب إسرائيل تنطلق من تصوُّر أنها أداة فاعلة لتسويات سياسيّة، مثل التوقيع على اتفاقيّات وقف النار، أو اتفاقيات لإنهاء العداء، وحتى الوصول لاتفاقيات سلام، لم تحسم حربٌ إسرائيليّة تهديدًا على إسرائيل من خلال العمل العسكريّ فقط.

تبنى نتنياهو منذ طوفان الأقصى نهجًا مختلفًا، نابعًا من أزمته النفسيّة والتاريخيّة، فهو يبحث عن الحدث الذي يشطب فيه إخفاقه في السابع من أكتوبر، ويكون البداية والنهاية في إعادة إنتاج موقعه في الذاكرة الإسرائيليّة والتاريخ اليهوديّ. لذلك فخلط الجبهات مع بعضها البعض في مواجهة واحدة هو لتقزيم السابع من أكتوبر داخل الحدث الكبير الذي يريده نتنياهو (تغيير الشرق الأوسط).

وراهن نتنياهو على حربيه على إيران في حزيران 2025 وفبراير 2026 لشطب ذاكرة الإسرائيليين حول كارثة السابع من أكتوبر.

غزّة في تصوُّرات نتنياهو

في انتخابات 2006، التي خاضها الليكود بعد الانشقاق الكبير داخله، وفوز حماس في الانتخابات الفلسطينيّة، خرج الليكود بشعار انتخابيّ جديد: «قوي أمام حماس – بنيامين نتنياهو». اعتقد نتنياهو أن خطة شارون للانسحاب من قطاع غزة، وفوز حماس في الانتخابات، هي فرصة لإنقاذ الليكود من وضعه الانتخابيّ المتردّي أمام حزب «كاديما»، لم يسعفه هذا الشعار وتطوُّر الحالة الفلسطينيّة بسبب فوز حماس في الانتخابات من تحسين مكانته السياسيّة، فحصل الليكود على 12 مقعدًا وتحوَّل إلى حزب معارضة صغير.

في حملته الانتخابيّة عام 2009، وعد نتنياهو بأنه إذا فاز في الانتخابات، سيعمل على إسقاط حكم حماس في قطاع غزة، وأنه لن يوقف الجيش الإسرائيليّ حتى إسقاط حكم حماس في غزة[189]. جاء هذا التصريح كهجوم على حكومة إيهود أولمرت بسبب وقف عملية «الرصاص المصبوب» العسكريّة في غزة (27 كانون الأول 2008 – 18 كانون الثاني 2009)، مشيرًا أنه كان يجب الاستمرار بالعملية لإسقاط حكم حماس. جاء تصريح نتنياهو في فبراير 2009 أسابيع قليلة بعد نهاية العمليّة العسكريّة، وأسبوع قبل الانتخابات. في هذه الفترة كانت حركة حماس قد سيطرت على قطاع غزة عام 2007، وبدأ الانقسام الفلسطينيّ السياسيّ–الجغرافيّ بين غزة والضفة الغربيّة.

نجح نتنياهو بتشكيل الحكومة عام 2009، وكانت أول مواجهة عسكريّة له ضد حماس في عام 2012 (عملية عمود السحاب)، استمرت المُواجهة مدة 8 أيام (14 تشرين الثاني21– تشرين الثاني)، بدأت العملية العسكريّة باغتيال أحمد الجعبري قائد كتائب القسام، ولكن نتنياهو أوقف الحرب بعد أسبوع من بدء المعركة، مخالفًا تعهده بالقضاء على حكم حماس ومنح الجيش الحريّة لإكمال العمليّة العسكريّة. كان الادّعاء اليمينيّ يبرر ذلك بالتغيرات السياسيّة في مصر، وفوز

(189) نتنياهو في 2009: لن نوقف الجيش الإسرائيلي في غزة، ynet (بالعبرية)، 20 //112012: https://shorturl.at/nHAB0

مرشح الإخوان المسلمين، الدكتور محمد مرسي في الانتخابات الرئاسيّة، وموقفه الصارم ضد الحرب، والتخوف من مواجهة من الجانب المصريّ.

في أكتوبر عام 2011، وافق نتنياهو على «صفقة شاليط» مع حركة حماس. في حزيران 2006 أسرت حركة حماس الجندي غلعاد شاليط، واشترطت إطلاق سراحه بالإفراج عن مئات الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيليّة. رضخ نتنياهو للضغط الشعبي ووافق على عملية تبادل الأسرى، أطلقت إسرائيل بموجبها سراح 1027 أسيرًا فلسطينيًّا، وأهمُّهم يحيى السنوار، وروحي مشتهى الذين عادوا وساهموا في بناء قوة حركة حماس العسكريّة التي نفذت بقيادة السنوار في غزة عملية طوفان الأقصى. للتذكير في أيلول 1997، صادق نتنياهو على عمليّة اغتيال خالد مشعل، رئيس المكتب السياسيّ في حركة حماس آنذاك، في العاصمة الأردنيّة عمان، وبعد فشل العمليّة، ولتجاوز الأزمة مع الأردن، أطلقت إسرائيل سراح الشيخ أحمد ياسين رئيس الحركة وحوالي 70 أسيرًا فلسطينيًّا، مقابل تمكين عملاء الموساد من الخروج بأمان من السفارة الإسرائيليّة في عمان، وإرضاءً للملك الأردنيّ حسين بن طلال.

وجاءت المواجهة الثانية، وهي الأصعب والأطول قبل طوفان الأقصى، في الحرب على غزة عام 2014 (عمليّة الجرف الصامد)، وجرت العمليّة بعد صعود عبد الفتاح السيسي للحكم، وردمه لجميع الأنفاق بين القطاع ومصر، ومع ذلك لم تغير الحالة المصريّة من سعي نتنياهو لإسقاط حكم حماس. استمرت العملية حوالي 59 يومًا (8 تموز26- أغسطس). حدّد نتنياهو هدف الحرب في إعادة الأمن والهدوء لسكان إسرائيل عمومًا وسكان الجنوب خصوصًا[190]. وفي هذه العمليّة الطويلة لم يضع نتنياهو إسقاط حماس كهدف للعمليّة العسكريّة الطويلة مع غزة[191].

(190) بوعز غانور، سياسة إسرائيل في عملية الجرف الصامد: حسم؟ ردع؟ تسوية؟ استنزاف؟ (هرتسليا: المعهد الدولي لمكافحة الإرهاب، 2014)

(191) للمزيد عن عملية الجرف الصامد، انظر: عنات كورتس وشلومو بروم (محرران). الجرف الصامد: التداعيات والدروس. تل أبيب: معهد دراسات الأمن القومي، 2014. (بالعبرية).

في حملته الانتخابية عام 2015، عرض الليكود فيديو انتخابيًّا دعائيًّا يعرض فيه مقاتلين في مركبات رباعيّة الدفع، يقتحمون الحدود الإسرائيليّة، ويسألون أحد المارة أين الطريق لإسرائيل، فيقول لهم «خذ اليسار»، كدلالة أن صعود اليسار للحكم سيُؤدي إلى غزو جهاديّ لداخل إسرائيل. في العام 2017. في خطاب له في الكنيست عرض نتنياهو مخططًا لحركة حماس قائلًا: «الخطة العملية لحماس هي هجوم متعدد الأذرع، أولًا هجوم جوي، أيّ هجوم صاروخي بآلاف الصواريخ على مدن إسرائيل، بالتوازي مع هجوم عن طريق البحر من خلال اقتحامات كومندوز بحري، ومن الجو من خلال طائرات شراعية، ومن البر من خلال التسلل عبر عشرات الأنفاق التي حفروها، جزء منها أصبح يخترق أرضنا، ومن خلال القوات الخاصة التي دربوها، مع قوات بحجم كتيبة من أجل الخطف والقتل في البلدات والقواعد العسكريّة، وأخذهم لأرضهم، هنالك 30 ألف رجل يريدون إبادتنا، وهم يجهّزون أنفسهم لذلك كل الوقت»[192].

في مذكّراته الصادرة عام 2022، يعترف نتنياهو أنه عارض احتلال قطاع غزة في الحرب عام 2014، على الرغم من مطالبة نفتالي بينيت وأفيغدور ليبرمان بذلك. وكان تخوُّف نتنياهو من خسائر كبيرة في صفوف الجنود الإسرائيليين والمدنيين الفلسطينيين. ويكتب نتنياهو:

«دعم بينيت بشكل علنيّ لعمليّة بريّة واسعة من أجل احتلال غزة، هذا الهدف كان سيؤدي إلى تدمير أجزاء واسعة من غزة، والكثير من القتلى في صفوف المدنيين. وبعد أن تقضي إسرائيل على حكم حماس ستضطر لحكم مليونين من الغزّيّين لفترة غير معلومة. لم يكن لديّ أيّ نيّة لفعل ذلك، لا سيّما أن اهتماميّ كان منصبًّا على موضوع النووي الإيرانيّ، الذي هدّد وجودنا»[193].

ويضيف نتنياهو: «كنت على قناعة أن ثمن حياة الناس والموارد لا تُبرر عملية كهذه، كان لديّ انطباع أن كل أعضاء المجلس الوزاريّ المصغر وافقوا معي، ولكن تخوّفوا من قول ذلك علنًا[...]، وقرّرت ضد العملية البريّة لاحتلال غزة». ويضيف حول موضوع الأنفاق: «ادّعى بينت أن المبادرة لتدمير الأنفاق الإرهابيّة جاءت منه شخصيًّا، وذلك على الرغم من أن الجيش الإسرائيليّ تحضّر لهذه

(192) سامي بيرتس، ليس الانفصال بل المنفصلون في اليمين من جلبوا علينا 7 أكتوبر، هآرتس، 6/8/2025، ص: 2.

(193) نتنياهو، سيرتي الذاتية، 466.

المهمة قبل الحرب، وعلى الرغم أنني انشغلت لسنوات بتطوير وسائل تكنولوجية لتدميرها». وأخيرًا يصل نتنياهو إلى نتيجة أن «عملية الجرف الصامد عزّزت من أمن إسرائيل»[194].

نعتقد أن عملية الجرف الصامد كانت نهاية فكرة إنهاء حكم حماس، واستبدالها بسياسة احتواء حكم حماس في غزة. تحولت هذه السياسة إلى إستراتيجيّة نتنياهو في التعامل مع قطاع غزة، ومنظومة الفكر التي تأثرت بها المؤسسة العسكريّة والأمنيّة[195]. من الناحية الأمنيّة انطلقت هذه الإستراتيجيّة من فكرة أنه يمكن ردع حركة حماس من خلال تنفيذ عمليات عسكريّة محدودة في غزة كل بضعة أعوام، وساد الاعتقاد أن حالة السلطة التي انغمست بها حماس في غزة ستمنعها من تنفيذ عملية واسعة ضد إسرائيل والمخاطرة بحكمها أو الإنجازات التي حقّقتْها. على المستوى السياسيّ انطلقت هذه المنظومة من تكريس حالة الانقسام بإبقاء حماس في السلطة بغزة، والسلطة الفلسطينيّة في الضفة الغربيّة مع إضعافهما كلما تتسنى الظروف، بعمليات عسكريّة في غزة، وضغط اقتصاديّ وسياسيّ في الضفة الغربية[196]. وكشفت حرب الإبادة في غزة، أن هذه المنظومة انطلقت من فهم إسرائيليّ بصعوبة تفكيك حكم حماس وسلاحها بعمليّة عسكريّة، والتي تحتاج لسنوات، وبدون ذريعة قوية كعملية طوفان الأقصى كان من الصعوبة على إسرائيل تنفيذ عملية بريّة طويلة ومُكلفة، تضمن دعم العالم لها وقدرة الإسرائيليين على تحمُّل خسائرها. ويستعرض المؤرخ الإسرائيليّ، آدم راز، في كتابه «الطريق إلى السابع من أكتوبر» سياسة نتنياهو نحو قطاع غزة، والتي تهدف إلى إضعاف السلطة الفلسطينيّة، ومنع أي تسويّة سياسيّة معها، كما أنه عارض أي مصالحة بين فتح وحماس من خلال وضع العراقيل على حكومة الوحدة الوطنية عام 2014، والادعاء أنه لا تسوية مع السلطة الفلسطينيّة بوجود حركة حماس، ويصل راز إلى نتيجة أن سياسة نتنياهو تجاه قطاع غزة، ومجمل القضية الفلسطينيّة برفضه أي تسوية سياسيّة أدت إلى السابع من أكتوبر[197].

(194)المصدر السابق،470.

(195) عاطف أبو سيف ومهند مصطفى. ما بعد الحرب على غزة: قراءة في التصورات الإسرائيلية. رام الله: مدار: المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014.

(196) آدم راز، الطريق إلى السابع من أكتوبر: بنيامين نتنياهو، تكريس الصراع والتدهور الأخلاقي لإسرائيل (حيفا: دار برديس للنشر، 2024). (بالعبرية).

(197) المصدر السابق،

يتّكئ كلٌّ من التصوُّر الأمنيّ والسياسيّ على أنه لا يُمكن إسقاط حكم حماس عسكريًا، لذلك فمن الأفضل الاستفادة من الوضع القائم وإدارة الصراع مع الفلسطينيين بما يخدم مصالح اليمين الإسرائيلي الحاكم من عام 2009. اعتبر أوري بار يوسف، أستاذ العلوم السياسيّة في جامعة حيفا، والذي درس الحروب الإسرائيليّة، والأمن القوميّ الإسرائيليّ، أن التصور الذي وضعه نتنياهو للأمن القوميّ الإسرائيليّ فيما يتعلق بالقضيّة الفلسطينيّة، انهار بعد عملية طوفان الأقصى، وأن إستراتيجيّة الأمن القومي الإسرائيليّ عليها أن تشمل تسويةً تاريخيّةً مع الفلسطينيين على أساس حل الدولتين[198].

وجد اليمين الإسرائيلي في الانقسام الفلسطينيّ فرصة أيديولوجية لمنع حل الدولتين، واعتبر أن بقاء حكم حماس في غزة «كنز إستراتيجيّ» بتعبير بتسلئيل سموطريتش، وذلك لإضعاف السلطة الفلسطينيّة ونزع شرعيتها كممثلة للشعب الفلسطينيّ، والادعاء أنه لا فرق بين السلطة الفلسطينيّة وحماس، فكلاهما يريدان إبادة دولة إسرائيل بتعبير نتنياهو ولكن إستراتيجيّتهم مختلفة لتحقيق ذلك. يوثق المؤرخ الإسرائيلي آدم راز بناء هذه المنظومة خلال سنوات حكم نتنياهو وتحديدًا منذ عام 2013[199]. ونعتقد أنه منذ العام 2014، والتي شهدت نهاية جهود وزير الخارجيّة الأمريكيّ جون كيري في عهد براك أوباما، التقدم بتسويّة سياسيّة بين السلطة الفلسطينيّة وإسرائيل، والتي انتهت بانتهاك إسرائيل تعهدها بإطلاق سراح دفعة من الأسرى الفلسطينيين، وتراجع الإدارة الأمريكيّة عن لعب دور في الملف الفلسطينيّ، حينها بدأ نتنياهو بتبني إستراتيجيّة لتهميش القضية الفلسطينيّة معتمدًا على الانقسام الفلسطينيّ.

طوفان الأقصى: لحظة وجوديّة لإسرائيل ونتنياهو

يعتبر الكثير من الإسرائيليين أن عملية طوفان الأقصى أعادت إسرائيل والإسرائيليّين إلى اللحظة التأسيسيّة الأولى عام 1948. وبناءً على ذلك جاء اقتراح رئيس الحكومة الإسرائيليّ، بنيامين نتنياهو، في المطالبة بتغيير اسم الحرب من «السيوف الحديديّة» إلى «حرب النهضة/القيامة»، وهي واحدة من التسميات التي

(198) أوري بار-يوسف، ما وراء الجدار الحديدي: ما ينقص في التصور الأمني لإسرائيل (تل أبيب: كنيرت-زمورا-دبير، 2024). (بالعبرية).

(199) المصدر السابق،

أطلقت على «حرب الاستقلال» الإسرائيليّة (النكبة الفلسطينيّة) عام 1948. لا يخلو هذا المطلب من تحقيق مكاسب سياسيّة وشخصيّة، ومحاولة نتنياهو إخفاء إخفاقه في السابع من أكتوبر، ولكنها أيضًا تُعبّر عن المزاج العام الإسرائيليّ الذي يعتبر أن إسرائيل تخوض حربًا وجوديّة، وموجودة في لحظة تأسيسيّة جديدة[200].

حدثت عملية طوفان الأقصى بسبب التدبير والتنظيم والاستعداد لدى كتائب القسام، وخرجت عملية عسكريّة ناجحة استطاعت اختراق التحصينات الإسرائيليّة، وتدمير فرقة غزة، والسيطرة لعدة أيام على غلاف غزة، وخداع إسرائيل بامتناع حماس عن المشاركة في العمليات العسكريّة التي نفذها الجيش الإسرائيليّ ضد حركة الجهاد الإسلاميّ قبل أكتوبر 2023، والتي عزّزت منظومة الفكر الإسرائيليّة أن حماس ارتهنت لحالة السلطة والحكم، وتريد الهدوء وتثبيت حكمها لغزة. في المقابل، يجب إضافة عامل آخر جوهريّ في نجاح عملية طوفان الأقصى، وهو العامل الفكريّ، حيث تغلغلت منظومة فكر اليمين ونتنياهو شخصيًّا في مفاصل تفكير الدولة المختلفة، من مؤسسات بحثيّة وإعلاميّة، وأجهزة أمنيّة، وتصورات سياسية لدرجة أنه أعماها عن ما تحضّر له حماس في السابع من أكتوبر، فالهيمنة الأيديولوجيّة المغرورة والاستعلائيّة لنتنياهو وأحلام اليمين بتهميش القضية الفلسطينيّة، أعمت إسرائيل عن رؤية الواقع والحقائق، وعندما تكون هذه المنظومة الفكريّة تحكم إسرائيل لمدة 15 عامًا بشكل متواصل (2009–2023)، فإن إسرائيل غرقت في أوهام أيديولوجيّة انفجرت بوجهها في أكتوبر 2023.

أسبوعين قبل عملية طوفان الأقصى (22 أيلول 2023)، خطب نتنياهو في الجمعيّة العامة للأمم المتحدة، وأشار إلى أن توجهه نحو السلام والتطبيع مع العالم العربيّ كسر المعادلة التاريخيّة التي سادت، وأن تطبيع العالم العربيّ مع إسرائيل يمر من خلال حل القضية الفلسطينيّة، وأن الفلسطينيين الذين يُشكلون 2% من العرب يعتقدون أنهم يستطيعون وقف مشروعه في التطبيع، مُبشِّرًا باقتراب التطبيع مع السعوديّة. بغض النظر عن الأكاذيب في خطابه، كما في جميع خطاباته عمومًا، وفي الأمم المتحدة خصوصًا، فإن نتنياهو ظهر مغرورًا مستعليًا،

(200) آري شبيط، حرب وجودية: من الكارثة إلى الانتصار والنهضة (ريشون لتسيون: يديعوت سِفاريم، 2024).

واثقًا أنه همّش الموضوع الفلسطينيّ، فالتطبيع مع السعوديّة سيفتح أبواب السلام مع جميع الدول العربية، تاركين الفلسطينيين وحدهم، مشيرًا أن هذه هي الطريقة الوحيدة للسلام مع الفلسطينيين، دون أن يذكر حقوق الفلسطينيين الوطنيّة وحق تقرير المصير لهم، أي سلام مع المجموعة الفلسطينيّة قائم على الاعتراف الفلسطيني بيهوديّة الدولة وحق اليهود على «أرض إسرائيل»، دون ذكر اعترافه بحق الفلسطينيين بدولة مستقلة[201].

تفاخر نتنياهو في سيرته الذاتية أنه كان صاحب إستراتيجيّة التطبيع مع الدول العربيّة دون حل القضيّة الفلسطينيّة. ولا يخلو تفاخره من نظرة استعلائيّة على العرب، حيث اعتبر أن التكنولوجيا الإسرائيليّة قادرة على تحديث العالم العربيّ، لو يوقعون اتفاقيات تطبيع مع إسرائيل ويعترفون بحق إسرائيل في الوجود[202]. وفي أعقاب سرده لدعايته عن النضال الفلسطينيّ الذي ذكره سابقًا في كتابه «مكان تحت الشمس»، يكتب نتنياهو: «هذا التحليل قادني لنتيجة بعيدة المدى. الطريق لسلام شامل بين إسرائيل والعالم العربيّ لا يمر من طريق المقاطعة في رام اللّه، وإنما يتجاوزها»[203]. ولكنه يوضح أنه من أجل ضمان مستقبل إسرائيل وتحقيق سلام مع الدول العربية في سياق شرق أوسط مضطرب، «فإن السلام يجب أن يعتمد على قوتنا العسكريّة وقوة ردعنا»[204].

يُعتَبَر هذا النهجُ جزءًا من المنظومة الفكريّة التي سادت إسرائيل عشية طوفان الأقصى، وتندرج مع سياسة تكريس الانقسام الفلسطينيّ، والتي أسهمت في العمى السياسيّ والفكريّ الإسرائيليّ في رؤية الكارثة القادمة، وذلك على الرغم من تكشُّف معلومات أن معالم فكرة عملية طوفان الأقصى وصلت للأجهزة الأمنيّة الإسرائيلية ولم تصدّقها.

(201) بنيامين نتنياهو، خطاب رئيس وزراء إسرائيل أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، الأمم المتحدة، 27 /09/ 2024. https://2u.pw/wfrrNm

(202) نتنياهو، قصة حياتي، 230.

(203) المصدر السابق،

(204) المصدر السابق، 231.

في خطابه في الأمم المتحدة المذكور آنفًا، عرض نتنياهو خريطة «الشرق الأوسط الجديد»، يُظهر باللون الأخضر جغرافية الدول التي تطبع مع إسرائيل، تشمل السعوديّة، مقابل المحور الإيرانيّ. اعتقد نتنياهو أن تغيير الشرق الأوسط يكون من خلال اتفاقيات التطبيع متجاوزًا القضيّة الفلسطينيّة، مبشرًا بالتكنولوجيا الإسرائيليّة، وإنجازات إسرائيل الاقتصاديّة، وقوة ردع إسرائيل، وحصانتها الأمنيّة والعسكريّة. بعد طوفان الأقصى، عاد نتنياهو يتحدث عن تغيير الشرق الأوسط، وهذه المرة بالقوة العسكرية الباطِشة، من خلال استمرار حالة الحرب، والضربات العسكريّة المتواصلة.

لم يكن خطاب «سبارطة» الذي ألقاه نتنياهو في 15 أيلول 2025 خطأ في التعبير، بل كان مقصودًا وواعيًا بذاته. على إسرائيل أن تكون «أثينا وسوبر-سبارطة»، أي أن بناء استقلالها في إنتاج السلاح عن الدول الأخرى، وتعتمد على نفسها في هذا الشأن[205]. وهذا يتطلب من جملة الأمور زيادة الإنفاق العسكريّ خلال عشر سنوات بمبلغ يصل إلى حوالي 10 مليارات دولار. لم يتوقف نتنياهو في «خطاب سبارطة» على جانب التسلح فقط، بل أشار أنه على ضوء تصاعد المقاطعة الاقتصاديّة، فعلى إسرائيل أن تتحول إلى «اقتصاد أوتوقراطيّ»[206]، وهو اقتصاد يتميز بالسيطرة المركزيّة على الاقتصاد، ويُدار من طرف نُخبة صغيرة في الدولة، وهو عمليًا عودة إلى ما يشبه حال الاقتصاد الإسرائيليّ حتى سنوات الثمانينيّات،

حذّر بن غوريون من تحويل إسرائيل إلى سبارطة، في أعقاب العدوان الثلاثي على مصر عام 1956، والانتصار العسكريّ الإسرائيليّ باحتلال غزة وسيناء، قائلًا: «ليس هدف إسرائيل أن تكون سبارطة جديدة، قوتنا وقدراتنا تظهر في مصانع الإنتاج، باستيعاب المهاجرين، بالارتقاء بالإنسان والمجتمع، وهكذا سنكون نموذجًا حيًّا لليهود والعالم كله».

(205) أفرايم غنور، «خطاب سبارطة»: نتنياهو دفع الجميع للتوجس- وهذا جزء من خطته، معاريف، 18/9/2025، انظر الرابط: https://2u.pw/LsJq2N

(206) بنيامين نتنياهو، «خطاب سبارطة»، مؤتمر المحاسبين العامين، القدس، 15 /09 2025، https://shorturl.at/viJJh

جدول (1) موازنة الأمن في إسرائيل: 1993–2026 [207]

العام	موازنة الأمن (مليارات الشواكل)	النسبة (%) من الناتج المحليّ
1993	18.5	9.2
2003	47.3	7.9
2013	57.9	5.4
2023	98.7	5.5
2026	143	5%

يعتبر نتنياهو أن القوة تصنع الأخيار، والهزيمة تصنع الأشرار، فالقوة تجعلك على حق، والهزيمة تجعلك على باطل. يُكثر نتنياهو في خطاباته مقولة الحرب بين العالم الحر والبربريّة، جملة باتت فرض عين في كل خطاب يلقيه نتنياهو ليبرر حروبه على الآخر- العربيّ والمسلم. في بيان له حول الحرب على إيران يوم 19 آذار 2026، استحضر نتنياهو مقولة للمؤرخ الأمريكيّ الشعبي، ويل دورانت، أن «المسيح ليس أفضل من جنكيز خان»، وبررها بأن الخير يحتاج للقوة لينتصر. ولكن الاقتباس الكامل هو من كتاب لويل دورانت وأرييل دورانت بعنوان «دروس من التاريخ»- مأخوذ من فصل الدين والتاريخ، يحمل في طياته مقولة أخرى يؤمن بها نتنياهو، الاقتباس الدقيق من الكتاب هو: «الطبيعة والتاريخ لا تتناسق مع معتقداتنا حول الخير والشر، فهي تُعرف الخير لمن يبقى، والشر لمن يخسر، في الكون لا يوجد أفضلية للمسيح على جنكيز خان»[208]. هذا الاقتباس هو بالضبط ما يعبر عن نتنياهو، توجه القوة والغطرسة، والتي تعني أن القوة تصنع الحق، والضعف يجعل صاحبه باطلًا، بدون أي اعتبارات للقيم والأخلاق.

(207) الكنيست الإسرائيلي، موازنة الدولة بالأرقام: موازنة الدولة 2026، 2026. (main.knesset.gov.il)

(208) Will Durant and Ariel Durant, The Lessons of History (New York: Simon and Schuster, 1968), 43.

أثارت الحرب من جديد مسألة العقيدة الأمنية والعسكرية الإسرائيلية، التي اعتمدت على العقيدة البن-غوريونية (نسبة لرئيس الحكومة الأول دافيد بن غوريون)، التي انطلقت من خوض حروب قصيرة، من أجل تجنيب المجتمع والاقتصاد خسائر كبيرة لا تستطيع إسرائيل تحملها، لذلك فعلى إسرائيل السعي نحو حروب قصيرة، تحسمها سريعًا من خلال تحقيق أهداف الحرب التي وضعتها[209].

تشير الحرب في غزة، إلى أن الحكومة تبنت عقيدة أمنيّة جديدة، قريبة للتصور العسكريّ الذي وضعه الجنرال السابق يعقوب عميدرور[210]، الذي شغل سابقًا منصب مستشار نتنياهو للأمن القوميّ، ويعتبر تبني هذه العقيدة تحوّلًا في التفكير العسكريّ الإسرائيليّ في حرب غزة ولبنان، حيث كتب حينها عميدرور:

«في الماضي كان مقبولا التفكير أن على إسرائيل العمل على تقليل مدة الحروب، وذلك لمنع أي ضرر للاقتصاد، وتحرير الاحتياط. هنالك حاجة للتفكير بهذا الأمر من جديد. اليوم إسرائيل هي «الجانب الثقيل» في المواجهة أمام التنظيمات. يوجد لديها [عُمق] لوجستيّ، وقدرة على الاستمراريّة، وحتى قدرة على تكثيف العمل العسكريّ لمدة زمنية طويلة- وهما أفضليتين لا تملكهما التنظيمات التي تواجهها. صحيح أن إطالة الحرب قد تؤدي لاستمرار القصف على الجبهة الداخليّة الإسرائيليّة، ولكن في الحساب العام، فإن الوضع الحالي الذي فيه حرب طويلة بالذات، سيؤدي إلى تدمير منهجيّ لقدرات الخصم وبنيته التحتيّة، وهو [الوضع] المفضل لإسرائيل»[211].

ينطلق تصوُّر عميدرور من أفضليّة إطالة الحرب وتحمل الهجمات على الجبهة الداخليّة، وذلك على عكس التصور التقليديّ الذي يفترض تقصير الحروب خوفًا من تزعزع المناعة الداخليّة للجبهة المدنيّة. فحسب تصور عميدرور، فإن إطالة الحرب يُفقد الخصوم من التنظيمات المسلحة القدرة على الاستمرار في الحرب،

(209)غادي أيزنكوت وغابي سفيوني، خطوط عريضة لتصور الأمن لإسرائيل، مذكرة رقم 196 (تل أبيب: المعهد الإسرائيلي لدراسات الأمن القومي، 2019)

(210) يعقوب عميدرور، تصور الأمن القومي لدولة إسرائيل (مركز دادو، تشرين الأول/أكتوبر 2020) ، https://2u.pw/e6Uck4

(211) المصدر السابق.

لقيود تتعلق بقدراتها اللوجستيّة، والقدرة على الاستمراريّة في ظل كثافة الحرب عليها، لذلك فإن إطالة الحرب يصب بالذات في صالح إسرائيل وليس لصالح التنظيمات العسكريّة. وهو فعلًا ما حدث في الحرب على غزة ولاحقًا في لبنان.

بناء على العقيدة العسكريّة الجديدة، فإن إسرائيل مستعدة لخوض حرب طويلة، بدون حساسيّة للخسائر، ولا لمصير للأسرى الإسرائيليين.

لا ينحصر الاختلاف بين العقيدة الجديدة والتقليديّة في الجانب العسكريّ التنفيذيّ فحسب، وإنما في الهدف السياسيّ للعمل العسكريّ، وإذا كان الهدف للعقيدة العسكريّة التقليديّة تحقيق أهداف سياسيّة في فرض تسويّة سياسيّة تنسجم مع المصالح الإسرائيليّة، بفعل الضغط أو الانتصار العسكريّ، فإن العقيدة الجديدة تفترض أن الواقع الذي تخلقه العمليّة العسكريّة هو الواقع السياسيّ الذي يجب التمسك به وفرضه. في هذا الصدد، يشير عميدرور:

«الاعتقاد القديم، والذي بموجبه على الجيش أن «يخلق» في الميدان العسكريّ الظروف التي تُمكّن المستوى السياسيّ من تحصيل وضع سياسيّ جديد وأفضل على طاولة المفاوضات، لا تنفع في أغلب الأحيان. النتيجة العسكريّة هو الواقع الذي على الدولة والمستوى السياسيّ تحصيله. لا يوجد «استمراريّة سياسيّة» منفصلة أو إضافيّة، وذلك بسبب أنه لا يوجد إطار سياسيّ دوليّ قادر على فرض مثل هذا المسار المُكمل. بناء على ذلك، فإن الحوار مع المستوى السياسيّ [الإسرائيليّ] أصبح أكثر أهمية، حتى يُدرك الجيش ماذا يريد السياسيّون إنجازه في النهاية»[212].

انعكس هذا التغيير على مقاربة نتنياهو للقضيّة الفلسطينيّة عموما، وقطاع غزة خصوصا. من الانتقال من إدارة الصراع، أو ما أطلق عليه في صفوف مثقفي اليمين «تقليص الصراع»[213]، إلى حسم الصراع بصورة وحشيّة تشمل الإبادة الجماعيّة في غزة، والتطهير العرقيّ والتهجير وتعميق المشروع الاستيطانيّ الاستعماريّ في الضفة الغربية. أراد نتنياهو تحقيق «النصر المطلق» في قطاع غزة، والذي يعتمد على احتلال القطاع، وتهجير من تبقى من سكانه. لم يُفصّل

(212) المصدر السابق.

(213)ميخا غودمان، الخروج من الفخ: ثماني خطوات لتقليص الصراع، ليبرال، 7 /03/ 2019: https://tinyurl.com/356u758x

نتنياهو مفهومه للنصر المطلق في خطاباته، ولكن السلوك الإسرائيليّ كان واضحًا أن هذا هو المقصود.

في شباط/ فبراير 2024 نشر نتنياهو مقالًا في «وول ستريت جورنال»، حول تصوره لقطاع غزة، ووضع محدّدات تصوره لوقف الحرب، وهي نزع سلاح قطاع غزة، ونزع التطرف عن سكان قطاع غزة من خلال تغيير مناهج التعليم، ومنع غزة أن تكون تهديدًا مستقبليًّا لإسرائيل، وخلق حكم محليّ في القطاع، فضلًا عن الحفاظ على حريّة العمل العسكريّ والأمنيّ الإسرائيليّ في القطاع[214].

لم يطرح نتنياهو أفقًا سياسيًا فيه الفلسطيني هو الطرف الثاني، بل أفقًا فيه الإسرائيليّ يناقش نفسه ويتحاور مع ذاته حول لحظة نهاية الحرب، وهي نهاية رسمية للحرب وليست فعلية، فحربه ضد الوجود الفلسطينيّ الماديّ والسياسيّ تحول إلى مشروعه بعد طوفان الأقصى. وعلى الرغم من أن نتنياهو وضع لنفسه هدفًا بالقضاء على الحركة الوطنية الفلسطينيّة، فإنه تبنى سياسية تمزيق القضيّة الفلسطينيّة وإذابتها تدريجيًا، وبعد طوفان الأقصى تبنى نهجًا تدميريًّا وإبادة جماعيّة للفلسطينيين وقضيتهم.

وبعد فوز دونالد ترامب في انتخابات الرئاسة، طرح خلال لقائه مع نتنياهو في فبراير 2025 خطته لتهجير سكان قطاع غزة، تلقّف اليمين الإسرائيليّ ومجمل المشهد السياسيّ والاجتماعيّ الإسرائيليّ هذه الخطة بتلهف شديد، وطالب اليمين بتطبيق مقترح ترامب بتهجير سكان قطاع غزة، واستبدال فكرة الانتصار الساحق بالقضاء على حركة حماس عسكريًّا وحكوميًّا فقط، بتهجير سكان قطاع غزة. رسميًّا، تبنى المجلس الوزاري-الأمني (الكابنيت) المصغر مقترح ترامب في اجتماعه الذي عقده في 11 فبراير.

وفي استطلاع لمعهد سياسات الشعب اليهوديّ في فبراير 2025، أشار 52% من اليهود في إسرائيل أن على الحكومة العمل على تنفيذ الخطة، في حين أشار 30% منهم أن الخطة إيجابيّة ولكن غير عملية، مما يؤكد أنه من حيث المبدأ فإن 80% من اليهود في إسرائيل يؤيدون الخطة[215].

(214) Benjamin Netanyahu, “Benjamin Netanyahu: Our Three Prerequisites for Peace”, Wall Street Journal, December 25, 2023, https://2u.pw/XbaUBn

(215) مقياس المجتمع الإسرائيلي: أغلبية كبيرة تؤيد المقترح لنقل سكان غزة لدول أخرى، معهد سياسات الشعب اليهودي، 3/2/2025، انظر الرابط: https://2u.pw/gnq7vC

في اللقاء الذي أجراه نتنياهو مع قناة فوكس نيوز الأمريكيّة بعيد لقائه الأول مع ترامب في فبراير 2025، صرح أن إسرائيل لن تقبل بأي حال من الأحوال قيام دولة فلسطينيّة، وأن السلام مع الدول العربيّة ستصنعه إسرائيل من خلال القوة، بعد أن تنهي القضيّة الفلسطينيّة في قطاع غزة من خلال مشروع التهجير، والضفة الغربيّة من خلال الضم. ويُفهم من كلام نتنياهو أن تغييب الموضوع الفلسطينيّ نهائيًّا، وإنهاء مسألة اسمها القضيّة الفلسطينيّة سيدفع الدول العربيّة لعقد اتفاقيات سلام مع إسرائيل بغياب هذا «العائق» الذي يمنع دولًا عربيّة من التطبيع مع إسرائيل[216].

عاد نتنياهو إلى تأطير الحرب على أنها حرب «أبناء النور ضد أبناء الظلام»، وهو المبدأ الذي يؤمن به في قرارة نفسه منذ السبعينيّات، أن حرب إسرائيل ضد الفلسطينيين هي جزء من صراع حضاريّ ضد البربريّة، وأن الفلسطينيين هم رأس الحربة في معسكر البربريّة والظلام في مواجهة الحضارة الغربيّة. كان نتنياهو هو الشخصية الأولى التي وضعت الحرب في إطار دينيّ، من خلال استحضار مفهوم «العماليق»، ففي 28 أكتوبر استعمل نتنياهو الآية في «الميكراه»، «تذكر ما فعل بك العماليق»، ويكملها «نحن نتذكر ونحارب العماليق». وفي 3 نوفمبر بعث نتنياهو برسالة لجنود وضباط الجيش كرّر فيها استعمال هذه الآية «تذكر ما فعل بك العماليق... سنهزم الشر»[217]، في هذا الصدد يكتب يوني دغان:

«لم ينجر نتنياهو للتطهير العرقيّ وإبادة شعب في غزة، هي تعبير أصيل لتصوراته. هو ينطلق من موقف الفوقيّة الإثنيّة-الدينيّة التي يُشاركه فيها الكثير في الغرب. في نظره هو حامل الحضارة اليهوديّة-المسيحيّة أمام الإسلام البربريّ»[218].

(216) ليزا روفيسكي، «نتنياهو: ويتكوف لم يُجبرني على الاستجابة للصفقة، حماس هي من غيّرت موقفها»، هآرتس،09 בפברואר 2025، https://shorturl.at/DlK4E

(217) آنا برسكي، نتنياهو في مكتوب للجنود: «تذكر ما فعل بك العماليق، سننتصر على الشر»، معاريف، 3/11/2023، انظر الرابط: https://2u.pw/8EuM1u

(218) يوني دغان،نتنياهو لم "ينجرّ" إلى الإبادة الجماعية في غزة؛ هذه هي الاستراتيجية، وكانت كذلك دائمًا، هآرتس، 31 //07 2025: https://tinyurl.com/377sz2fd

نتنياهو والقضية الفلسطينية: من إدارة الصراع إلى حسمه

ترمي إسرائيل من عمليّاتها وسياساتها في الضفّة الغربيّة، التي بلغت ذروتها الاستيطانيّة والاستعماريّة خلال حرب الإبادة في غزة، إلى حسم مسألة منع بناء أيّ كيانيّة سياسيّة فلسطينيّة في الضفّة الغربيّة. ثمّة علاقة بين تعميق النظام الاستيطانيّ في الضفّة وتعميق المنظومة الأمنيّة في مناطق الضفّة الغربيّة؛ فكلاهما يسيران على نحوٍ متوازٍ، ولا علاقة لتعميق المنظومة الأمنيّة في الضفّة بصعود التهديدات الأمنيّة للمقاومة الفلسطينيّة على إسرائيل، بل بتعميق المشروع الاستيطاني. تعظيم التهديد الأمنيّ يهدف إلى تغطية الهدف الأساسيّ من السياسات الأمنيّة والعسكريّة في الضفّة الغربيّة، وهو حسم مسألة المكانة السياسيّة للضفّة الغربيّة، من خلال الحُؤول دون أيّ إمكانيّة لإقامة كيان سياسيّ فلسطينيّ، دولة أو حتّى أقلّ من دولة. وتأتي عمليات تسريع الحسم لفشل اليمين الحاكم بالإعلان الرسمي والقانوني عن ضم الضفة الغربية، كما توقع ذلك بتسلئيل سموطرش الذي أعلن بعد فوز دونالد ترامب بانتخابات الرئاسة، بأن عام 2025 سيكون عام السيادة في الضفة الغربية[219]. وسموطريتش هو صاحب خطة الحسم في الضفة الغربية والتي نشرها في مقال مطول له في مجلة «شيلوح» للفكر السياسي[220].

تنفّذ إسرائيل سياسات استيطانيّة وأمنيّة وعسكريّة غير مسبوقة في الضفّة الغربيّة (وطبعًا في قطاع غزّة) منذ الاحتلال عام 1967. فالسياسات الاستيطانيّة، كما تشير المؤسَّسات الإسرائيليّة التي تراقب البناء الاستيطانيّ، ومصادرة الأراضي، وهدم البيوت والتهجير في الضفّة الغربيّة، كلّها تشير إلى أنّ ما حدث خلال العامَيْن الماضيَيْن لم يكن له مثيل منذ عام 1967.[221] بالإضافة إلى الاستيطان الاستعماريّ بكلّ مركّباته، العمليّات العسكريّة المتواصلة في الضفّة الغربيّة حتّى ما قبل السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر 2023، والتي صارت أكثر عنفًا وفتكًا وكثافة،

(219) إليشاع بن كيمون ،إيتمار أيخنر، حلم سموطريتش لضمّ المستوطنات: التودد لترامب – واللغم: ما هو الثمن الذي سيطلبه؟، https://tinyurl.com/ybth9fmn ، Ynet، 11/11/2024

(220) بتسلئيل سموطريتش، «خطة الحسم: مفتاح السلام عند اليمين»، مجلة هشيلوح، العدد 6 (2017)، انظر https://2u.pw/DJr5QAc

(221) مهند مصطفى، احتلال جديد، وليس من جديد للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967، ورقة تقدير موقف، رقم 59 (حيفا: مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، تشرين الثاني/نوفمبر 2024)

لم يسبق لها مثيل حتّى خلال الانتفاضة الفلسطينيّة الثانية. وتُظهِر الممارسات العسكريّة الفتّاكة أنّ الجيش الإسرائيليّ بدأ ينقل أدوات التدمير التي استعملها في غزّة إلى مناطق الضفّة الغربيّة، وبرزت مَشاهد كانت تخلق في السابق سجالًا في المجتمع الإسرائيليّ، والآن لم تَعُدْ تجعل أحدًا يحرّك ساكنًا.

فالعمليّات العسكريّة ترمي إلى تدمير المخيّمات الفلسطينيّة في شمال الضفّة، ولا سيّما مناطق جنين وطولكرم. فحتّى اليوم، يحتلّ الجيش مخيّمات طولكرم وجنين ويتَمَوْضع فيها ويعمل على هدمها تدريجيًّا، تمامًا كما يفعل في قِطاع غزّة دون وجود أيّ حاجة أمنيّة، وهو ما يعني التغطية على المشروع السياسيّ الاستيطانيّ والدينيّ لحسم المسألة السياسيّة بشطب حقّ تقرير المصير في إطار دولة فلسطينيّة.

كانت الضفّة الغربيّة في مركز الفعل الاستعماريّ الاستيطانيّ والأمنيّ–العسكريّ قبل السابع من أكتوبر. وكانت السياسة الإسرائيليّة ترمي إلى عزل غزّة عن الضفّة الغربيّة سياسيًّا وجغرافيًّا، والاستفراد بالضفّة الغربيّة عبْر تشريعات قانونيّة وعمليّات استيطان وتفعيل مليشيات مسلَّحة من المستوطنين، وإضعاف السلطة الفلسطينيّة حتّى لا تكون سلطة سياسيّة بمفهوم أنّها البنْية المؤسَّساتيّة لدولة فلسطين. مهّدت حرب الإبادة في غزّة لتصعيد النظام الاستعماريّ الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة، والمتمثّل في أنّ إسرائيل أصبحت قادرة على ممارسة أيّ سلوك، قادرة سياسيًّا لا عسكريًّا؛ وذلك أنّ المحاسَبة معدومة دوليًّا. وهو سلوك لم تسلكه إسرائيل سابقًا بهذه الحدّة وهذا التطرُّف حتّى خلال الانتفاضة الفلسطينيّة الثانية وما رافقها من عمليّات تفجيريّة داخل المدن الإسرائيليّة. وبلغت ذروة المشروع الاستيطانيّ في المصادقة على بناء نحو 3,000 وحدة استيطانيّة في المنطقة E1، التي تقطع شمال الضفّة عن جنوبها، وتقطع التواصل بين رام الله وبيت لحم، وتوصل ما بين البناءِ الاستيطانيّ في القدس ونظيرِه في معاليه أدوميم، وهي عمليّة تُجَهِز في حالة تنفيذها على إمكانيّة قيام دولة فلسطينيّة متواصلة جغرافيًّا.[222]

(222) للمزيد حول هذا المخطّط، انظر: امطانس شحادة وإكرام محمد، «البناء في منطقة "E1": منع تواصل جغرافي فلسطينيّ تنفيذًا لمخطّطات اليمين المتطرّف»، ورقة تقدير موقف (69)، مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، حيفا، تشرين الأول/أكتوبر 2025، https://2u.pw/wQJJoT

تعمل الحكومة الإسرائيلية منذ تشكيلها في نهاية 2022 بصورة حثيثة لضم الضفة الغربية بشكل نهائي إلى دولة إسرائيل، وتتحرك الحكومة بمستويين: تشريع قوانين تُمهد لضم الضفة الغربية، وفرض وقائع على الأرض من خلال عمل «دائرة الاستيطان»، التي تشكلت في وزارة الدفاع برئاسة وزير المالية بتسلئيل سموتريتش، على توسيع المستوطنات، وتشريع البؤر الاستيطانية، وإقامة مستوطنات جديدة، وشق شوارع جديدة بشكل غير مسبوق منذ العام 1967 [223]. وقد أشار تقرير لحركة «السلام الآن» الإسرائيلية إلى أن العام 2024 اتسم بتقليص الحيز الفلسطيني في مناطق «ب» (الخاضعة لسيطرة إسرائيل أمنيًا وسيطرة السلطة الفلسطينية مدنيًا) و«ج» (الخاضعة للسيطرة الإسرائيلية مدنيًا وأمنيًا)، وتوسيع الوجود الإسرائيلي فيهما[224].

وكانت هيئة الكنيست قد صادقت في 23 يوليو الماضي على قانون (غير ملزم) يُؤيد ضم الضفة الغربية، وأيد القانون 71 عضو كنيست (أعضاء الائتلاف وحزب إسرائيل بيتنا برئاسة أفيغدور ليبرمان) وعارضه 13 عضو كنيست (القوائم العربية وأعضاء من حزب العمل)[225]. وبعث وزراء حزب الليكود ورئيس الكنيست، أمير أوحانا، برسالة إلى نتنياهو طالبوه بالإعلان عن ضم الضفة الغربية قبل عطلة الكنيست الصيفية ولقائه مع ترامب، وهو أمر لم يحدث طبعًا[226].

وكانت هيئة الكنيست قد أقرت في يوليو 2024 قانونًا بأغلبية 68 عضوًا ينص على أن الكنيست «يُعارض بصورة قاطعة إقامة دولة فلسطينية غرب نهر الأردن، التي ستُشكل خطرًا وجوديًا على دولة إسرائيل، وجائزة للإرهاب، ومدخلًا لسيطرة الإسلام الجهاديّ على الشرق الأوسط»[227]. وفي فبراير2024 أقرّ الكنيست بيان

(223) للاطلاع أكثر على خطوات الحكومة نحو الضم ينظر تحقيق «هآرتس»، نوعا شبيغل وهغار شيزاف، «نخلق واقعا للسيادة»: الحكومة تتقدم نحو ضم الضفة، وكل الوسائل مشروعة، **هآرتس**، 20/4/2025، https://2u.pw/U0Uhwu

(224) 2024 في الضفة الغربية: عام الضم والطرد، حركة «السلام الان»، 2/1/2025، https://2u.pw/n7JsgD

(225) نوعا شبيغل وميخائيل هاوزر طوف، الكنيست أقرت اقتراح لجدول الأعمال على «فرض السيادة» في الضفة، ليس له معنى عملي، **هآرتس**، 23/7/2025 https://2u.pw/KoEZv7

(226) أرييل كهانا، وزراء الليكود لنتنياهو: افرض السيادة على يهودا والسامرة قبل نهاية الدورة الصيفية، يسرائيل هيوم، 2/7/2025. https://tinyurl.com/55zykmvn

(227)عميحاي شطاين، الكنيست حددت موقفها ضد إقامة دولة فلسطينية، موقع كان 11، 18/7/2024 https://2u.pw/Lzd6m6

الحكومة الذي يعارض الاعتراف أحاديّ الجانب بالدولة الفلسطينية بأغلبية 99 عضوًا. وصرح نتنياهو بعد إقرار البيان قائلًا «أبارك لأعضاء الكنيست، بما في ذلك من المعارضة، الذي صوتوا بأغلبية كبيرة مع اقتراحي المتمثل بأنه يجب على إسرائيل معارضة أن يفرضوا عليها بشكل أحاديّ إقامة دولة فلسطينية»[228]. وحتى قبل اندلاع الحرب في غزة، ألغى الكنيست في مارس 2023 قانون الانسحاب من قطاع غزة وشمال الضفة الغربية لعام 2005 (بتأييد 31 عضو كنيست ومعارضة 18 عضوًا). وفي 8 يوليو 2025 زار وزير المالية سموتريتش واحدة من المستوطنات (مستوطنة صانور) التي تم تفكيكها بحسب القانون، وتعهد ببناء المستوطنات هناك مجددًا.

يتزامن العمل القانوني الحثيث، مع البناء الاستيطاني المكثف، وخاصة في فترة الحكومة الحالية، ففي العام 2024 تم بناء 59 بؤرة استيطانية، أغلبها مستوطنات زراعية تسكنها عائلة واحدة، وفي بعض الأحيان شخص واحد، ولكنها تُسيطر على مساحة زراعية واسعة، وتعمل على طرد الفلسطينيين من هذه المساحات، خاصة المعدة للرعي والزراعة. وللمقارنة، فإنه خلال الفترة من العام 1996 حتى 2023، كان يتم بناء أقل من سبع بؤر بالمعدل العام في السنة. وطالت عملية بناء البؤر الاستيطانية، لأول مرة منذ توقيع اتفاق أوسلو مناطق «ب» حيث تم بناء ثماني بؤر استيطانية[229].

إلى جانب البناء الاستيطاني تم شق شوارع، جزء منها غير قانوني بطول 114 كم بهدف توسيع المستوطنات، وتسهيل الوصول للبؤر الاستيطانية في عمق الحيّز الفلسطيني. صادق مجلس التخطيط والبناء على بناء حوالي 10 آلاف وحدة استيطانية في العام 2024، وبدء تفعيل قرار الحكومة من يونيو 2023 الذي ينص أن البناء الاستيطاني في الضفة الغربية لم يعد يحتاج إلى مصادقة الحكومة الإسرائيلية، مما حوّل سموطرش إلى حاكم الضفة الغربية الفعلي فيما يتعلق بالبناء والتخطيط[230].

---

(228) سيفان حيلفي، الكنيست صادقت بأغلبية كبيرة: نعارض الاعتراف أحادي الجانب بدولة فلسطينية، موقع ynet، 21/2/2024. https://2u.pw/9wQMNc

(229) 2024 في الضفة الغربية: عام الضم والتهجير»،حركة السلام الآن ،بالعبرية، 21/01/2025 ، https://peacenow.org.il/annexation-and-displacment20204-year-of

(230) المصدر السابق.

لم يتوقف عمل الحكومة على الاستيطان، بل يُعتبر العام 2024 الأعلى في الإعلان عن أراض في الضفة أنها أراضي دولة، حيث تم الإعلان عن حوالي 24 ألف دونم أنها أراضي دولة، بالمقارنة مع 501 دونم عام 2023[231]. وتشير معطيات منظمة «بتسليم»، أن إسرائيل هدمت في العام 2023، 554 مبنى فلسطيني، وارتفع عدد المباني المهدومة إلى 840 عام 2024، ووصل إلى 635 مبنى حتى الآن في العام 2025[232].

بناء على معطيات الجيش الإسرائيلي، وهي معطيات رسمية ينشرها الجيش لأول مرة حول عنف المستوطنين، فإن عدد العمليات العنيفة للمستوطنين ضد الفلسطينيين وصلت في العام 2024 إلى 618 عملية، في حين وصلت إلى 404 عمليات في النصف الأول من عام 2025، مما يدل على ارتفاع كبير في عنف المستوطنين تجاه الفلسطينيين[233]. ويعتبر عنف المستوطنين جزءًا من مشروع طرد الفلسطينيين من أماكن تواجدهم، من خلال فرض نظام من الإرهاب عليهم دون أدنى محاسبة لهم.

ففي استطلاع أجراه معهد دراسات الأمن القومي في ديسمبر 2024، أشار أن 34% من الجمهور الإسرائيلي يُعارض أي شكل من أشكال الضم في الضفة الغربية، في حين أيّد 21% ضم كل الضفة الغربية، مقابل 21% أيّدوا ضم المستوطنات فقط (الكتل الاستيطانية)[234].

تعتبر القرارات الحكومية في يناير 2026 حلقة جديدة ولكنها جوهرية في «قتل» فكرة الدولة الفلسطينية، كما صرح سموطريتش[235]، وتعميق الاستيطان

---

(231) المصدر السابق.

(232) ينظر: «بتسليم» مركز المعلومات الإسرائيلي لحقوق الأنسان في الأراضي المحتلة ، هدم البيوت: الهدم بحجة البناء غير المرخص، https://tinyurl.com/3m37a5z7

(233) يانيف كوفيفيتش، في الأجهزة الأمنية يرصدون ارتفاعا في كبيرا في عنف المستوطنين، ويخشون أن الجيش يفقد السيطرة، هآرتس، 21/7/2025 ينظر: https://2u.pw/N9iLO9

(234):موران ديتش، عيديت شافران غيتلمان، ريبيكا ميلر، عنات شابيرا، وأبير غيتلين، تائج استطلاع «السيوف الحديدية»: ديسمبر 2024، معهد دراسات الأمن القومي ، 22 /12/ 2024. https://tinyurl.com/y29p5wnn

(235) موشيه رايس، سموطريتش: «نقتل بشكل نهائي الدولة الفلسطينية»، موقع حركة «استيطان الان»، 2/2/2026، ينظر الرابط: https://2u.pw/x4Z6mf

والسيطرة على الأراضي تمهيدًا للضم في المستقبل. وصرح سموطريتش في مناسبة أخرى، أن الولاية القادمة للحكومة الإسرائيلية، ستتمحور حول تشجيع هجرة الفلسطينيين من الضفة الغربية[236]. وعرض في مؤتمر للصهيونية الدينية «خطة الاستيطان 2030»، والتي تهدف إلى زيادة عدد المستوطنين (مشروع طرحه سابقًا وفشل فيه)، وبناء عشرات المستوطنات، بالذات التي تضمن سيطرة كبيرة على الأرض، مثل المستوطنات الزراعية والرعويّة، وزيادة الإنفاق على البنيّة التحتيّة التي تخدم المشروع الاستيطاني، وإلغاء اتفاق أوسلو[237].

تسير الخطوات الإسرائيلية في الضفة الغربية بشكل متسارع، بدون رقابة داخلية وضغوط خارجية. وكان سموطريتش قد قارن بين عمله كوزير للمالية والصعوبة التي يلاقيها في تحقيق إصلاحات كبيرة في المجال المالي بسبب الرقابة الصارمة داخليًا، وبين ما يفعله في الضفة الغربية كوزير في وزارة الدفاع والمسؤول عن الإدارة المدنية، قائلًا: «بسبب أنني في يهودا والسامرة رئيس الحكومة وكل شيء عندي، استطعت أن أقلب كل شيء، خلال عام أحدثت كل التغييرات التخطيطية»[238].

تعتبر قرارات الحكومة الأخيرة هي الأخطر منذ عام 1967، حيث أقرت الحكومة الإسرائيلية في 15 فبراير قرارًا بتسجيل 15% من أراضي مناطق C في الضفة الغربية خلال خمس سنوات، وخصصت مبلغ 244 مليون شيكل لتنفيذ ذلك. يعطي القرار الفلسطينيين إمكانية إثبات ملكيتهم على الأرض، وفي حال لم ينجحوا بذلك فإن الأرض تنتقل لملكية الدولة. إلى جانب جوهر القانون الذي يهدف إلى مصادرة أراض فلسطينية خاصة وتسجيل أراض أخرى كأراضي دولة، فإن آلية تنفيذ القرار لا تقل أهمية عن جوهره، فقد طلبت الحكومة من قائد المنطقة الوسطى، الجنرال آفي بلوط، وهو القائد العسكري على الضفة الغربية، بأن ينقل صلاحية تنفيذ القرار لوزارة القضاء، وهي المرة الأولى التي تنفذ جهة

(236) حاييم غولديتش، سموطريتش: «هدف الولاية القادمة: تشجيع هجرة الفلسطينيين من يهودا والسامرة»» موقع قناة كان 11، 17 /2026/02

(237) نوعا شبيغل، سموتريتش صرّح أن على الحكومة القادمة «تشجيع هجرة» الفلسطينيين من الضفة وفرض السيادة، هآرتس، 17/02/2026، https://tinyurl.com/e42jthv8

(238) أبراهام بلوخ، وأريئيل فيغلين، «بتسلئيل سموتريتش: «في يهودا والسامرة، أنا مثل رئيس الحكومة»»، معاريف، 19 /02/ 2026، انظر: https://2u.pw/A6fK4M

مدنية في إسرائيل بالعمل على تسوية الأراضي في الضفة الغربية[239]، على الرغم أنها من الناحية القانونية ليست تحت السيادة الإسرائيلية، ولا يسري عليها القانون الإسرائيلي. وهو يعتبر مؤشرًا هامًّا على ضم قانوني للضفة الغربية في هذه المسألة.

يرتبط هذا القرار مع قرار المجلس الوزاري المصغر في مايو 2025، الذي أقر مسألة تسوية الأراضي في الضفة الغربية لأول مرة منذ احتلالها عام 1967. وهو يهدف إلى تسجيل نهائي للأراضي في الطابو، وكان الانتداب البريطاني ولاحقًا الحكومة الأردنية قد بدأت بتسجيل الأراضي في الضفة الغربية قبل الاحتلال، وتم تنفيذ 34% من عملية التسجيل، وجمّدت إسرائيل هذه العملية بعد الاحتلال. وينص القرار أن أي أرض غير مملوكة، أو لا يمكن إثبات ملكيتها تتحول لأراضي دولة. في هذا الصدد، فإن الكثير من الأراضي الخاصة مملوكة للاجئين فلسطينيين تركوا مكانهم بعد الاحتلال ونتيجة للحرب، وحتمًا سيتم مصادرتها، كما حدث مع أراضي اللاجئين الفلسطينيين الذي هجروا في أعقاب نكبة فلسطين، واستولت الدولة على أراضيهم حسب قانون «الحاضر غائب». كانت إسرائيل تمتنع عن تنفيذ ذلك في الضفة الغربية بسبب المكانة القانونية للضفة الغربية كأرض محتلة، والآن تُغيّر إسرائيل ذلك وتتعامل معها كأراض تقع تحت السيادة الإسرائيلية، وحدث هذا التغيير من خلال قرار حكومي وليس تشريعًا قانونيًا في الكنيست.

وفي 8 فبراير أقرّ المجلس الوزاري المصغر مجموعة من القرارات التي تهدف إلى تمكين المستوطنين من شراء أراضٍ في الضفة الغربية بشكل فردي ومباشر، وهو أمر سيُمكن المستوطنين من فرض وقائع على الأرض بدون قرارات حكومية[240].

في السابق كان يمنع على الإسرائيليين شراء أراض في الضفة الغربية بحسب القانون الأردني، وحتى عملية شراء الأراضي كانت تتم من خلال شركات يتم الرقابة عليها والمصادقة على عملية الشراء منعًا للاحتيال على الفلسطينيين، مع ضمان سرية ملكية الأراضي حتى لا يتم الضغط على الفلسطيني المالك لها،

(239) متان غولان، «الحكومة صادقت على تسجيل أراض في منطقة C الذي يُمكن من سلب أراض الفلسطينيين»، هآرتس، 15/2/2026، انظر الرابط: https://2u.pw/gptCLi

(240) المجلس الوزاري المصغر يقر سلسلة من القرارات للسيطرة على الأراضي ومصادرة صلاحيات السلطة الفلسطينية، **حركة السلام الآن**، 8/2/2026، انظر: https://2u.pw/iKJVsd

والآن تقرر الحكومة خصخصة شراء الأراضي بدون رقابة وتلغي عمليًّا وقانونيًّا القانون الأردني السائد، وتقرر فتح سجل ملكية الأراضي للجمهور الواسع. كما قرر المجلس الوزاري إحياء المنظومة الحكومية لشراء أراضٍ من فلسطينيين لصالح الدولة، وبذلك يتشارك المستوطنون أفرادًا وجماعاتٍ والدولة بعملية شراء أراضٍ فلسطينية، ومع عنف المستوطنين، فقد يتم الضغط على فلسطينيين لبيع أراضيهم، أو يستعمل الجيش وسائل تضييق على الأراضي حتى يضطر الفلسطيني لبيعها للدولة.

يعمل النظام الاستيطانيّ في الضفّة الغربيّة بدون كوابح، وهذا من أهمّ مميّزات السياسات الإسرائيليّة في الضفّة الغربيّة أمنيًّا-عسكريًّا واستيطانيًّا بعد السابع من تشرين الأوّل/ أكتوبر كما هو الشأن في غزّة. لم يعد هنالك كوابح داخليّة تستأنف على ما يحدث في الضفّة الغربيّة، باستثناء تيّار يهوديّ غير مؤثّر على السياسات الإسرائيليّة وعلى المزاج الجماهيريّ العامّ. يتمثّل انعدام الكوابح في تحالف ناشئ عن قناعة أو عن تواطؤ بين المؤسَّسات المختلفة بشأن ما يحدث في الضفّة الغربيّة، فلا الجيش يكبح سياسات الحكومة بذرائع أمنيّة، ولا القضاء يكبح سياسات الجيش، ولا الحكومة تكبح عنف وإرهاب المستوطنين، ولا البيروقراطيّة داخل الإدارة المدنيّة أو داخل الوزارات الحكوميّة تتحدّى هذه السياسات من المنطلَق المهنيّ الضيّق.

إرهاب المستوطنين وعنفهم في الضفّة الغربيّة لا يدخلان إلى السجال العامّ في إسرائيل إلّا في حالة تعرُّض جنود للعنف من طرف المستوطنين، وهي حالات نادرة جدًّا، وتثير نقاشًا ليوم واحد وتنتهي. فالجيش يحمي المليشيات الإرهابيّة في الضفّة الغربيّة، ويرافقها، وفي بعض الأحيان لا يتدخّل، بل هناك جنود يشاركون هذه المليشيات إرهابهم، ومن شدّة استعجالهم لإرهاب الفلسطينيّين لا يضيّعون وقتهم لخلع الزيّ العسكريّ للمشارَكة في العمليّات الإرهابيّة ضدّ الفلسطينيّين. «لا يضيّعون الوقت» هي طبعًا مقولة مَجازيّة، ولكنّها تعبّر عن تحلُّل الخطوط الفاصلة بين الوحدات العسكريّة والمليشيات الإرهابيّة من اليهود في الضفّة، وامتزاجهم بعضهم مع بعض، إمّا من خلال المشارَكة الفاعلة للجنود في هذه العمليّات بعد انتهاء وقت خدمتهم، أو مشاركتهم خلال الخدمة، أو حمايتهم للمستوطنين، أو التواطؤ والصمت على عمليّاتهم، وأخيرًا معاقبة الضحايا لأنّهم حاولوا التصدّي

لهم. أشار بيان مكتب الأمم المتّحدة للشؤون الإنسانيّة (OCHA) أنّه في تشرين الأوّل/ أكتوبر المنصرم (2025) جرى توثيق أكبر عدد من اعتداءات المستوطنين على الفلسطينيّين منذ أن بدأ المكتب بتوثيق هذه الاعتداءات عام 2006. وسجّل المكتب 260 اعتداءً، وهي ليست إلّا الاعتداءات التي أدّت إلى إحداث أضرار ماديّة بالسكّان الفلسطينيّين. وفي موسم قطف الزيتون، اقتُلِع نحو 4,200 شجرة زيتون في 77 بلدة فلسطينيّة، وجُرِح 40 فلسطينيًّا.[241] وبناء على معطيات الجيش الإسرائيليّ في شهر يوليو (وتلك معطَيات رسميّة ينشرها الجيش لأوّل مرّة في ما يخصّ عنف المستوطنين) عددُ العمليّات العنيفة التي قام بها المستوطنون ضدّ الفلسطينيّين في العام 2024 كلّه بلغت 618 عمليّة، في حين وصلت إلى 404 عمليّات في النصف الأوّل فقط من عام 2025، وهو ما يدلّ على ارتفاع كبير في عنف المستوطنين تجاه الفلسطينيّين.[242]

لا ينحصر صمت الجيش والإدارة المدنيّة والقضاء وكلّ ثلاثيّة المنظومة الاستعماريّة في الضفّة –السياسيّة والأمنيّة والبيروقراطيّة– في إرهاب المستوطنين، بل يتعدّاه إلى بناء البؤر الاستيطانيّة التي لا تُعَدّ شرعيّة حسب القانون الإسرائيليّ نفسه. وكلّ واحد من هذه المركّبات الثلاثة يقوم بدَوْر في الاستيطان في الضفّة، حتّى ذاك الذي يجري بطريقة «غير قانونيّة» إسرائيليًّا. ويَحْدث كلّ هذا في سياق تواطؤ من الجهاز القضائيّ، أو شَرْعَنَته للمنظومة الاستيطانيّة في الضفّة الغربيّة.

نَهَمُ المستوطنين الإرهابيّين للسيطرة على أراضي الفلسطينيّين لا ينفَّذ من خلال قرارات حكوميّة تقضي بالبناء الاستيطانيّ فحسب، بل كذلك من خلال بناء البؤر الاستيطانيّة والمستوطنات الرعويّة التي لم تُقِرَّها الحكومة الإسرائيليّة. تجري السيطرة على الأراضي الفلسطينيّة من خلال الخطوات التالية:

أوّلًا، تسيطر مجموعة من الإرهابيّين المستوطنين على أرض تكون في الغالب قريبة من قرية فلسطينيّة أو حقل زراعي فلسطينيّ أو تلّة تطلّ على بلدات فلسطينيّة أو منطقة تُستخدَم للرعي، ويضعون هنالك بيوتًا متنقّلة.

(241) OCHA, Humanitarian Situation Update/ West Bank, 6/11/2025, https://2u.pw/8PLJVn

(242) يانيف كوفوفيتش، في الأجهزة الأمنية يرصدون ارتفاعًا كبيرًا في عنف المستوطنين، ويخشون أن يكون الجيش آخذًا في فقدان السيطرة، هآرتس، 21 /07/ 2025. https://tinyurl.com/45d2w-s6u

ثانيًا، تجري هذه العمليّة بمعرفة الجيش والإدارة المدنيّة، إذ يعمل الجيش على حمايتهم، وتكون هذه البؤر في الغالب قاعدة للانطلاق نحو إرهاب الفلسطينيّين في بيوتهم أو حقولهم، ولم تقتصر البؤر على بيوت قليلة، بل لقد جرت السيطرة على مساحات أراضٍ واسعة بغية إقامة مستوطنة رعويّة.[243]

ثالثًا، تحظى هذه البؤر بدعم سياسيّ وحكوميّ، وتُتّخَذ قرارات حكوميّة من أجل قَوْنَنتها إسرائيليًّا ومنع هدمها. ثمّة حالات نادرة جدًّا جرى فيها هدم بؤر استيطانيّة ورافقها احتجاج من وزراء وأعضاء كنيست من الحكومة.

رابعًا، يجري مدّ هذه البؤر بالبنْية التحتيّة اللازمة لبقائها، مثل الكهرباء والماء وطرق الوصول إليها، وتنفِّذ الإدارة المدنيّة هذا الأمر إمّا على نحو مباشر- أي بناء بنْية تحتيّة خاصّة بها-، أو غير مباشر من خلال ربطها بالبنْية التحتيّة للمستوطنات القريبة من هذه البؤر.

خامسًا، إقرار ميزانيّات خاصّة لدعم هذه البؤر الاستيطانيّة؛ فقد خصّص وزير الماليّة والوزير المسؤول عن الإدارة المدنيّة في وزارة الدفاع بتسلئيل سموطرتش مبلغ 2.7 مليار شيكل من موازنة عام 2026 لتوسيع المشروع الاستيطانيّ. يهدف هذا الإنفاق الواسع إلى بناء 17 مستوطنة جديدة أقرّت بناءَها الحكومة، وتحسين البنْية التحتيّة لـ 36 بؤرة استيطانيّة يجري العمل على قَوْنَنَتها، وموازنة لقسم الطابو للعمل على مصادرة 60 ألف دونم، وميزانيّة كمنَح لإقامة 36 بؤرة استيطانيّة جديدة، وتحسين البنْية التحتيّة وغيرها من غايات الإنفاق.[244] في الفقرة التالية، المقتبَسة من تقرير عن الموازَنات التي تُحوَّل للمستوطنات، يشار إلى التعاون الجاري بين أذرع النظام الاستيطانيّ الاستعماريّ في الضفّة الغربيّة. يكتب الصحفيّ إليشع بِنْ كيمون: «العمل المهنيّ في مسائل يهودا والسامرة يستند في أغلب الأحيان على المحور بين مجلس المستوطنات وديوان مكتب سموطرتش، الذي يعمل أيضًا مع ديوان وزير الأمن كاتس، والأجهزة الأمنيّة والجيش الإسرائيليّ. هذه الميزانيّة هي تنفيذ لخطّة كان مجلس المستوطنات يحلم بها سنين طويلة، والآن يحقّقها سموطرتش».[245]

(243) عميد في القيادة الوسطى: يجري بناء البؤر الرعويّة في الضفّة بالتعاون مع الجيش، هآرتس، 8/12/2025، https://tinyurl.com/4puj6hyb

(244) إليشع بن كيمون، إنفاق 2.7 مليار شيكل خلف الخطّ الأخضر: الميزانيّات الضخمة التي ستُنفَق في يهودا والسامرة، واينت (Ynet)، 12 /08/2025، https://2u.pw/u3dV8

(245) المصدر السابق.

خاتمة

من صراع قوميّ إلى صراع حضاريّ

رمى البحث الحاليّ إلى تقديم قراءة تحليليّة لبنيامين نتنياهو، فكره، أيديولوجيّته وسلوكه السياسيّ. انطلق نتنياهو في صياغة منظومته الفكريّة من المقولات التأسيسيّة للفكر الصهيونيّ عمومًا، ومن فكر اليمين التنقيحيّ على وجه الخصوص. ولم تكن أفكاره في العموم منسلخة عن هذه الأرضيّة السياسيّة والفكريّة. فهو كولونياليّ (أي استعماريّ - استيطانيّ) في تعاطيه مع الفلسطينيّين ومع القضيّة الفلسطينيّة وحقّ تقرير المصير للشعب الفلسطينيّ. وفكره استشراقيّ قديم وتقليديّ في مقاربته للشعوب العربيّة والإسلام والثقافة العربيّة - الإسلاميّة. وهو يحمل توجّهًا تسلّطيًّا في الممارسة السياسيّة. ولكن في هذه المسائل الثلاث، لا نجد أنّ نتنياهو يختلف عن مُجْمَل الفكر الصهيونيّ، مع إدراكنا لمدى وعمق التباين الذي أنتجه المشروع الصهيونيّ في صفوف اليهود في فلسطين والعالم. بَيْدَ أنّ نتنياهو يقدّم مدماكًا جديدًا للفكر الصهيونيّ، يتمثّل في اعتباره أنّ الصراع الذي خاضته الحركة الصهيونيّة مع الفلسطينيّين والعرب لتنفيذ مشروعها في فلسطين هو جزء من صراع حضاريّ تاريخيّ ودينيّ بين الحضارة الغربيّة التي تعتمد على التراث المسيحيّ - اليهوديّ، والحضارة العربيّة - الإسلاميّة التي تعتمد على الإسلام. وبناء على هذه المقاربة الحضاريّة، فإنّ الحركة الصهيونيّة لم تحمل مشروعًا تحديثيًّا فحسْب للشعب الفلسطينيّ في وطنه، كما زعمت الحركة الصهيونيّة، بل هي رأس الحربة في الصراع الحضاريّ مع العرب والمسلمين.

لا تنفصل المميّزات العامّة لنتنياهو الكولونياليّ الاستشراقيّ السلطويّ عن هذه المقاربة الحضاريّة للصراع؛ إذ إنّ جميع هذه المميّزات هي جزء من الصراع الحضاريّ الذي يؤطّره نتنياهو. فالمشروع الكولونياليّ الصهيونيّ في فلسطين كان يبتغي تأسيس دولة غير عربيّة وغير إسلاميّة في قلب المنطقة العربيّة - الإسلاميّة، ممّا أحدث صدمة حضاريّة وتاريخيّة جديدة للعرب والمسلمين تضاف إلى الصدمة الكبيرة من انهيار الحضارة العربيّة - الإسلاميّة، وصعود الحضارة الغربيّة. لذا فإنّ حقد العرب والمسلمين على اليهود وإسرائيل ليس نابعًا من وجود هذه الدولة فحسب، بل هو عداء للحضارة الغربيّة التي زرعت هذا المشروع في

المنطقة العربيّة – الإسلاميّة، ومن ثَمّ فعداء العرب والمسلمين لإسرائيل هو جزء من عدائهم للحضارة الغربيّة.

ويرتبط الجانب الاستشراقيّ في فكر نتنياهو بتأطيره للصراع الحضاريّ، من خلال ادّعائه المثابر في كتبه أنّ الثقافة العربيّة والإسلاميّة هي نقيض الثقافة الغربيّة؛ فالثقافة العربيّة في جوهرها عنيفة، والإسلام غير متسامح مع الآخرين، والشعوب العربيّة لا تقبل الولاء إلّا للقبيلة، والديمقراطيّة لا يمكن أن تكون نظامًا سياسيًّا في المجتمعات العربيّة. في هذا الصدد، لا بدّ من التأكيد أنّ الاستشراق الذي يتبنّاه نتنياهو كأداة تحليل ومقاربة للعرب والمسلمين هو من نوع الاستشراق الذي ارتبط بالكولونياليّة في القرن التاسع عشر [246]؛ فليست كلّ الدراسات الاستشراقيّة كولونياليّة، ولا سيّما تلك التي تطوّرت في النصف الثاني من القرن العشرين. المقاربة الاستشراقيّة لنتنياهو ليست دعائيّة في خدمة مشروع سياسيّ. بل هي مقاربة استشراقيّة تبغي طرح وجود التناقض بين الحضارة العربيّة – الإسلاميّة والحضارة الغربيّة، وأنّ الصراع بينهما هو صراع متجذّر وأبديّ، ولا يقبل التسوية. لذا، فإنّ الحلّ لهذا الصراع يكون من خلال تبنّي العرب والمسلمين الحضارة الغربيّة، وفي مركزها دولةُ إسرائيل والمشروع الصهيونيّ اللذان هما نتاجُ هذه الحضارة وأحدُ أسسها.

وتعبّر سلطويّة نتنياهو عن مركزيّته الشخصيّة في هذا الصراع. فهو لا يحمل دَوْرًا في رئاسة حكومة إسرائيل فحسب، بل هو زعيم الشعب اليهوديّ، وأكثر قيادات الحضارة الغربيّة فهمًا وإدراكًا لجوهر الصراع، ممّا يؤهّله أن يكون قائد هذه الحضارة في صراعها مع الحضارة العربيّة – الإسلاميّة. لذا يتعامل نتنياهو بأستاذيّة مع نظرائه في الغرب، فهو يقرّعهم لعدم فهمهم طبيعة وجوهر الصراع، ومن لا يتّفق مع مقاربته للصراع يكون إمّا ساذجًا أو معاديًا للساميّة؛ وذلك أنّ السُّذّج أو المعادين للساميّة هم من لا يقبلون ولا يفهمون هذه المقاربة. وتتمثّل تسلُّطيّة نتنياهو في الحقل السياسيّ الإسرائيليّ، عبر النظر إلى نفسه على أنّه مخلّص للشعب اليهوديّ، وأنّه أكثر القيادات والشخصيّات الإسرائيليّة إدراكًا ودراية للتحدّيات التي تواجه إسرائيلَ والشعبَ اليهوديّ؛ فهو لا يحكم إسرائيل، بل

(246) إدوارد سعيد، الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، ترجمة محمد عناني (القاهرة: دار رؤية، 2017)

يضحّي من أجلها، والتضحية هي أعلى درجات القداسة، فهو نذر نفسه لخدمة الشعب اليهوديّ، ومنصبه كرئيس لحكومة «إسرائيل» هو دَوْر تاريخيّ ومقدّس، ومن هنا فإنّ الهجوم عليه، ومحاولة تجريده من مرتبة القداسة والتاريخيّة، هما خيانةٌ للشعب اليهوديّ، وإنذارٌ بالسقوط في الهاوية، وهي تشير إلى كلّ محاولة للسيطرة والهيمنة على الحقل السياسيّ والاجتماعيّ في «إسرائيل»، وتبرّر محاولة تقييد كلّ من يحاول إسقاطه أو زعزعة مكانته، لأنّ محاولات إسقاطه أو زعزعة مكانته هي تهديدٌ للشعب اليهوديّ، وتَهاوُنٌ في الصراع الحضاريّ القائم بين الغرب والحضارة العربيّة – الإسلاميّة.

تأطير الصراع بين المشروع الكولونياليّ الاستيطاني الصهيونيّ في فلسطين، والحركة الوطنيّة الفلسطينيّة، ضمن منظومة صراع الحضارات، يتضمّن مقولة أنّ هذا الصراع غير قابل للحلّ. في الصراع الحضاريّ، يكون الحلّ بتغييب أحد أطراف الصراع جسديًا أو بتغييبه حضاريًا. وبما أنّ حسمه بالإبادة غير وارد، حسب نتنياهو، من طرف الحضارة الغربيّة، ولكنّه مشروع في الحضارة العربيّة – الإسلاميّة، فإنّ الحلّ المثاليّ في هذا الصراع هو نفي هذه الحضارة عن حامليها. وفي سياق المشروع الفلسطينيّ المُعادي للمشروع الصهيونيّ، كجزء من الحضارة الغربيّة، فإنّ الحلّ يكون بتقبُّل الفلسطينيّين الروايةَ الصهيونيّة للصراع، وبالخضوع للمشروع الصهيونيّ والإقرار بأحقّيّته التاريخيّة والسياسيّة والدينيّة والأخلاقيّة في فلسطين وعليها. لهذا، عندما يطرح نتنياهو أنّ جوهر الصراع يكمن في عدم الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا في الاحتلال، فإنّه ينسجم مع هذا التأطير الذي يطرحه للصراع. ولذا، فمن جانبه يمكن الوصول إلى حلّ للصراع باعتراف الفلسطينيّين بالدولة اليهوديّة، لا ككيان سياسيّ واقعيّ، بل كمشروع له شرعيّة وصدقيّة أخلاقيّة وتاريخيّة. ومطلب الاعتراف بالدولة اليهوديّة لا ينحصر في الحركة الوطنيّة الفلسطينيّة والشعب الفلسطينيّ في الأراضي الفلسطينيّة المحتلّة عام 1967 والشتات فحسب، وإنّما يشمل اعتراف المواطنين الفلسطينيّين بإسرائيل في مناطق عام 1948، وما ينطبق على الفلسطينيّين يجب أن يسري، وَفق منطق نتنياهو، على العرب والمسلمين. والمقصود بهذا أنّ بداية الانتصار الحضاريّ للغرب على الحضارة العربيّة – الإسلاميّة تتحقّق باعتراف هذه الحضارة بالمشروع الصهيونيّ، حيث إنّها بهذا الاعتراف تنفي جوهرها، فضلًا عن أنّ اعتراف الفلسطينيّين بهذا المشروع ينفي المشروع الوطنيّ الفلسطينيّ. ومن

هنا تنبع رؤية نتنياهو بشأن مركزيّة التحالف بين الغرب والمشروع الصهيونيّ، في الصراع المشترك مع الحضارة العربيّة - الإسلاميّة، ابتغاء الانتصار عليها، ولكن تبقى المشكلة -بحسب رأيه- في أنّ هنالك «قلائل فقط في الغرب عارفين بجذور هذا الصراع».

المراجع

الإنجليزية

- Aronoff, Yael. The Political Psychology of Israeli Prime Ministers: When Hard-Liners Opt for Peace. New York: Cambridge University Press, 2014.

- Durant, Will, and Ariel Durant. The Lessons of History. New York: Simon and Schuster Paperbacks, 1968.

- Freedman, Robert O., ed. **Israel Under Netanyahu: Domestic Politics and Foreign Policy**. 1st ed. London: Routledge, 2019.

- Greenberg, Jon. "War of Words: The Fight over 'Radical Islamic Terrorism'." PolitiFact. December 11, 2015. https://www.politifact.org/.

- Huntington, Samuel. "The Clash of Civilizations?" Foreign Affairs 72, no. 3 (1993): 22–49.

- Kaplan, Eran. "Benjamin Netanyahu: Israel's Populist Tribune." **Political Insight** 16, no. 1 (2025).

- Kimhi, Shaul, Sagit Yehoshua, and Yarden Oliel. "Behavior Analysis of Benjamin Netanyahu in 1999 and 2017: What Has Changed?" Annals of Psychiatry and Mental Health 5, no. 5 (2017): 1–10.

- Kimhi, Shaul, Sagit Yehoshua, and Yarden Oliel. "Behavior Analysis of Benjamin Netanyahu in 1999 and 2017: What Has Changed?" Annals of Psychiatry and Mental Health 5, no. 5 (2017)

- Kimhi, Shaul. Benjamin Netanyahu: A Psychological Profile Using Behavior Analysis. Westport: Greenwood Publishing Group, 2001.

- Lochery, Neill. The Resistible Rise of Benjamin Netanyahu. New York: Bloomsbury Publishing, 2016.

- Lochery, Neill. **The Resistible Rise of Benjamin Netanyahu**. New York: Bloomsbury Publishing, 2016.

- Mitchell, Thomas. Likud Leaders: The Lives and Careers of Menahem Begin, Yitzhak Shamir, Benjamin Netanyahu and Ariel Sharon. North Carolina: McFarland & Company, 2015.

- Navot, Doron, and Aviad Rubin. "Likud's success in the 2015 elections: Netanyahu's Hobbesian moment." Israel Affairs 22, no. 3-4 (2016): 628–640.

- Netanyahu, Benjamin. "Benjamin Netanyahu: Our Three Prerequisites for Peace." Wall Street Journal. December 25, 2023. https://2u.pw/XbaUBn

- Netanyahu, Binyamin, Speech to the United Nations General Assembly, American rhetoric, 23/9/2011; https://www.americanrhetoric.com/speeches/benjaminnetanyahu2011unitednations.htm

- Netanyahu, Benjamin. A Durable Peace: Israel and Its Place Among the Nations. New York: Warner Books, 1993.

- Netanyahu, Benzion. Don Isaac Abravanel: Statesman and Philosopher. 2nd ed. Philadelphia: The Jewish Publication Society of America, 1968.

- Netanyahu, Benzion. The Origins of the Inquisition in Fifteenth Century

Spain. New York: Random House, 1995.

- Pfeffer, Anshel. **Bibi: The Turbulent Life and Times of Benjamin Netanyahu**. London: Hurst & Company, 2018.

- Caspit, Ben. *The Netanyahu Years*. New York: St. Martin's Press, 2017.

- Weber, Max. **Economy and Society: An Outline of Interpretive Sociology**. Berkeley: University of California Press, 1978.

العبرية

- أَزُولاي-كَاتْس، أُورْلِي. الرَّجُلُ الَّذِي انْتَصَرَ عَلَى ذَاتِهِ: انْتِخَابَاتُ 1999. تَلْ أَبِيب: يَدِيعُوت أَحْرُونُوت، 1999

- ألبير، روچل.(تشظّي يئير الذاتي). هآرتس. 30 تشرين الأول 2017.

- إليني، عڤري ، (أيّتها الضحيّة، شكرًا). ملحق هآرتس، 27 تشرين الأوّل، 2017.

- أيزنكوت، غادي، وغابي سفيوني. خطوط عريضة لتصور الأمن الإسرائيلي. تل أبيب: معهد دراسات الأمن القومي، أيلول/سبتمبر 2019.

- إيلان كفير، بِنْ كَسْپِيت. نتنياهو: الطريق إلى السلط. تل أبيب: ألفا تِكْشُورِتْ، 1997.

- أييلي ، شاؤول ، تصريحات النظام عن الانتصار المطلق تنتج دائرة سحرية عنيفة. ممنوع تصديق ذلك. هآرتس، 9/4/2026، https://www.haaretz.co.il/opinions/2026-04-09/ty-article-opinion/.premium/0000019d-72e5-d759-ab9d-7bfd01740000

- بارئيل، تسفي، أمور يستطيع نتانياهو تعلمها من أردوغان، هآرتس (بالعبرية)، 23/12/2015: https://www.haaretz.co.il/opinions/2015-12-23/

ty-article-opinion/.premium/0000017f-dbb7-df9c-a17f-ffb-fa0a60000

- باروخ كيمرلينج، (نهاية حكم الهيمنة الإشكنازيّة)، القدس: كِيتِرْ، 2001.
- برسكي، آنا، نتنياهو في مكتوب للجنود: «تذكر ما فعل بك العماليق، سننتصر على الشر»، معاريف، 3/11/2023،
- بلوخ، أبراهام، وأريئيل فيغلين. «بتسلئيل سموتريتش: «في يهودا والسامرة، أنا مثل رئيس الحكومة». معاريف. 19 شباط/فبراير 2026. https://www.maariv.co.il/news/politics/article-1190383.%20(yahoo)
- بُلُوم، جَادِي، ونِير حِيفتْس. الرَّاعِي: قِصَّةُ حَيَاةِ أَرِيئِيل شَارُون. تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2005.
- بن كيمون، إليشع، وإيتمار أيخنر. «حلم سموطريتش لضم المستوطنات: التودد لترامب – واللغم: ما هو الثمن الذي سيطلبه؟ Ynet. 11 «تشرين الثاني 2024. (Ynet. (ynet
- بِنْتْسِيُون نتنياهو، (آباء الصهيونيّة الخمسة)، تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2003.
- بِنْتْسِيُون نتنياهو، (موقع جابوتنسكي في تاريخ إسرائيل)، حيفا: جامعة حيفا، 1982.
- بنزكين ، أفنر، «الأب، الابن وروح المأساة»، هآرتس، 23 نيسان/أبريل 2015. جرى الاسترداد من: https://www.haaretz.com.
- بيرتس، سامي، ليس الانفصال بل المنفصلون في اليمين من جلبوا علينا 7 أكتوبر، هآرتس، 6/8/2025.
- بيسموط، بوعز. (العالم يحبّ الأوهام، نتنياهو وصف الواقع). يسرائيل هيوم. 2 تشرين الأول 2015. الرابط الإلكتروني. (israelhayom.co.il)

- پيرتس ،سامي، بيبي يحتاج أن يكون كل من حوله «منّا»، هآرتس،27/12/2017: https://www.haaretz.co.il/opinions/2017-12-27/ty-article-opinion/.premium/0000017f-ea57-d3be-ad7f-fa7ff1100000

- تيبون، أمير. (نتنياهو تجوّل عند الجدار التي تقام مع الأردن: ندافع عن الفيلا من الحيوانات المفترسة)». Walla. 30 كانون الثاني 2017.

- جِلنَتي، سيجَال. «النُّخَبُ السِّيَاسِيَّةُ عَلَى يَمِينِ الخَارِطَةِ – اللِّيكُود». في: إِلِيعِيزِر بِنْ-رَفَائِيل وآخرون (تحرير)، نُخَبٌ جَدِيدَةٌ فِي إِسْرَائِيل، 62–89. القدس: مؤسسة بياليك، 2007

- چلنور، يتسحاق ، ودانا بلاندر، (الجهاز السياسيّ في إسرائيل) الجزء الثاني، 2013، ص 938.

- حركة السلام الان، 2024» في الضفة الغربية، عام الضم والطرد»، حركة السلام الأن، 2024،, סיכום-שנת-2024.pdf

- حيلفي، سيفان ، الكنيست صادقت بأغلبية كبيرة: نعارض الاعتراف أحادي الجانب بدولة فلسطينية، موقع ynet، 21/2/2024. הכנסת אישרה ברוב עצום: מתנגדים להכרה חד-צדדית במדינה פלסטינית

- حسون، نير، الإنجيليون انتظروا نتانياهو كما ينتظرون المسيح، هآرتس (بالعبرية)، 19/3/2012: https://www.haaretz.co.il/news/politi/2012-03-19/ty-article/0000017f-f593-d318-afff-f7f392430000

- دتل، ليئور. "دروكر – 16، الفقر – 0: فحصنا حساب فيسبوك نتانياهو، وهذا ما اكتشفنا." ذي ماركر. 1 يناير 2017. https://www.themarker.com/news/2017-01-01/ty-article-magazine/0000017f-db3c-d856-a37f-fffc76600000

- دغان، يوني ، نتنياهو لم «ينجر» لإبادة شعب في غزة. هذه استراتيجية، وكانت حاضرة دائما. هآرتس، 31/7/2025: https://tinyurl.com/377sz2fd

- ديتش، موران، عيديت شافران غيتلمان، ريبيكا ميلر، عنات شابيرا، وأبير

غيتلين. «نتائج استطلاع «السيوف الحديدية»: ديسمبر 2024». معهد دراسات الأمن القومي (INSS). 22 كانون الأول 2024. https://www.inss.org.il/he/publication/survey-december-2024/

- راز، آدم ، الطريق إلى السابع من أكتوبر: بنيامين نتنياهو، تكريس الصراع والتدهور الأخلاقي لإسرائيل، حيفا: منشورات برديس، 2014.

- رام ،أوري ، «علم الاجتماع في عهد نتنياهو: توجّهات نقديّة في علم الاجتماع الإسرائيلي في بداية القرن الحادي والعشرين»، مجموت (توجّهات)، العدد 2 (2017).

- رايس، موشيه ، سموطريتش: «نقتل بشكل نهائي الدولة الفلسطينية»، موقع حركة «استيطان الان»، 2/2/2026، סמוטריץ': "מחסלים סופית את רעיון המדינה הפלסטינית" | התיישבות עכשיו

- رافيد، براك. نتنياهو لضابط في جلسة دبلوماسيّة: «لا حاجة إلى موظّفي وزارة الخارجيّة، أنا هنا». هآرتس، 14/10/2016: https://www.haaretz.co.il/news/politi/2016-10-14/ty-article/.premium/0000017f-e8f1-dc7e-adff-f8fdd1f80000

- رافيد، أحيا، نتنياهو: هتلر لم يرغب في إبادة اليهود آنذاك، والحسيني أقنعه؛ مؤرخون: هذا غير صحيح، https://www.ynet. ynet، 21 /10/ 2015 co.il/articles/0,7340,L-4714274,00.html

- روفيسكي، ليزا. «نتنياهو: ويتكوف لم يُجبرني على الاستجابة للصفقة، حماس هي من غيّرت موقفها». هآرتس. 9 شباط 2025. נתניהו: ויטקוף לא אילץ אותי להיענות לעסקה, חמאס הוא ששינה את עמדתו - מדיני ביטחוני

- سموطريتش، بتسلئيل. «خطة الحسم: مفتاح السلام عند اليمين». مجلة الشيلوح، العدد 6 (2017). مجلة الشيلوح – العدد 6. (השילוח)

- سيمان، طوف بار- ، عوائق السلام في الصراع الإسرائيليّ العربيّ (القدس: معهد القدس للدراسات الإسرائيليّة، 2010).

- شاليف ،حامي ، «نهاية نتنياهو النِكْسُونيّة»، هآرتس، 3 كانون الثاني، 2018.

- شبيط، آري. حرب وجودية: من الكارثة للانتصار، للنهضة. تل أبيب: منشورات يديعوت للكتب، 2024.

- شبيغل، نوعا ،طوف وميخائيل هاوزر ، الكنيست أقرت اقتراح لجدول الأعمال على «فرض السيادة» في الضفة، ليس له معنى عملي، هآرتس، 23/7/2025، הכנסת אישרה הצעה לסדר על "החלת ריבונות" בגדה. אין לה משמעות מעשית - פוליטי - הארץ

- شبيغل، نوعا. «سموطريتش صرّح أن على الحكومة القادمة «تشجيع هجرة» الفلسطينيين من الضفة وفرض السيادة». هآرتس. 17 شباط 2026. متاح على موقع هآرتس: סמוטריץ' הצהיר כי על הממשלה הבאה "לעודד הגירה" של פלסטינים מהגדה ולהחיל בה ריבונות - מדיני ביטחוני - הארץ

- شطاين، عميحاي ، الكنيست حددت موقفها ضد إقامة دولة فلسطينية، موقع كان 11، 18/7/2024, הכנסת קבעה את עמדתה נגד הקמת מדינה פלסטינית

- شطريت ،سامي شالوم- ، (فقط جَبّاي يستطيع أن يهزم نتنياهو) ،جرى الاسترداد من هآرتس25 أيّار، 2017،

- عميدرور، يعقوب. تصور الأمن القومي لدولة إسرائيل. مركز ددو، تشرين الأول/أكتوبر 2020. موقع جيش الدفاع الإسرائيلي (مركز ددو). תפיסת הביטחון הלאומי של מדינת ישראל - אלוף (במיל') עמידרור | אתר צ (www.idf.il)

- غنور، بوعز. سياسة إسرائيل في الجرف الصامد- الحسم؟ الردع؟ تسوية؟ استنزاف؟. هرتسليا: معهد السياسات ضد الارهاب، 2014

- غولديتش، حاييم. «سموطريتش: «هدف الولاية القادمة: تشجيع هجرة الفلسطينيين من يهودا والسامرة». موقع قناة كان 11. 17 شباط 2026. قناة كان 11. (סמוטריץ': "היעד לקדנציה הבאה - עידוד הגירה של פלסטינים מיו"ש"

- فيردي رونيت . بيبي- بيبي- من أنت، سيّدي رئيس الحكومة؟.تل أبيب: منشورات كِيتِر، 1997.
- فيلك، داني .الشعبويّة والهَيْمَنة في إسرائيل، (تل أبيب: ريسلينج، 2006).
- كاتس، أورِّلي أزولاي، (الرجل الذي انتصر على ذاته: انتخابات 1999) (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1999).
- كارپل، داليا ، (ظلمة على سطح الهاوية) ، هآرتس، 30 أيلول، 2016
- كهانا، أرئيل ، وزراء الليكود لنتنياهو: فرض السيادة على يهودا والسامرة قبل نهاية الدورة الصيفية، يسرائيل هيوم، 2/7/2025.
- كهانا، أرئيل، نتنياهو عن مؤتمر باريس: سَكَرات عالم الأمس الأخيرة، مكور ريشون (بالعبرية)، 15/1/2017: https://www.makorrishon.co.il/nrg/online/1/ART2/857/270.html
- كوفوڤتِش، يانيف. (2025، 21 تموز/يوليو). في الأجهزة الأمنيّة يرصدون ارتفاعًا كبيرًا في عنف المستوطنين، ويخشَوْن أن يكون الجيش آخِذًا في فقدان السيطرة. هآرتس.
- لاندمان، شيري طال، «العامل الخامس: المطلب بالاعتراف بإسرائيل كدولة يهوديّة»، مجلّة عدكان إستراتيچي، 2010، 135–121.
- لويس، برنارد، «إرهاب إسلاميّ؟»، في: بنيامين نتنياهو (تحرير)، الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟ ،تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1987.
- ليبل، أودي. الطريق إلى مدفن عظماء الأمة: الإيتسل والليحي وحدود الذاكرة الإسرائيلية. القدس: كرمل، 2007.
- لِيس، هونتان، «نتنياهو: الحشمونائيم صمدوا 80 عامًا، علينا أن نضمن أن نحتفل 100»، هآرتس، 10 تشرين الأوّل 2017
- لِيشِم ،باروخ ، (نتنياهو: مدرسة في التسويق السياسيّ) (تل أبيب: منشورات مِطِر، 2017).

- ماتسا، دورون. (نتنياهو في أعقاب بن چوريون). هآرتس. 1 كانون الثاني 2018.

- مَنْدِلُوف، يُونَاتَان. «الصراع المزدوج لدى الليكود: بين المطرقة والسندان». في: آشْهَر أَرْيَان وميخَائِيل شَامِير (تحرير)، الانْتِخَابَاتُ في إِسْرَائِيلَ 1999، 243–. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، 1999.

- ميخائيلي، يردين. (قويّ أمام المتصفّحين). هآرتس. 30 كانون الثاني 2017.

- نتنياهو، بِنْتْسِيُون ، «الإرهابيّ ومحاربو الحرّيّة»، في: بنيامين نتنياهو (تحرير)، الإرهاب: كيف يستطيع الغرب أن ينتصر؟ تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1987.

- نتنياهو، بنيامين، وعيدو نتنياهو. رسائل يوني. تل أبيب: سِفْرِيات معاريف، 1978.

- نتنياهو،عيدو . معركة يوني الأخيرة.تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2011.

- نَهاري، أُورِن (نتنياهو وترامپ توأمان متشابهان تقريبًا، https://news.wal-la.co.il/item/

- نوردهايمر، عوفر. «ديمقراطية سلطويّة: مرشد للاستعمال». هآرتس. 8 كانون الأول 2016.

- نوبيخ، كيرن، انتخابات 1996 (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 1996).

- هَرْئِيل، يِسْرَائِيل. «بِينِي كَتْسُوبِير من قيادات هَتْحِيَّاه: نتنياهو طالب حزب هتحيا بالانسحاب من حكومة شامير عام 1992». هآرتس. 29 كانون الأول/ ديسمبر 2017.

- وَنير حيفتس ،چادي بلوم، (الراعي: قصّة حياة أريئيل شارون) (تل أبيب: يديعوت أحرونوت، 2005).

- يوسف، أوري بار، ما وراء الجدار الحديدي: ما هو الناقص في تصور الأمن الإسرائيلي. تل أبيب: منشورات كنيرت–زمورا–دبير، 2024

العربية

- بشارة، عزمي. من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية. القاهرة: دار الشروق، 2005.
- سعدي، محمد. مستقبل العلاقات الدوليّة: من صراع الحضارات إلى أَنْسَنة الحضارة وثقافة السلام. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006.
- سعيد، إدوارد. الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق. ترجمة محمد عناني. القاهرة: دار رؤية، 2017.
- شحادة، امطانس، ومحمد، إكرام. «البناء في منطقة "E1": منع تواصل جغرافيّ فلسطينيّ تنفيذًا لمخطّطات اليمين المتطرّف». ورقة تقدير موقف (69). حيفا: مدى الكرمل – المركز العربي للدراسات الاجتماعية التطبيقية، تشرين الأول/أكتوبر 2025. https://2u.pw/wQJJoT
- شلحت، أنطون. بنيامين نتنياهو وعقيدة اللاحل. رام الله: مركز مدار – المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، 2014.
- مصطفى، مهنّد. «الإستراتيجيّة الإسرائيليّة التفاوضيّة (2009–2012): نصف تسوية ونصف مصالحة». المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد 37 (شتاء 2013): 147–163.
- مصطفى، مهند. «الإنتاج المعرفي الإسرائيلي عن الربيع العربي: بين التوجه الأيديولوجي والأداة الاستشراقية». سياسات عربية، العدد 18، 2016.
- مصطفى، مهنّد. «المسجد الأقصى "ميدان تحرير" في القدس». مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد 112 (خريف 2017(
- نتنياهو، بنيامين. مكان تحت الشمس. ط 4. ترجمة محمد الدويري. عمّان: دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، 1999.
- مكتب رئيس الحكومة، رئيس الحكومة نتانياهو تقابل مع وزيرة خارجية الاتحاد الأوروبي فدريكا مورجيني في مقر الاتحاد الأوروبي في بروكسل،11/12/2017: https://www.gov.il/he/pages/speech_brussels111217

لم يكن بنيامين نتنياهو مجرد رئيس حكومة إسرائيلي طويل البقاء في السلطة، بل كان أحد أبرز من أعادوا تشكيل السياسة والمجتمع والدولة في إسرائيل خلال العقود الأخيرة.

يتتبع هذا الكتاب، في طبعته الثانية، مسيرته السياسية والفكرية، وتحولات مشروعه، وعلاقته باليمين القومي والديني، وصعود الخطاب الشعبوي والسلطوي في عهده، وصولًا إلى اللحظة التي غيّرت تصوراته السياسية جذريًا، ألا وهي السابع من أكتوبر/تشرين الأول 2023. فـ(طوفان الأقصى) لم يكن مجرد حدث عسكري في مسيرة نتنياهو، بل شكّل نقطة فاصلة كشفت حدود المشروع الذي بنى عليه تصوراته لنفسه باعتباره)حامي إسرائيل(، ودفعت نحو مزيد من التطرف والعسكرة، في ظل الحرب على غزة وما رافقها من قتل جماعي وتدمير وتهجير بحق الفلسطينيين.

ومن خلال قراءة كتاب (نتنياهو)، يتضح أن الكتاب لا يتناول مسيرته الفكرية والسياسية فحسب، بل يطرح من خلالها قراءة للتحولات العميقة التي شهدتها دولة الاحتلال، واتجاهات مشروعها السياسي والاستعماري، وما طرأ على رؤيتها لذاتها وللفلسطينيين وللمنطقة.

مركز رؤية للتنمية السياسية

إسطنبول / تركيا

Website: www.vision-pd.org

Email: info@vision-pd.org

Tel: +90 (212) 631 01 07

ISBN 978-625-99957-8-6